محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

تفريغ سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه كما يُحبُ ربُنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك لهُ شعار ودثار ولواء أهل التقوى ، وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمدً عبدهُ ورسولهُ عبدٌ مُجتبى وحبيبٌ مُصطفى ورسولٌ مُرتضى صلى الله علية وعلى آله و أصحابة ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ...
أما بعـــد
فكُنا قد بينا وحرّرنا في اللقاء الماضي ونحنُ نشرع في تفسير سورة الفاتحة أن البرنامج سيأخُذُ طوراً جديداً ألا وهو البدءُ في القرآن حسب ترتيبهِ الذي بين دفّتي المُصحف بعد أن كُنا قد تكلمنا إجمالاً عن أوائل ما أُنزل من السور وعرّجنا على كثيرٍ من القرآن المكي ثُمّ أخذنا من القرآن المدني سورة النور .
والآن نبدأُ في القرآن كُلهِ من أولهِ فانتهينا في اللقاء الماضي المبارك إلى سورة الفاتحة ونحنُ نشرعُ بعون الله تعالى إلى تفسير سورة البـقرة حريٌ بنا قبل أن نشرع في تفسيرها أن نُبين أمورً لا يُمكنُ لمن أراد أن يُفسر سورة البقرة أن يتجاوزها هذهِ السورة هي أطولُ سور القُرآن وهي مدنيةٌ بإجماع وهي من أوائلِ ما أُنزل في المدينة وقد قُلتُ في اللقاء الماضي كلمةً ينبغي أن يستصحبها طالب العلم وهو يُفسر ألا وهو الارتباط الوثيق اللازم ما بين القرآن والسيرةِ النبوية وقد مرّ معكُم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يقيناً في سيرتهِ العطرة عليهِ الصلاة والسلام أنهُ في يوم حُنينِ أمر المُنادي أن يُنادي لما أنجفل الناس نداءات عدة منها يا أصحاب سورة البقرة .
هذا النداء موجه للأنصار لأن سورة البقرة من أوائل ما أُنزل في المدينة فكانت تاجً على رؤوسهم وفخراً يفتخرون بهِ أن أطول سور القرآن المُتضمنة لأعظم آيةٍ في القرآن وهي آيةُ الكرسي المختومة بنورٍ أُنزل من تحت العرش وهي خواتيم سورة البقرة (آمن الرسول بما أُنزل إليهِ من ربهِ) المُتضمنة لأطولِ آيةٍ في كتاب الله آية الدين .
يقولُ بعضُ العُلماء عن سورة البقرة أنها فُسطاط القرآن والفُسطاط الخيمة الضرب الواسع لأنها حوت أمورً عديدة عقدية وفقهية وقصصية .
فهي فُسطاط القرآن بحق وأطولُ سور القرآن والنبيُ علية الصلاةُ والسلام قال " اقرأ الزهراوين : البقرة وآل عمران " وأخبر أن القرآن يأتي شفيعاً يوم القيامة تتقدمهُ البقرةُ وآل عمران .
هذا الاستحضار والاستصحاب أمرٌ مُهم وسُميت هذهِ السورة بسورة البقرة لورود ذكر اسم البقـــــرةِ فيها في قصة بني إسرائيل (إن الله يأمرُكم أن تذبحوا بقرة) .
وقد مرّ معنا وهذا من باب التذكير أن غلب سور القرآن إنما تُسمّى باللفظ المُفردة التي لا تتكررُ في غيرها .
فالبقرة لم يرد ذكرُها إلا في سورة البقرة ، والأعراف لم يرد ذكرهُ إلا في سورة الأعراف ، والفيل لم يرد ذكرهُ إلا في سورة الفيل ، والعنكبوت لم ترد إلا في سورة العنكبوت وهكذا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

غالبُ سور القرآن هذا سببُ تسميتها اللهم إلا بعضُها خرج عن هذا مثلُ هود ويوسف .
المقصود من هذا كُلهِ هذهِ سورة البقرة بإجمال من أعظم سور القرآن بعد الفاتحة باتفاق العُلماء وقد قُلنا ما ورد فيها من أحاديث هذا مُشتهر والوقتُ لا يسمح بذكر الأحاديث والإطناب فيها لأن هذا معلومٌ عند الناس وقد بينا قول عليه الصلاةُ والسلام " اقرأ الزهراوين : البقرة وآل عمران " .
نشرعُ الآن مُستعينين بالعلي الكبير في بيان تفسيرها

قال ربُنا وهو أصدقُ القائلين : بسم الله الرحمن الرحيم

(ألم * ذالك الكتاب لا ريب فيهِ هُدىً للمُتقين)

الأحرُف المُتقطعة مرّت معنا من قبل حرّرنا القول فيها في دروسٍ سابقة في قول الله تعالى (ن * والقلمِ وما يسطرون).
الآن نعود للآية الثانية وهي (ذالك الكتابُ لا ريب فيهِ هُدىً للمُتقين) المقصودُ بالكتاب هنا القرآن وهذا القرآن وإنما جيء بلام البُعد ذالك لبيان التفخيم والتعظيم (ذالك الكتابُ لا ريب فيهِ هُدىً للمُتقين) في الوقوف على ريب وما بعده وجهان :
// أن يُقال (ذالك الكتابُ لا ريب) ثُم نقرأ (فيهِ هُدىً للمُتقين)
// أو نقول (ذالك الكتابُ لا ريب فيهِ) (هُدىً للمُتقين) أو نصلها
والوقفُ على (ذالك الكتابُ لا ريب) جائز لكنهُ

الأفضلُ عدمُ فعلهِ لأنهُ يحصرُ ما بعدهُ تُصبح(فيهِ هدىً للمُتقين) والأصلُ أنهُ جميعهُ هُدىً للمُتقين [واضح]
أنهُ لو قُلنا (فيهِ هُدىً للمُتقين) يفهم منها البعضُ قد يكون في بعضهِ دون كُلهِ لكن عندما نقول (ذالك الكتابُ لا ريبَ فيهِ) تُصبح (هُدىً للمُتقين) شاملة للقرآن كُلهِ . هذا أمرٌ يجبُ تحريرهُ
الأمر الثاني :
الريب الشك وهذا خبرٌ أُريد بهِ الإنشاء والمعنى ذالك الكتابُ أيُها المؤمنون هذا هو القرآن لا ترتابُ فيه هذا المعنى لا ترتابُ فيه فيُصبح خبرٌ أُريد بهِ الإنشاء الطلب .
(هُدىً للمُتقين)
من الناحية اللغوية النحوية (هُدىً) هنا منوّنه وقُلنا منوّنه بمعنى أنها مُنصرفة هذهِ هُدى إذا جاءت مصدر أُريد بها البيان والإرشاد كما هو في الآية تنصرف تنوّن (هُدىً للمُتقين)
وأما إذا أُطلقت علماً على أُنثى تُسمي بها امرأة فلا تنصرف للعلمية والتأنيث فلو أن لك قريبة أُخت اسمُها هُدى تقول قابلتُ هُدى ، رأيتُ هُدى ، جاءت هُدى من غير تنوين لكنها إذا أُستعملت استعمال المصدر فهي تنوّن . هذا ينبغي التنبُه لهُ من الناحية النحوية .
أما من الناحية المقصود منها القرآن الأسمى (هُدىً للمُتقين) المُتقون اسمُ فاعل من اتقى وذُكرت فيها أمور عديدة مرّت معنا من أشهرها أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجوا ثواب الله وأن تترُك معصية الله على نورٍ من الله تخشى عقاب الله

خلّ ِ الذنوب صغيرها و كبيرها فهو التُقـــــــــى

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
**** لا تحقرنّ صغيرةً إن الجبال من الحصـــــــــى**

وما مرّ معنا من قبلُ وأكثرنا القول فيهِ لا حاجة لإعادتهِ .
القرآن هُدىً وإرشاد وبيان هذا أمرٌ لا نزاع فيهِ لأنهُ من عند الله فمن أنزل القرآن هو الذي خلق البعاد وهو أدرى بمصالحهم ومنافعهم جل جلاله ثُمّ جاء القرآن ليُبين من هُم المُتقون وقبل أن أُبين من هُم المُتقون أقول مُستصحباً السيرة السورة اتفقنا على أنها ماذا ؟ مدنية ، النبيُ علية الصلاةُ والسلام ـ لأن هذا الكلام الذي سيأتي مُرتبط بما سأُأصلهُ الآن ـ النبيُ علية الصلاةُ والسلام هاجر من مكة إلى المدينة كُل من هاجر هاجـر اختيارً لم يُهاجر اضطرارً معنى هاجر اختيارً يعني رغبةً في الدين لا يوجد مُهاجر مُكره على الدين لا يُعقل لا يُتصور أن يأتي مُهاجر مُكره على الدين ، استوطن النبي صلى الله علية وسلم المدينة كان فيها الأوس والخزرج العصبة الكُبرى وثلاث قبائل من اليهود بنو قينُقاع و بنو النظير و بنو قُريظة هذهِ القبائل الثلاث أحلاف للأوس والخزرج الذين هُم عرب
الديانات التي كانت موجودة الأوس والخزرج يعبدون الأصنام على ما جرت عليهِ عادةُ مُشركِ العرب آنذاك ، وقبائل اليهود الثلاث على دينهُم المُحرّف على الملّة اليهودية المُحرّفة على سالفِ ما عليهِ أهلُ الكتاب من قبل
[واضح]

قدم النبي صلى الله علية وسلم المدينة كانت لهُ فيها سابقة كان قبلهُ من الصحابة قد وصلوا

إليها وآمنوا ونشروا الإسلام فآمن عددٌ غير قليلٍ من الأوس والخزرج آخى النبيُ بينهم أسماَهُم الأنصار إلى الآن ـ هذا مُهم ـ ليست لنبي شوكة متى يحصُل الخوف ؟ عندما تكون عند خصمك شوكة فمن لم يُؤمن من العرب الأنصار من الأوس والخزرج من لم يُؤمن من الأوس والخزرج لا حاجةً أبدً لأن يُظهر الإيمان ويُبطن الكُفر ما في شيء يدعوهُ إلى هذا لأنهُ لا يخافُ أحد واستمرّ الحالُ على هذا الأمر حتى كانت وقعتُ بدر فلمّا كانت وقعةُ بدرٍ وأنكسر سيفُ الشرك وأنتصر المسلمون أضحى للمُسلمين شوكة ولنبي دولة وقوة بالمعنى الحق هذهِ الشوكة هي التي جعلت من كان يُظهر الكُفر أصبح يُبطنهُ ويُظهر الإيمان وهؤلاء هُم ماذا ؟ هُم المُنافقون [واضح] هؤلاء هُم المنافقون في الأول كانوا كم قسم ؟ قسمان : ملّة الشرك وملّة اليهود

لما قدم النبي صلى الله علية وسلم أصبحوا ثلاثة : اليهوديين والمُسلمين والمُشركين لما جاءت موقعة بدر هؤلاء المُشركين قلّوا لأن أكثرهُم دخل في الإسلام لكنهُم أصبح بعضً منهُم ماذا ؟ أصبح بعضٌ منهُم مُنافقً يُظهر الإيمان ويُبطن الكُفر .

ما الذي دفعهُم إلى هذا ؟

أنهُ أضحى لنبي عليهِ الصلاةُ والسلام وأصاحبهِ شوكة هذا الذي سبب النفاق لأنهُ إذا كان الأمور مُتساوية ما في داعي كلٌ يُظهرُ ما يشاء لكن هذهِ الشوكة جعلت عبد الله ابن أبي سلول وغيرهُ من أتباعهِ يفعلون هذا [واضح الآن] أنزل الله جل وعلا فواتح البقرة ذكر فيها الطوائف الثلاث ذكر فيها أهل الإيمان وأهل الكُفر .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

ذكر أهلُ الكُفر ربُنا في آيتين (إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذابٌ عظيم)
أما المُنافقين أطنب في ذكرهم لأن حالهم كان مُلتبساً على الناس فحرّر جل وعلا القول فيهم حتى يكشف عوارهم ويهتك أسرارهم ويُبين وهذا من أوائل ما أُنزل في حقهم ثُم تتابع الأمرُ وانتهى بهِ المطاف في سورة التوبة
[واضح الفكرة العامة الآن]
هذا مهم جداً في مفتاح القضية خاصةً في أوائل معرفتنا بسورة البقرة .
الآن نبدأ بالمؤمنين قال ربُنا
(ذالك الكتاب لا ريب فيهِ هُدىً للمُتقين) جعل أول أوصافهم (الذين يؤمنون بالغيبِ ويُقيمون الصلاة ومما رزقناهم يُنفقون) حصر بعضُ المُفسرين الغيب بالجنة والنار وهذا خطأ بلا شك الله جل وعلا أعظم الغيبيات فإننا نؤمنُ بالله ولم نره ونســـــــــــــــأل الله بمنّهِ وكرمهِ أن يمُنّ علينا برؤيتهِ في الجنة فأعظمُ صفات المُتقين الإيمانُ بالله وبما أخبر الله عنه فنحنُ نؤمن بالجنة والنار لأن ربنا العزيز الغفار أخبر عنها فالإيمان بالغيب أعظم صفات المُتقين
(ويقيمون الصلاة) الصلاة المعروفة (ومّما رزقناهم يُنفقون) وهم بعضُ أهل العلم فحصرها في الزكاة والآيةُ أشمل من ذالك (مّما رزقناهم يُنفقون) الزكاة والصدقات وما كُلّفوا به شرعاً من الإنفاق على من يعولوا كُل هذا داخلٌ في قولهِ تعالى (مّما رزقناهم يُنفقون) الزكاة وهي فرض بشروطها ، والصدقات هؤلاء المُتقون يؤمنون بالغيب تصدر بهم القرآن لا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يُمكن أن يتركوا الإنفاق العام الصدقات كما يدخُلُ فيها ما كُلّفوا بهِ من القرابة من حقوق القرابة ممن يعولون كإنفاق الرجُل على أولادهِ على زوجتهِ على والديهِ إن كان مُعسرين وأمثالُ ذالك .

(وممّا رزقناهم يُنفقون * والذين يؤمنون بما أُنزلِ إليك وما أُنزل من قبلك و بالآخرة هُم يوقنون)

الآن هنا يا أُخي أنخ المطايا قليلاً هل هذا ذكرٌ لقومٍ آخرين أو هو وصفٌ ثانٍ للأولين
أُعيـــــــــــــــــــــــــد
هل هذا ذكرٌ لقومٍ آخرين أو هو وصفٌ آخر لقومٍ أولين ؟
فإذا قُلنا وصف آخر يُصبح هؤلاء المُتقون يؤمنون بالغيب ، يُقيمون الصلاة مما رزقناهم ينفقون ، يؤمنون بما أنزل من قبل ، يؤمنون بما أُنزل إليهم وبالآخرة هم يوقنون هذا أصبحت صفات لكم موصوف واحد .
الحالة الثانية أن يُقال وهذا اختيارُ ابن جرير أن يكون هؤلاء قومٌ آخرون والمعنى يُصبح عندهُم عند من قال بهذا الرأي أن المؤمنين قسمان :
مؤمن العرب وهم من ذُكر في الأول .
ومؤمن أهل الكتاب وهم من ذُكر في الثاني ودلّ عليه (والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك)
طبعاً مُمكن أن يُجاب عنها أن المؤمنون الآن يؤمنون بما أُنزل من قبل لكن قصد أنهُ قبل أن تُكلّف بهِ قبل أن ينزل عليك الإيمانُ بهِ هذا تحرير المسألة [واضح المقصود]
هذا اختيارُ ابن جرير أنها ليس أوصافً لموصوفٍ

واحد وإنما هُم قومان واستدل عقلياً منطقياً على صحةٍ قولهِ أين الاستدلال العقلي المنطقي ؟

قال ما بعدها يدلُ عليها .

كيف يا أخي ما بعدها يدلُ عليها ؟

ذكر الله بعدها أهل الكُفر وقسّمهم فريقين : كافرِ أصلي ومُنافق فقال كما قسم الله أهل الكُفر إلى قسمين : أهل الكُفر (إن الذين كفروا) ومُنافق (ومن الناس من يؤمنُ بالله واليوم الآخر وما هم بالمؤمنين) كذالك هنا قسم المؤمنين إلى قسمين : مؤمنُ من العرب ومؤمنُ من أهل الكتاب من قبل والحقُ أن هذا الرأي لهُ وجهٌ كبيرٌ من الصحة وقويٌ من جهة الاستدلال النقلي والعقلي ولا تعارُض معهُ مع الأول .

(والذين يؤمنون بما أُنزل إليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) أي الكُتب ولو قُلنا أن المقصود بهِ أهلُ الكتاب لا يُعفينا هذا من أن نؤمن نحنُ بما أُنزل من قبل [واضح] هذهِ مُهمة جداً .

والله جل وعلا قال (آمن الرسول بما أُنزل إليهِ من ربهِ والمؤمنون كُلٌ آمن بالله وملائكتهِ وكُتبهِ ورُسُلهِ) فنحنُ نؤمن بالكُتب كُلها التي أنزلها الله ما سمّى منها وما لم يُسمّي ونؤمنُ بالرُسُل كُلهم ما أخبر الله عنهم ومن لم يُخبر .

(والذين يؤمنون بما أُنزلِ إليك وما أنزل من قبلك و بالآخرة هُم يوقنون * أُولئك) سواء قُلنا الموصوفان أو الموصوف الواحد (أُولئك على هُدىً من ربهم وأُولئك هم المفلحون)

وكيف لا يكونون مُفلحين وهم على هُدىً من الله ، وكيف لا يكونون على هُدىً من الله وهم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قد آمنوا به وما أنزل من كتاب فهي أُمورٌ يستلزمُ بعضها بعضا وطرائق يسوقُ بعضها بعضاً إلى الخير .
إذا أعظم صفات المُتقين حرّرها الله في الخمس الآيات الأول من سورة البقرة .
ثُم قال ربُنا جل شأنُه وهو أصدقُ القائلين

(إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذابٌ عظيم)

المعنى ظاهرٌ هنا لا يحتاجُ إلى مزيد بيان وقد قُلنا تكلم الله عن المؤمنين وهنا يتكلمُ عن ماذا ؟ عن الكُفار
قال ربُنا (إن الذين كفروا) معنى إن الذين كفروا هنا أي من كتب الله عليهم الكُفر من قبل (سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم) يقول ربُنا (لا يؤمنون) لماذا لا يؤمنون ؟
لأن الله جل وعلا كتب عليهم الكُفر من قبل ومن كتب الله عليهِ الشقاوةً أزلا لا يُمكن لهُ أن يسعد ثُم قال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) الختم الكتم الغطاء الطبع كُلها بمعنىً واحد ويكونُ على القلب والسمع أما الغطاءُ الذي على البصر فيُسمى غشاء ولها قال الله بعدها (وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذابٌ عظيم).
ذهب الزمخشريُ في الكشافة ـ في الكشافة يعني في تفسير الكشاف للزمخشري ـ الزمخشريُ أحد أئمة المُعتزلة إلى أن نسبة الختم إلى الله هنا إنما هي لأغراضٍ بلاغية لأن عندهم أن هذا من فعل القبيح واللهَ مُنزهٌ عن

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

القبيح وأهل السُنة سلــــــــك الله بنا وبكم سبيلهم يقولون إن الله وحدهُ هو خالق الخير وخالق الشر لكنّه لا يأمرُ إلا بالخير فحكّم عقلهُ مُقابل النقل فحكّم عقلهُ ولوا النصوص مُقابل ما استقر في عقله وهنا أين مكمن الخطأ حتى من الناحية العلمية ؟
أنه استقر في عقلهِ شيء توصل إليهِ عقلاً ثُم جعل المُستقر في الذهن حاكماً على النص والصوابُ أن يستقرّ في الذهنِ أولاً نصوص ثُم هذهِ النصوص على هُدىً من الله تحكُم سواها وليس العقل وغاب عنهُ قول النبي صلى الله علية وسلم " يا مُقلّب القلوب " (فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم) إلى غيرها من الآيات الظاهرة البينة الواضحة في هذا الشأن التي لا يُمكنُ ردُها بحال .

بعد أن ذكر الله جل وعلا أهل الكُفر ولأن كُفرهم واضح فقد ذكرهم الله جل وعلا في آيتين كما حررت ثُم أنتقل ربُنا جل شأنهُ في الحديثِ عن أهل النفاق فقال وهو أصدقُ القائلين :

(ومن الناس من يقولوا آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يُخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفُسهم وما يشعرون في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضا ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون)

من بيانية أو بعضية تأتي على البيانية أقوى (ومن الناس من يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر) يعني بلسانه والنفاق قسمان :
// نفاق اعتقادي ومن مات عليهِ فهو خالدٌ في

النار .
// ونفاق عملي وهو من أكبر الكبائر " إذا وعد أخلف ، إذا أُتمن خان وإذا حدّث كذب وإذا خاصم فجر " وهذهِ من أكبر الكبائر .
(ومن الناس من يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر) وقُلنا هذا كُلهُ بعد بدر (وما هم بمؤمنين يُخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفُسهم)

معنى (يُخادعون الله والذين آمنوا) هم يتصورون أن هذا النفاق الذي يظنون أنهُ راجع على النبي صلى الله عليهِ وسلم وأصحابهِ فعُصمت بهِ دمائُهم وتمّ لهم التنافر والتوارُث أنهُ يوم القيامة يروجُ على من ؟ على الله وهذا نبّه الله جل وعلى إليهِ في آياتٍ أُخر قال الله جل وعلا (يوم يبعثُهم الله جميعاً فيحلفون لهُ كما يحلفون لكُم) يعنى يعتقدون أنهم هذهِ الأيمان التي أعطوكم إياها في الدُنيا فنالوا بها العصمة في الدماء صدقّتمُوهم أوكلتموهم إلى ظاهرهم أنها ليس هناك من شيء بعيد أكثر من أنهم يُعيدوها يوم القيامة فيظنون في قرارة أنفُسهم أنهم خدعوا أهل الأرض وسيخدعون ربهم يوم القيامة قال الله جل وعلا (يُخادعون الله والذين آمنوا) بصنيعهم هذا في اعتقادهم (وما يخدعون إلا أنفُسهم) لأنهُ لم يتحقق شيءً من مطلوبهم (وما يشعرون) لماذا ما يشعرون ؟
لأن الشعور يكونُ بالحواس وهؤلاء يا أُخي حواسهم مُعطلة لماذا مُعطلة ؟ لأن الله جل وعلا لم يجعلهم ينتفعوا لا بسمعٍ ولا ببصرٍ ولا بقلب ولهذا قال الله في الأولَ (إن الذين كفروا سواءً عليهم) قال (ختم الله على

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم) قال بعضُ أهل العلم طرائق العلم ثلاث :

القلـــــــــــــــــب

والسمـــــــــــــــع

والبصـــــــــــــــر

فالقلبُ محل العلم القلبُ محلُ ماذا محلُ العلم يستقر فيهِ العلم ،والرؤيةُ والسمع وسيلتانِ للحصولِ على العلم .

فإذا كان القلبُ مختومٌ عليهِ وكذالك السمعُ والبصرُ عليهِ غشاوة فلا سبيل إلى العلم والهُدى أبداً ولهذا قال الله جل وعلا عن هؤلاء كذالك قال (يُخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفُسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهُم الله مرضا ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون)

ثُمّ قال جل شأنهُ

(وإذا قيل لهُم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنما نحنُ مُصلحون)

كأنهُم حصروا الإصلاح في أنفُسهم في جوابهم وهم أصلاً لا يصنعون إلا الفساد وهذا قد مرّ معنا من قبلُ ومن أعظم الأدلة أنه لا عبرة بالقول إذا كان يُخاف ! يُخالف العمل فقولهم (إنما نحنُ مُصلحون) ليس بشفيعٍ لهم لأن أفعالهُم تُخالف ما ؟ ما زعمُه (وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنما نحنُ مُصلحون) فحكم الله عليهم بالفساد رغم دعواهم قال جل شأنهُ

(ألا إنهم هم المُفسدون ولكن لا يشعرون)

(وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) المقصود

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
بالناس هنا عامٌ أُريد بهِ الخاص كلمة الناس عامة لكن أُريد بهِ الخاص يعني أصحاب مُحمد صلى الله عليهِ وسلم (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمنُ كما آمن السُفهاء)
السُفهاءُ جمعُ سفيه والسفهُ سذاجةٌ في الرأي وخِفةٌ في العقل (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمنُ كما آمن السُفهاء * ألا إنهم هم السُفهاءُ لكن لا يعلمون)
هنا يتحرّرُ مسألة ::
نحنُ أسميناهم مُنافقٌ وقُلنا إنهم يُظهرون خلاف الذي يعتقدون فكيف يُجاب عن قولهم صراحة (أنؤمنُ كما آمن السُفهاء) [واضح الإشكال ؟]
لأن قولهم (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) ماذا أجابوا ؟
(قالوا أنؤمنُ كما آمن السُفهاء) [واضح الجواب]
هم صرّحوا هنا بالكُفر رفضوا الإيمان فكيف يُسمون مُنافقون وقد صرّحوا بالكُفر والمُنافق لا يُصرّح بالكُفر [واضح الإشكال ؟]
يعني الله يقول (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمنُ كما آمن السُفهاء * ألا إنهم هم السُفهاءُ لكن لا يعلمون) هم يقولون بنص القرآن كيف نؤمن كما آمن هؤلاء السُفهاء وأنت تقول ـ أيُها المُفسر ـ أن هؤلاء المنافقون ـ خبر فكيف تُجيب عن هذا ؟
الجواب عن هذا لهُ عدة طرائق لكن من أهمها ما يلي :
**** دائماً إذا أردت أن تُقنع غيرك بشيء أُخرج بهِ عن زحمة ما أنت فيهِ وأظهر لهُ الصورة بجلاء في مكان أخر فإذا ظهرت الصورة بجلاء أخر كُل الذي يصنعهُ ينقُل نفس الطريقة إلى المكان**

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
الذي نحنُ فيهِ [واضح]
قال ربُنا عن أهل الطاعة0(إنّ الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجُها كافورا * عيناً يشربُ بها عباد الله يُفجرونها تفجيرا * يُفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرهُ مُستطيراً * ويُطعمون الطعام على حُبهِ مسكيناً ويتيماً وأسيرا * إنما نُطعمكم لوجهِ الله لا نُريدُ منكُم جزاءً ولا شكورا) الآن هل وجدت مُسلِم يُطعمُ سائلاً أو يُنفِق مال ويقول لناس إنما أُطعمك لوجه الله ما أُريد منك لا جزاء ولا شكورا هل كان الصحابة كذا يفعلون ؟ أجيبــــــوا
ما كانوا يفعلون كذا [واضح] ما كانوا يفعلون هذا إنما شيءً أخفوه فأظهر اللهُ حالهم إكراماً لهم شيءً أخفوه فأظهر اللهُ سرائرهم وحالهم إكراماً لهم [واضح] هذا المنُافقون هذا الكلام لا يقولونه بألسنتهم يقولونهُ أين ؟ في قلوبهم فأظهرهُ الله ذُلاً لهم [واضح] وهتكاً لأسرارهم كما عامل أهل القلوب الصالحة بأن أظهر ما انطوت عليهِ قلوبهم من صلاح عامل أهل القلوب المُنافقة الفاسدة البغيضة بما انطوت عليه قلوبهم .
قال البغوي في معالم التنزيل :
إن هذا بين بعضهم بعض لكن ظاهرُ القرآن لا يدُلُ عليهِ
وقال بعضُ العلماء :
إنما كانوا يقولونه للمؤمنين لكن بطرائق ملتوية لا تُثبت عليهم النفاق وما قُلناهُ في التحرير الأول إن شاء الله فيهِ خير .

نقول (كما آمن السُفهاء ألا إنهم هم السُفهاءُ ولكن لا يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) هذهِ صح صحيحة ظاهرة إنها بينة وبين

أصحابهِ (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكُم إنما نحنُ مُستهزؤن)

مُستهزؤن بمن ؟ بأهل الطاعة قال الله يردُ عليهم (الله يستهزأ بهم) أي يخذُلهم ويترُكهم على حالهم دون نصير وهذا قمّة الاستهزاء لأنهم يجعلهم يتمادون معنى (يعمهون) يعني يترددون ويتمادون في طُغيانهم ويمدّهُم في طُغيانهم يعمهون حتى ينتهي بهم الأمرُ متى ؟ الله يقول (كلُ أمرٍ مُستقرّ) متى ينتهي بهم الأمر ينتهي بهم الأمر أيُها المُبارك في جسرِ جهنم عندما يتساقطون ويقولُ بعضهم لبعض (انظرونا نقتبس من نوركم) يُنادُونهم وقتها كما الآيات الأخيرة يوضحون يُكشف الأمرُ كُلهُ ويُرفع الحجاب حقيقة ويعلمون أياً كان

مستهزأً بهم (الله يستهزأ بهم ويمُدهم في طُغيانهم يعمهون * أُولئك الذين اشتروا الضلالة بالهُدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مُهتدين *) طبعاُ اشتروا الضلالة الكُفر والنفاق والطُغيان والترددُ بالهُدى بدين الله فأيُ تجارةٍ رابحة إن كان الإنسان يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ثُم ذكر الله أمثالهم قال :

(مثلهم كمثل الذي استوقد نارً فلما أضاءت ما حولهُ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظُلماتٍ لا يُبصرون صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون * أو كصيبٍ من السماء فيهِ ظلُماتٌ ورعدٌ وبرق)

هذهِ طويلة لكن سأُلخصها لك قدر الإمكان هذا مثل مثـــــــــل مُركب تحريرةُ كما يلي :

المطر بهِ حياةُ الأجساد كما أن القرآن بهِ حياة الأرواح

الله يقول هنا هؤلاء المُنافقون حالهم كالتالي : ينزل القرآن من السماء يُحيَ لأنهُ مثل المطر ينتفع بهِ المؤمنون في الدُنيا والآخرة أما هؤلاء المُنافقين ينتفعون ببعضهِ ولا ينتفعون ببعضهِ [واضح] ينتفعون ببعضهِ ولا ينتفعون ببعضهِ . للعُلماء فيها أوجه عديدة لكن لا أحب أن أُطنب فيها لأني أعطيك الإجمال العام هذا المطر فيهِ برق فيهِ رعد، رعـد القرآن زواجرُه ، برق القرآن نوروه في نفس الوقت الظُلمات التي في المطر الحقيقي هي الشكوك التي تنتابهم من قراءة القرآن لأنهم مُعرضون غير مؤمنين بالقرآن فالشك الناجم عنهم مثالهُ في المطر مثال الظُلمات و الزواجر التي في القرآن والتي تُخوفهم مثالهُ في المطر مثال الرعد أما النور الذي في المطر فبالنسبةِ لهم ما نالهم من عصمة الدماء وأنهم يُناكحوا مُسلمين وأنهم يتوارثون فهذا انتفعوا بهِ ماداموا قد أظهروا الإيمان وأبطنوا الكُفر وإن كانوا كافرين لكن كانت تجري عليهم أحكامُ أهل الإسلام فهذا النور الذي انتفعوا بهِ .

هذا تخريج عامٍ وللعُلماء في ذالك بيانات تفصيلية يطولُ الحديث فيها لكن منها :

منهم من قال (كصيبٍ من السماء فيهِ ظُلماتٌ ورعدٌ وبرق) وقال (وذهب الله بنورهم) قال مثل شخص أوقد نارً ثُم كشفت ما حولهُ فرأى الحيّات رأى العقارب رأى ما قرُب منهُ ودنى وتبين لهُ مكانهُ فلما شعر بالاطمئنان ذهب ذالك النور انطفأ تلك النار فهو يقول هؤلاء

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

المُنافقون انتفعوا بالإسلام ظاهرياً عرفوا من حولهم استطاعوا أن يعصموا دمائهم فإذا جاء يوم القيامة لم ينفعهم ذالك النور كما قُلت في الأول على الصراط يُسلب منهم فإذا سلب منهم هذا معنى قولهُ جل وعلا (ذهب الله بنورهم فتركهم في ظُلماتٍ لا يُبصرون) حملوها على يوم القيامة .

وللعُلماء كما قُلت أقولاً مُشابهه حول هذا لكن الذي يعنينا جُملةً أن هذا مِثال مُركب ذكرةُ الله جل وعلا في أحوا ل أُولئك المُنافقين .

بعضُ العُلماء يقول إن المقصود منهُ (كُلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) قالوا إنهم يقولون إذا انتفعوا من الدين بشيء هذا الدينُ دينُ خير وإذا أصابتهم بلايا قالوا هذا الدين دين شُئم فيقول هذا معنى (كُلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) هذا إن حرّرهُ الأكابر لكنه غير صحيح لماذا ؟

لأن المُنافقين أصلاً لم يكونوا على سندٍ واحد والآية تتكلم عن المُنافقين المُستوطنين في المدينة عن الأشداء منهم لا تتكلمُ عن الأعراب الذين يأتون من خارج المدينة المنافقون الأعراب الذين يأتون من خارج المدينة تنطبق عليهم آيةُ الحج (ومن الناس من يعبُد الله على حرفٍ فإن أصابهُ خيرٌ اطمئن بهِ) هؤلاء الذين إذا دخلوا في هذا الدين ينتُج عنهم أن يقولون أحياناً شُئم وأحياناً يقول إنه خير ، أما المنافقون المستوطنون في المدينة الذين كان لهم في الأصل غلبة وكانت لهم وما زالت علاقات قوية من رحمٍ وصهرٍ وتحالُف مع أقويا المؤمنين هؤلاء هم المقصودون هنا وهم لم يكونوا يقولون دين شُئم حيناً ودين خير حيناً لأن قولهم دين خير أحياناً فيهِ بعضُ إيمان هذا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

ينطبق على مُنافقي الأعراب آية الحج أما التي بين أيدينا على المُنافقين الأولين وسورة البقرة من أوائل ما أُنزل في المدينة قبل أن يدبّ النفاقُ في البوادي وفي الأعراب الذين يُحيطون بالمدينة زمن النبي صلى الله علية وسلم .
ثُمّ! قال الله جل وعلا ـ ولا أدري إن كان بقي وقت ـ
(يا أيُها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون)

ذكر الله جل وعلا في هذهِ الآية المُباركة دلائل على البعث والنشور ذكر ثلاثة أدلة :
الدليل الأول :
(يا أيُها الناس أعبدوا ربكم) خلقُ الناس ومن قدر على الخلق قادرٌ على الإعادة قال الله جل وعلا (وهو الذي يُبدأُ الخلق ثُم يُعيدهُ) .

الدليل الثاني :
(اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) أن خلق السماء أكبر من خلق الأرض .

(وأنزل من السماء ماءً فأخرج بهِ من الثمرات رزقاً لكم) هذا قياس (إن الذي أحياها لمُحييَ الموتى).
فهذهِ الثلاث جمعها الله في آيتين وهي الأدلة الصريحة في القرآن أن تُفرّق بعد ذالك في قضيةً إثبات مسألة البعث والنشور .
وأُعيـــــــــــــــــــــد تحريرُها
(يا أيُها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم) أن من بدأ الخلق قادرٌ على الإعادة (كما بدأنا أول خلقٍ

نُعيده).
الإشارة إلى خلق السماء ومن خلق الأعظم قادرٌ على خلق الأدنى وإن كان الكُل عند الله سواء .
والأمر الثالث : (وأنزل من السماء ماءً فأحيَ بهِ الأرض بعد موتها) القياس (إن ذالك لمُحييَ الموتى) كما قال الله جل وعلا في أكثرِ من آية هذا إجمال .

ثم نُحرّر المعنى عموماً (يا أيُها الناس) هذا نداء عام (إعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون) والعبودية مرّ معنا أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :
1/ عبودية الشرع وهي الفرق بين الحُرِ والعبد وهذهِ لا علاقة لها بالآيات .
2/ وعبودية ذلٍ وانقياد وهذهِ يشتركُ فيها الخلاق كُلهم برّهم و فاجرهم قال الله (إن كُل من في السماوات والأرض إلا أتي الرحمن عبدا) هذهِ مرت معنا لذالك أقولها على عجل .
3/ وعبوديةُ طاعة وهي المقصودة هنا (يا أيُها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) والسماء في اللغة كل ما على وأرتفع .
(وأنزل من السماء ماءً فأخرج بهِ من الثمراتِ رزقاُ لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)
أين مفعول تعلمون محذوف بدلالة المعنى عليهِ أي وأنتم تعلمون أن ليس لهُ أنداد والدعوى أن يجعل العبدُ لله ندا هذا من أعظم الشرك وأجلهِ قال صلى الله عليهِ وسلم " سُئل أيُ الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل لله نداً وقد خلقك "
ثم ذكر الله جل وعلا آية التحدي المشهورة التي هي واحدةٌ من خمس آيات تحدى الله جل وعلا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
بها كُفار قُريش والعرب عُموماً (وإن كُنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثلهِ وادعوا شُهدائكم من دون اللهِ إن كُنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) وهذهِ لا يقدرُ على قولها إلا الله (ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين) .

هذا ما انتهى إليهِ لقاءُ اليوم لأن ما بعدها مُتصلٌ بها وهذا يحتاجُ إلى تحريرِ خطابٍ مُستقلٍ وإن شاء الله تعالى في اللقاء القادم نبدأُ بآية التحدي في قولهِ تعالى (وإن كُنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا) نمرُّ عليها الآن هنا إجمالاً في اللقاء القادم نشرعُ إن شاء الله تعالى في تفصيلها .

هذا ما تيسر إيرادهُ وتهيأ قولهُ والله المُستعان ولا حول ولا قوة إلا بهِ والصلاةُ والسلام على رسول الله والحمدُ لله رب العلمين ..

أمابعد:

فهذا اللقاء الثاني الخاص بسورة البقرة, وقد سبق أن تكلمنا عن فضلها وعظيم شأنها, وانتهينا إلى ذكر الآية الدالة على البعث والنشور وهي قول الله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم), وتكلمنا إجمالا عن آية التحدي: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله), وذلك الحديث كان في آخر اللقاء الماضي فكان مجملا, وفي هذا اللقاء بإذن الله تعالى سنفصل مبتدئين بقول الرب تبارك وتعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) هذا من

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أعظم المطالب الشرعية في القرآن, لأن عبادة الله جل وعلا هي الغاية من خلق الثقلين, والرب جل وعلا ينادي عباده أجمعين هنا: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم), ثم استدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؛ فلما أراد الله أن يثبت أنه وحده المستحق للعبادة؛ ذكر جل وعلا أولا أنه وحده هو الخالق, وهذا من أعظم الأدلة على توحيد الألوهية؛ أنه لا خالق غيره.

وقد مر معنا في أمور كثيرة أن الله جل وعلا حكم بين خلقه, وقرر بين عباده أن من - خلق - الخلق هو الذي يستحق العبادة, ولقد استقر... أن الله جل وعلا وحده هو الخالق, فقال سبحانه: (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون), وقال تبارك وتعالى: (واتخذوا من دون الله ءالهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) ,إلى, وقال: (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه).

فجعل الله جل وعلا إيمانهم بتوحيد الربوبية ينبغي أن يكون طريقا إلى توحيد الألوهية, وأن الإيمان بتوحيد الربوبية وحده دون أن يُستدل به على توحيد الألوهية وتطبيقه وإفراد الله جل وعلا بالعبادة لا يقدم ولا يؤخر شيئا ولا ينفع صاحبه البتة فقال الله :(يا أيها الناس اعبدوا ربكم), والرب؛ مر معنا أن لفظ الألوهية يطلق إذا أريد به الإخبار عن حق الله على عبده, ولفظ الربوبية يطلق إذا أريد به حق العبد على ربه, وهذا مر معنا في تفسير سورة طـه؛ وقلنا إن الله جل وعلا لما أراد ن يأوي موسى ويُذهب عنه الهم والجزن والخوف قال له: (إني أنا ربك فاخلع نعليك), فلما أراد أن يكلفه قال له: (

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)، فلما أراد الله أن يبين ما أفاءه على خلقه قال: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم)، فذكر جل وعلا هنا فضله ونعمه ومنته على خلقه: (الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) فذكّرهم جل وعلا بأنه وحده هو خالقهم وخالق آبائهم من قبل.

ثم قال: (الذي جعل لكم الأرض فراشا): تطؤنها وتسيرون فيها، تغدون وتروحون في فجاجها، (والسماء بناءا).

ثم قال: (وأنزل من السماء): والمطر لا ينزل من السماء، ينزل من السحاب، لكن باعتبار أن السحاب قريب من السماء في العلو، والسماء في اللغة كلما علا وارتفع نسبه إليه.

(وأنزل من السماء ماءا فأخرج به من الثمرات) لماذا؟ (رزقا لكم)، وهذا من تعاهد الله جل وعلا لخلقه؛ فلما أثبت الرب جل وعلا أنه وحده الخالق، ووحده الرازق، كان حريا بهم أن يفقهوا أنه ينبغي أن يكون وحده هو المعبود فقال جل وعلا بعد ذلك ناهيا عباده أن يشركوا به قال: (فلا جعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) لأن الند لابد أن يكون فيه وصف لماذا؟ للمندود، كما أنه قد تقرر عقلا ونقلا أنه لا خالق إلا هو، ولا رازق إلا هو، ولا محيي ولا مميت إلا هو فكيف يكون له ندّ؟! فلهذا قال: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون).

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وكما قلنا في اللقاء الماضي: إن مفعول (تعلمون) محذوف لدلالة المعنى عليه, والمعنى: وأنتم تعلمون أنه لا ند له سبحانه وتعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

وقلنا إن هاتين الآيتين تضمنتا الأدلة الثلاثة مجملة: أدلة البعث والنشور.
لماذا أدلة البعث والنشور؟ لأن كفار قريش ما أنكروا شيئا؛ مشركو العرب جملة ما أنكروا شيئا إنكارهم للبعث والنشور, (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا), ولهذا قامت الأدلة في القرآن على إثبات البعث والنشور, وهي مجملة في ثلاث:
• الخلق الأول.
وعبر هنا بقوله (الذي خلقكم والذين من قبلكم) وشرحه وأظهره وفصله في سور أخرى: (كما بدأنا أول خلق نعيده), (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد).
• الأمر الثاني: الخلق خلق ما هو أكبر منه.
وأشار إليه هنا بالسماء, وفصله في غافر: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس).
• الأمر الثالث وهو: النظر في المتشابهات.
قال هنا: (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم), وهذا إحياء الأرض الميتة, وفصله في سور أخرى: (إن الذي أحياها لمحيي الموتى), وهذا كله من أجل إقامة الحجة, وإظهار المحجة حتى لا يكون للناس عذر, ويكون المهتدي على بينة من أمره, (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون).

ثم قال: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا): شاكون مرتابون أن هذا القرآن الذي

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

جاء به محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ليس من عند الله فإن كان من عند غير الله كما تزعمون فهو واحد من أمرين:
- إما أن يكون النبي هو الذي قاله من عند نفسه.
- أو أخذه من أحد مثله, من أحد مثله:يعني بشر آخر غير محمد صلى الله عليه وسلم.
فإما ابتدعه هو, أو أخذه من أحد غيره على حسب زعمكم.
هذا استلال بالمنطق؛ يعني لا يخرج قولكم عن أحد الأمرين.

فإن كان هذا القرآن من عند غير الله كما تزعمون فمعنى ذلك أنكم قادرون على أن تأتوا بمثله, لأن الذي أتى به وفق زعمكم مثلكم, فقال ربنا : (وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله), وفي آيات أخر: آية واحدة, وفي آيات أخر : عشر.
وهذه أول آيات التحدي في ترتيب المصحف.
أول آيات التحدي في ترتيب المصحف.
والذين يُتحدون هنا, الذين تحداهم الله ليسوا قوما عييِّين, وإنما قوم أرباب فصاحة وأئمة بلاغة عُرفوا بذلك, ومع ذلك قال الله: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله).
فالعرب كان لا يقوم لهم سوق يفتخرون به كسوق البلاغة والفصاحة, ومع ذلك تحداهم الله في الشيء الذي يتقنونه ويحسنونه ويجيدونه, لكنهم أنى لهم أن يأتوا بمثله لأن الأمر هين في النظرة إليه, أنى لمخلوق أن يأتي بكتاب يماثل كتابا أنزله الخالق. مُحال. أنى لمخلوق أن يأتي بقول أو كتاب يماثل قول أو كتاب الخالق تبارك

وتعالى.
(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)
وعبدنا المقصود: النبي صلى الله عليه وسلم, (فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين).

ثم قال ربنا: (فإن لم تفعلوا).
يعني الترتيب المنطقي.
جاءت جملة اعتراضية (ولن تفعلوا) فاصل.
الشرط: فإن لم تفعلوا فاتقوا النار , هذا الأصل.
(ولن تفعلوا) عند البلاغيين يسمى إطناب.
وقد مر معنا تحرير المقام البلاغي؛ أن الكلام فيه إيجاز, وفيه مساواة, وفيه إطناب.
والقرآن جاء بالإيجاز والمساواة والإطناب.
لكن إذا كانت هناك مصلحة في الإيجاز كان إيجاز, وإن كانت هناك مصلحة في المساواة كانت مساواة, وإن كانت المصلحة في الإطناب جاء الإطناب.
كقول الله مثلا تبارك وتعالى: (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) فـ(سبحانه) هذه زائدة, اعتراضية, لكن جيء بها إطنابا لتنزيه الله جل وعلا عما نسبه إليه الغير.
هنا جيء بـ(ولن تفعلوا) إطنابا حتى يكون إمعانا في التحدي, وبيانا لعجزهم, وقد قلنا من قبل إن هذا الأمر أو هذا القول أو هذا الحكم لا يمكن أن يقوله أحد غير الله.
قرينه في القرآن: (تبت يدا أبي لهب وتب) حررنا الكلام عنها في موضعها.
(فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) فالله

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

جل وعلا خلق نارا أرادها نكالا ووبالا لمن عصاه, سيأتي الحديث عنها في موضعه في الآيات المختصة بتفصيل النار, ومر معنا بعضها.
لما ذكر الله مآل أهل الكفر, ذكر مآل أهل الإيمان.
وغالب القرآن أنه يختم بمآل الصالح, كما في قوله تعالى: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ختم بقوله: (ففي رحمة الله هم فيها خالدون).
قال: (وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات).

فالمبشر.الآمر بالبشارة: الله.

والمكلف بالتبشير: محمد صلى الله عليه وسلم.

والمُبَشَّر: المؤمنون.

والمُبَشَّر به: (جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل).
سنأتيك من آخر المطاف.
معنى: (رزقنا من قبل وأُتوا به متشابها) قطاف الجنة دانية.يرون الثمرة,فيقطفونها.ويأكلونها.فتنبت غيرها, فإذا نبتت غيرها نظروا إليها؛هذه التي نبتت تماما في هيئتها مثل التي قطعت لكنها غيرها في الطعم.
{واضح؟}
هذا أصوب ماقيل في هذه المسألة.

وقيل أنها مقارنة بين ثمار الدنيا وثمار الآخرة,

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وقيل غير ذلك, لكن أظهر ما قيل ما حررناه: يرون الثمرة, يقطفونها, يأكلونها, تنبت غيرها فإذا نبت مكانها غيرها يكون شبيها بالأولى, فإذا استطعموها مرة أخرى وجدوها مخالفة لما غيرها, وهذا معنى قول الله: (وأُتوا به متشابها) ولم يقل: متماثلا.
لكن الفرق أن خيار الدنيا حسن وأحسن, أما خيرا الجنة لا رذل فيه, خيار الجنة لا رذل فيه, هذه عبارة (خيار الجنة لا رذل فيه) منسوبة إلى قتادة.

ومن قتادة!

قتادة بن دعامة السَّدوسي, أحد المفسرين المشاهير, كان أكمه أعمى, رحمه الله ورحمة واسعة.
(كلما) لغويا تفيد الاستمرار.
الأخطاء الشائعة في الاستعمال؛ أن الناس يكررونها؛ يقولون: كلما ذهبت إلى زيد كلما وجدت عمروا عنده.
هذا خطأ.
إنما تذكر في الأول فقط ولا تكرر, كما قال ربنا: (كلما رزقوا) أي المؤمنون (منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها), وضُمَّت اللام في (قبل) بُنيت على الضم لانقطاعها عن الإضافة . لانقطاعها عن الإضافة.
فإذا أضيفت أصبحت اسما معربا, تجري عليه الأحكام, مر معنا (من قبل صلاة الفجر), و (ومن بعد صلاة العشاء) فـ(قبل, وبعد) هنا جُرّت وعوملت معاملة الاسم المعرب, لأنها أضيفت, فإذا انقطعت عن الإضافة انتقلت من

كونها اسما مبنيا إلى كونها اسما معربا تجري عليه الحركات. (قالت أم المقدام : لعل كلمة: (انقطعت عن الإضافة) في الجملة السابقة سبق لسان).

قال الله تعالى: (قالوا) أي المؤمنون (هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم) أي المؤمنون (فيها أزواج مطهرة) مطهرة من كل سوء, خذها بعمومها أفضل, (وهم فيها خالدون) لأنه لا ينغص في الدنيا إلا الموت, ولهذا يُنادى أهل الجنة: أن حياة بلا موت.

ثم قال ربنا وهو أصدق القائلين: (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا): مر معنا أن ضرب الأمثال تريد به العرب ثلاثة أمور:

*** إيجاز اللفظ.**

*** ودقة التشبيه.**

*** وإصابة المعنى.**

هذا مر معنا في شرحنا لقول الله تعالى: (الله نور السموات والأرض مثل نوره).
هنا يخبر الله جل وعلا أن الرب تبارك وتعالى في بيان الحق للناس الغاية من ضرب الأمثال إظهار الحق, وإقامة الحجج.

والأمثال كما مر معنا لابد أن تكون قريبة من الناس, واضحة, فمن استنكر أن الله قال: (يا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) فعبر بالذباب لأن الذباب أمر لا يختلف الناس فيه؛ معروف, كذلك البعوض, والمقصود إقامة الحجة وإيضاح المحجة وهذا لا يكون إلا بالشيء المتعارف عليه.

والناس أصلا في تلقيهم لخطاب القرآن فريقان:

- فريق يؤمنون كما قال الله في العظماء من أهل الإيمان: (والراسخون في العلم يقولون ءامنوا به كل من عند ربنا).
- وأما غيرهم فيصيبهم الشك (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) فيأتي الجواب؛ قال الله تعالى: (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين)..إذا نزلت الأمثال القرآنية والحجج الإلهية اختلف الناس فيها فأهل الفسق يضلون عنها.

ثم ذكر الله جل وعلا جملة من صفاتهم: (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وأعظم ما أمر الله به أن يوصل: الرحم (ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون).

ثم جاء استفهام استنكاري توبيخي

طبعا مرت معنا آيات سبق الحديث عن مثيلاتها فلا حاجة للتكرار.

قال: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون), كيف:

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

استفهامية اتفاقا؛ والاستفهام هنا يراد به الاستنكار والتوبيخ (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا) أي في العدم (فأحياكم) الحياة التي تعيشونها (ثم يميتكم) انفصال الروح عن الجسد (ثم يحييكم) أي البعث والنشور (ثم إليه ترجعون)؛ هذا أصوب ما قيل فيها.

****

(هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا): هذه قاعدة أصولية: أن الأصل في الأشياء الإبــاحة.

(هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء): خلق الله الأرض قبل السماء, فاستوى إلى السماء يعني: انصرف إلى خلقها,. وقد مر معنا أن الفعل (استوى) يأتي متعديا بحرف الجر (على) ومتعديا بحرف الجر (إلى), ويأتي من غير تعد بحرف جر.

فإذا جاء من غير تعد بحرف الجر فيعني الكمال والتمام (ولما بلغ أشده واستوى) كمل ونضج.

وإذا تعدى بحرف الجر (إلى) وهنا يعني القصد من شيءٍ إلى آخر (ثم استوى إلى السماء)

.

وإذا تعدى بحرف الجر (على) فيعني العلو والارتفاع, (تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه). وعلى هذا أصبحت ظاهر قول الله جل وعلا: (الرحمن على العرش استوى).

(ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات) أقربها إلينا تسمى: السماء الدنيا, لأنها دانية إلينا, وأعلاها: السماء السابعة, وهي معمورة بالملائكة, (وهو بكل شيء عليم).

ثم قال جل وعلا: (وإذ قال ربك للملائكة إني

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون):

هذه يمكن تناولها من عدة وجوه:

*** هذا الأمر كان قبل أن يخلق الله جل وعلا آدم, أخبر الملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة, قال بعض العلماء: إن آدم خليفة بمعنى خليفة الله في الأرض في إعمارها, وهذا لا يستقيم شرعا, ولا أرى أنه ينبغي أن يقال به, لأن الخليفة عن الشيء يكون من جنسه, وآدم مخلوق والله خالق؛ هذه واحدة. فنستبعدها أن يكون المقصود بخليفة أي خليفة عن من؟ عن الله.**
{واضح الآن}.

ننتقل إلى مسألة أخرى:

*** هل خليفة هنا بمعنى خليفة عمن سبق؛ فيكون المعنى: آدم عن غيره؟ أو خليفة اسم جنس أفرد أريد به الجمع فيصبح الخطاب ليس عن آدم, عن ذريته التي بعده؟ {واضحة الفكرة}.**

على الأول: خليفة عمن كان يعمر الأرض؛ على ما ذكره المؤرخون أن الجن كانت تعمر الأرض, وهذا يستقيم نوعا ما باعتبار أن الجن وآدم كلاهما مخلوق. كلاهما مخلوق, وهو عندي بعيد على هذا القول وإن كان يعني قول قال به كثير من العلماء.
ثم تأتي خليفة هنا على أنها اسم أفرد يراد به الجمع, كقوله تعالى: (خلائف في الأرض), وقال: (خلفاء الأرض) يعني سأجعل من آدم له ذرية يخلف بعضهم بعضا, هذا يصبح معنى كلام

الله لملائكته.
فأين الدليل على أن اسم الجنس المفرد في اللغة أو في القرآن من بابٍ أولى يأتي المقصود به الجمع؟
قال الله تعالى في خاتمة سورة القمر: (إن المتقين في جنات ونهر) فأفرد نهر وقصد ماذا؟
أنهار. لأن جنات جمع وأنهار جمع, لكنه أفردها لأنها اسم جنس, وأين الدليل على أنها أنهار؟ أنه قال في آيات أخر فيها أنهار من كذا وكذا وكذا, فالجنة فيها أنهار, وقال: (تجري من تحتهم الأنهار), (من تحتها الأنهار) قبل قليل مرت معنا, لكنه اسم جنس مفرد أريد به الجمع, وهذا القول اختاره ابن كثير رحمه الله تعالى: أن خليفة هنا اسم جنس أريد به الجمع والمقصود به ذرية آدم. {واضح الآن}. هذا تفصيل معنى خليفة.
قال القرطبي رحمه الله :وغيره من العلماء.إن هذه الآية.وهذا مهم في الوقت الحاضر: إن هذه الآية أصل في أن يتخذ الناس إماما وخليفة.
إن هذه الآية أصل في أن يتخذ الناس إماما وخليفة.
يتحرر عن هذا مسألة: هل اتخاذ الخليفة واجب بالشرع, أو واجب بالشرع والعقل, أو واجب بالعقل ؟
قالت الإمامية۔ من الإمامية؟
فرقة من فرق الشيعة.
الإمامية الاثني عشرية قالوا: إنها واجبة بالعقل.
وقال بعض العلماء إنها واجبة بالشرع .
والصواب أنها واجبة بالشرع والعقل.
واجبة بالشرع والعقل.
هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية:ما هي طرائق تنصيب الإمام شرعا؟
ما هي طرائق أو صور تنصيب الإمام والخليفة شرعا؟
لها عدة صور:
الصورة الأولى :إجماع أهل الحل والعقد.أو اتفاق أكثرهم عليه.
مثاله خلافة من ؟
الصِّدِّيق .
فإن الصحابة رضي الله عنهم من أمراء المهاجرين والأنصار أجمعوا على خلافة أبي بكر.
هذا على القول أن أبا بكر لم ينصبه النبي صلى الله عليه وسلم, أنا ما أريد أن ندخل مسألة الخلاف هذه .نبدأ بما هو ظاهر
الحالة الأولى : ماذا؟
إجماع أهل الحل والعقد عليه.

الحالة الثانية في تنصيب الخليفة المسلم .
أن يوصي له من قبله.
أن يوصي له من قبله.
مثاله: عمر .فقد أوصى له من؟
أبو بكر, وصى بعمر خليفة من بعده. كما وصى عمر للستة من بعده

قلنا ماهي الطريقة الأولى:
إجماع أهل الحل والعقد, أو اتفاق أكثرهم مثلنا له بخلافة الصديق.
الحالة الثانية: الإمام الذي قبله يوصي له به, لأنا إذا اتفقنا أنه موجود إمام له بيعة شرعية وأوصى لواحد من بعده أنت مطالب بماذا؟ بما قاله الإمام؛ الأول لأن الأمام الأول له بيعة,

فقوله نافذ, فإذا وصى لمن بعده لا حاجة لأن تأتي بأهل الحل والعقد على الثاني. {واضح}. فلما وصى أبوبكر لعمر لم يجتمع الناس ليقرروا يوافقون على عمر أولا يوافقون, لأن الأول كان له بيعة شرعية. {واضحة الفكرة}. فبدهي جداً أن يكون مما أمرنا الله بطاعته فيه اختياره عن لمن بعده ,هذه الحالة الثانية.

الحالة الثالثة:

أن يتغلب على الناس بسيفه وقوته.
أن يأتي إنسان يُمكن له في الأرض بسيفه وقوته, ومثلوا لها بخلافة عبد الملك بن مروان؛ فإن عبد الملك بن مروان لم يوصِ له من قبله, ولم يجتمع عليه أهل الحل والعقد, وإنما غلب الناس بيد الحجاج؛ لما قَتَل الحجاج عبد الله بن الزبير دانت الأرض لمن؟ الأرض الإسلامية لمن؟ لعبد الملك بن مروان. {ظاهرة هذه}.
هذه الحالات الثلاث التي يكون بها تنصيب الوالي أو الإمام المسلم, وقلنا إن الآية أصل في قضية الخلافة.
(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون)
,,,,,,,,,,

(وعلم آدم الأسماء كلها):
هذه واحدة من أربع شرف الله بها آدم. وهي: بقيت ثلاث:
الأولى منها: المذكورة في الآية: علمه أسماء كل شيء.

*** خلقه بيده.**

*** نفخ فيه من روحه.**

*** و أمر الملائكة بالسجود له.**

هذه لم تجتمع لأحد.

خلقه بيده, نفخ فيه من روحه, و أمر الملائكة بالسجود له. {طيب}.

من آدم؟

علمٌ عظيم.
آدم أبو البشر عليه السلام, نبي مكلم صح بذلك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, خلقه الله جل وعلا بيده بنص القرآن, ونفخ فيه من روحه, وأمر الملائكة بالسجود له.
قال الله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم) أي الأسماء (على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء) قال الشنقيطي رحمه الله في التفسير: المقصود المسميات (إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك) وهذا من أدب الملائكة عند ربها (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) فالإنسان إذا سُئل عما لا يعلم لا يضره أن يقول: لا أعلم, فقد قالت الملائكة بين يدي ربها (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم).

(قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

تكتمون):
هذا حوار كان في الملأ الأعلى بين الرب جل جلاله وبين ملائكته يظهر فيه علم الله جل وعلا الذي يحيط بكل شيء, وعجز علم المخلوقين ولو كانوا ملائكة مقربين.
ثم, هذه أشياء ظاهرة لا تحتاج إلى تعليق أكثر من هذا.

ثم قال الله جل وعلا – وهذه نختم بها - : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين).
الله جل وعلا يمن على من يشاء بفضله.
أمر ملكا من الملائكة أن يقبض قبضة من الأرض؛ من هذه القبضة مزجت بطين, ثم إن هذه شُكل منها يعني خلق منها آدم, ثم نفخ الله جل وعلا في آدم فدبت فيه الروح, ثم أمر الله جل و علا الملائكة بالسجود له.
الأمر بالسجود أمر رباني.
من سجد من الملائكة, وهم كلهم سجدوا, سجدوا طاعة لمن؟
لله.

سجود تحية لمن؟
لآدم.
وليس سجود عبادة أن الملائكة سجدت عبادة لمن لآدم.
فنحن مثلا في الصلاة نسجد تجاه القبلة, فنحن لا نعبد الكعبة, وإنما نتعبد الله بالسجود إلى جهة الكعبة.
نرفع يدينا إلى أعلى إلى السماء, فنحن لا نعبد السماء, لكن نتعبد الله برفع أيدينا إلى السماء لأن ربنا في السماء.{واضح؟}

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

فسجدت الملائكة إجلالا لله وإكراما لمن؟ لآدم.

كان إبليس وقتها يغدو ويروح مع الملائكة, هذا الذي يدل عليه ظاهر القرآن, ولم يكن من الملائكة ؛ يعني لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين, وقد بينا في سورة الكهف القرائن والأدلة أنه ليس من الملائكة:

- أنه عصى, والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم.

- وأنه مخلوق من نار, والله جل وعلا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم مخلوقون من نور.

- وأن الله قال في نص القرآن: (إلا إبليس كان من الجن), وذكرنا أشياء أخر.

لما أمر الله الملائكة بالسجود امتنع إبليس؛ والسبب في منعه: القياس. قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين, فجعل إبليس أن كونه مخلوقا من عنصر النار أفضل من عنصر الطين, فأدخل القياس مقابل النص, وهذا أخذ منه الأصوليون أن القياس إذا عارض النص يسمى: قياس فاسد الاعتبار. يسمى : قياس فاسد الاعتبار.

لو سلمنا جدليا أن عنصر النار أفضل من عنصر الطين فلا سبيل بهذا القياس إلى أن نرد نصا وهو قوله: (اسجدوا). وهو قوله: (اسجدوا).

والخلف في النص والإجماع دعا * فاسد الاعتبار كلُّ من وعى**

يعني كل من وعى من العلماء (دعا) يعني: سمى مخالفة النص والإجماع أنها قياس فاسد الاعتبار, وأول من اتخذه طريقا: إبليس.

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين):

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أبى: أي امتنع.

واستكبر: دخله الكبر.
والكبر مر معنا في دروس عدة أنه أول ذنب عُصي الله جل وعلا به.
تلبس به إبليس فاستكبر,كما تلبس آدم بالحرص فأكل من الشجرة, وكما تلبس قابيل بالحسد فقتل أخاه؛ مع الفوارق في الذنوب, فكل ذنب عُصي الله به مرده إلى أحد هذه الثلاثة:
إما كبر, وإما الحرص, وإما الحسد.

قال ابن القيم رحمه الله: أصول الخطايا ثلاثة:

الـكبـر.

والـحـرص.

والـحـسـد.

الكبر, والحرص, والحسد.
(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين).
. , . , . , . , . , .

(وقلنا يا ءادم اسكن أنت وزجك الجنة): بعد أن خلق الله جل وعلا آدم خلق منه زوجه حواء, واختلف العلماء: هل كان خلق حواء بعد دخول آدم الجنة؟ أو قبل دخولها؟ وهذا حررناه في سورة طه.
(وقلنا يا ءادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا) بألف التثنية, خطاب الاثنين (منها) أي من الجنة (رغدا حيث شئتما) ثم جاء الابتلاء

القرآني (ولا تقربا هذه الشجرة) والله لم يذكر ما هي الشجرة (فتكونا من الظالمين)بأكلكما لها, ظالمين لمن؟ لأنفسكما, (فأزلهما الشيطان) وهذا عام بينه الله أنه وسوس لهما وأنه قاسمهما إني لكما لمن الناصحين, وهذه كلها مرت معنا.

(فأخرجهما مما كانا فيه) أي من نعيم الجنة (وقلنا اهبطوا) بواو الجمع.

وحررنا مسألة: هل هي الجنة في السماء السابعة؟ أو الجنة في السماء الدنيا؟ أو الجنة في الأرض؟ هذا كله مر معنا.

(وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو): قال بعض العلماء: إن مما أُهبط الحية, واحتجوا بأن الله قال: (بعضكم لبعض عدو) بقرينة أن النبي عليه الصلاة والسلام لما ذكر الحيات قال:(ما سالمناهن منذ حاربناهن), فأبليس عدو بالاتفاق, والحيات دلت عليها السنة, فلا يُستبعد أن تكون الحية أُهبطت معهم, فإن المشهور عند المؤرخين: أن إبليس دخل الجنة عندما وسوس لآدم في خياشيم الحية. وهذا من مليح القول لا من متين العلم, ولا يتعلق به أمر ولا نهي, ولا ثواب ولا عقاب, فلا تُعنِّف إذ لم تقبله, ولا حرج عليك إن قبلته.

(ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) أي ما كتبه الله جل وعلا للناس أن يبقوه.

ثم قال الله جل وعلا - وهذا من أعظم الأدلة على رحمة الله بعباده أن فتح لهم باب التوبة - قال : (فتلقى آدم من ربه كلمات) فآدم عليه السلام لما فاء إلى ربه وندم على ما كان منه, الذي علمه كيف يعود هو الرب المعبود جل جلاله, وهذه الكلمات لم تتضح في سورة البقر,

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

لكنها ظهرت في سورة الأعراف: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين), وقد جاء العلماء يقولون في الحياء؛ إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض من حيائه من ربه لم يرفع بصره إلى السماء.
(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) أي ربه (إنه هو التواب الرحيم).
وقد جعل الله جل وعلا باب التوبة مفتوحا حتى لا يأخذ أحد صورة كاملة عن نفسه قبل أن يموت. { واضح } يعني لا يوجد نهاية لك تصل إليها, فالإنسان معرض للطاعة ومعرض للمعصية (إنه هو التواب الرحيم).

ثم كرر الأمر (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون): هذه لها نظائر كثيرة في القرآن, مجملها يدل على أن الله جل وعلا أنزل آدم فلما اجتالت الناس الشياطين بعد عشرة قرون من نزوله أرسل الله الرسل بدءا بنوح, وختاما بمحمد صلى الله عليه وسلم, وأنزل مع هؤلاء الرسل الهدى والنور والبيان, ثم أخبر عباده من قبل ولاحقا أنه من آمن منهم واتبع ذلك الهدى الذي أنزله فلا خوف يعتريه عند الموت, ولا حزن ينتابه بعده, وأما من غلبت عليه شقوته وكذب ما أنزله الله, واتبع هواه, وأفرط على نفسه؛ فأولئك أصحاب النار مستقر لهم ومتاع هم فيها خالدون, مثيلهم مثل أهل الجنة الذين قال فيهم: (وأزواج مطهرة وهم فيها خالدون).
والله جل وعلا حكم عدل ورب ذو فضل, وهذه أمور أخبر الله جل وعلا بها لتقوم بها الحجة

على عباده.

ثم قال جل وعلا: (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم): والحديث عن بني اسرائيل سيأتي إن شاء الله مستفيضا في اللقاءات القادمة, لكن قبل أن أنهي؛ أبين أن الله جل وعلا في سورة البقرة لما ذكر الطوائف الثلاث التي حررناها, وهم : المؤمنون الخلّص, والمنافقون, والكافرون, كان يبين أحوال معاصرة يعيشها المجتمع المدني, وحتى يكون للناس سَير؛ لابد أن يتعظوا بما سبق, فبعد أن بين الله جل وعلا حال المخاطبين, ذكر لهم حال السابقين حتى يتعظوا فيهم, فما أفلحوا فيه ونجوا بسببه أخذوا به, وما كان سببا في هلاكهم وبعدهم عن الله كان عليهم أن يتوخوه, والله جل وعلا الراية في قيادة البشرية جعلها راية روحية, فكل أمة حملت الدين: صدرها الله جل وعلا, فصدر الله بني إسرائيل في حقبة من الدهر: (ولقد اخترناهم على علم على العالمين), فلما زاغوا وقتلوا الأنبياء, وأعرضوا عن طريق الله جل وعلا سلب الله منهم هذه الراية, وقيادة الناس, وزمام البشرية, وأعطاه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم, فحتى تكون هذه الأمة على بينة في أمرها في سيرها إلى طريق الله؛ أكثر الله جل وعلا في القرآن من خبر بني إسرائيل, وقول الله جل وعلا هنا: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أول آية وفق ترتيب المصحف الذي بين يدينا يتحدث عن بني إسرائيل, وسيأتي بعد ذلك أمور كثيرة في أحوالهم, وأخبارهم, وأحوالهم مع أنبيائهم على وجه الخصوص حتى تعرف هذه الأمة أمة محمد التي أعطاها الله قيادة البشر فيما أخطأ

السابقون فيجتنبوه, وبما ساد السابقون فيأخذوا بزمامه, وهذا كله من دلائل قول الله في أول السورة: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين), فمن هداه ما ضرب الله فيه من أمثال, وما أخبر الله فيه من أخبار, وما قص الله فيه من قصص, وما بين الله به من شرائع يتعظ بها الحاضر والباد إلى يوم يقوم فيه الأشهاد, ويحشر فيه العباد.

جعلنا الله وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

وجعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بهذا القرآن, ويعمل به, سائلين الله لنا ولكم التوفيق والسداد.

نقول كما نقول دوما:
هذا ما تهيأ إيراده, وأعان الله على قوله, وهو وحده الموفق والمسدد..

وصلى الله على محمد وعلى آله..

والحمد لله رب العالمين.,
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, أحمده سبحانه وتعالى على آلائه ونعمه, وأسأله جل وعلا المزيد من فضله وكرمه, وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له, لا رب غيره, ولا إله سواه, وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله, صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين..

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
أمـــا بعـــــــد:

**فيتجدد في هذا اللقاء التعليق والتأويل لسورة البقرة؛ فسطاط القرآن.
وقد مضى القول أن هذه السورة المباركة؛ سورة شَمَلت الكثير من الأحكام والمعارف, وشتى ما يمكن أن يتعلق بحياة المسلمين في مجتمعهم المدني, ذلك أنها من أوائل السور التي أنزلت في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

وقد مر معنا أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خاطب الأنصار يوم حنين أمر مناديا أن ينادي: (يا أهل سورة البقرة), لأن الأنصار أهل المدينة الأولين كانوا لا يفخرون بشيء بعد إيمانهم أكثر من فخرهم بنزول هذه السورة بين ظهرانيهم في مدينتهم , فنسبت إليهم.

وقد مر معنا كما قلت في أول الحديث أنها فسطاط القرآن.

وانتهينا في اللقاءات الماضية إلى قول الله جل وعلا: (فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) إن فتح باب التوبة من أعظم الدلائل وأجل القرائن على إرادة الله بعباده الرحمة, لأن الله لو لم يرد بعباده الرحمة لأقفل عليهم باب التوبة.

لكن! وقعت المعصية من آدم عندما استزله الشيطان, فكان سماع آدم للشيطان وخضوعه لقوله في جزئية ما؛ هي الأكل من الشجرة سببا في خروجه منها, لكن الرحمن الرحيم تداركه

برحمته, قال الله جل وعلا: (فتلقى ءادم من ربه) وفي هذا إشعار أن الله أراد أن يرحم هذا العبد الصالح, وقد قال الله جل وعلا وقد مر معنا في سورة طه: أن الله اجتباه, وهداه, وغفر له.

ولذلك حررنا فيما سلف أنه لا يقال في حق آدم أنه عاصٍ على إطلاق, إنما إذا أريد أحد أن يتحدث عن آدم عليه السلام يتحدث عنه باللفظ والمقدار الذي ذكره القرآن.

الأدب معه من جهتين:
- من جهة أنه أب لنا, نسبنا إليه: (يابني ءادم).
- والأعظم من ذلك أنه نبي, بل ونبي مكلم كما صح بذلك الخبر عن رسولنا صلى الله عليه وسلم.

الله هنا لم يذكر ما هي الكلمات.
لكن! قلنا في نهاية الدرس الماضي: أن العلماء قالوا: إن الكلمات هن اللواتي ذكرهن الله جل وعلا في سورة الأعراف: (ربنا ظلمنا أنفسنا).

لكن قول الله جل وعلا هنا: (فتلقى ءادم من ربه) ليس فيه طرد لحواء, بل هي مندرجة معه, لكن قال أهل العلم – ونعم ما قالوا – قالوا:

إن المرأة مستورة, لا تذكر إلا لحاجة.

فهنا لم يذكر الله جل وعلا توبة حواء لأنها تبع لآدم, كما ذكر الله في المعصية, قال: (وعصى ءادم ربه فغوى) ولم يذكر معصية حواء, وإن كانت القرائن تدل على أن آدم إنما أكل من

الشجرة بمشورة من حواء, لكن المقصود: أن المرأة مستورة, (حرمة مستورة) وفق تعبير القرطبي رحمه الله, فعلى هذا لم يذكرها الله. لكن كون عدم ذكرها لفظا لا يعني أبدا أن الله لم يقبل منها شيء, تدل عليه آية الأعراف: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

نقول قال الله بعد ذلك – وهنا يبدأ لقاؤنا الذي نحن فيه - : (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون):
أول ما يشكل على طالب العلم هنا عندما يريد أن يتأمل هذه الآية هو: أن الهبوط تكرر مرتين! تكرر قبل قليل: (وقلنا اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو), وتكرر بعد آية: (فتلقى ءادم من ربه كلمات), أي أن آية: (فتلقى ءادم من ربه كلمات) جاءت فاصلا مابين ذكر الهبوط الأول والهبوط الثاني.

على هذا اختلف العلماء:
هل الهبوط الأول هو عين الهبوط الثاني, وإنما اللفظ تكرر؟

أو أن الهبوط الأول غير الهبوط الثاني؟

توضيح المسألة:
من العلماء من يقول إن الهبوط الأول إنما هو هبوط من الجنة إلى السماء الدنيا, لآدم.
هبوط من الجنة إلى السماء الدنيا, ثم جاءت آية: (فتلقى ءادم من ربه), ثم جاء قول الله جل وعلا: (قلنا اهبطوا منها جميعا) فقالوا هذا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الهبوط غير الهبوط الأول, وإنما هبوط من السماء الدنيا إلى الأرض.

لكنني أقول: أن هذا بعيد, لأن اللفظ:

جاء على هيئة جمع (اهبطوا), هذا واحد.

والأمر الثاني: ذكرت الأرض في الأول ولم تذكر في الثاني, لو ذكرت في الثاني لكان لقولهم مسوّغ, لكن القول الأول بعيد؛ لأن الأرض ذكرت في الهبوط الأول ولم تذكر في الهبوط الثاني.

فحسن حمل الثاني على الأول.
لكن صعب حمل الأول على الثاني.

فنعود فنقول: الذي يظهر والعلم عند الله: أن المسألة مسألة بيان لفظي, وبلاغي.

والمعنى:
لما ذكر الله الهبوط, فصل عن ذكر ما حصل لآدم بعد ذلك, وما كلف الله جل وعلا به بنيه بعد ذلك فصله بذكر التوبة على آدم.
فلما ذكر ربنا التوبة على آدم؛ عاد وكرر الهبوط حتى يبدأ السياق من جديد ويؤخذ بخطاب لفظي بعد أن تُرك. {يظهر هـــــذا؟}.

قال الله تعالى: (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى) هنا لم يذكر العداوة, وذكرها في الأول: (اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو).

والمشهور - والعلم عند الله - وقد قلت فيما سلف : أننا نذكر أحيانا شيئا من متين العلم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يتعلق به جنة ونار, ويتعلق به حكم شرعي, ونذكر أحيانا نتفا من مليح القول يغلب على الظن أنها مقبولة, لكن لا يُبنى عليها أمر عملي, لكنها تفتق الذهن, وتوسع المدارك, وتجعل مجالات المعرفة واسعة بين يديك, فتقيس أنت بعد ذلك الأشباه والنظائر, وسيتكرر هذا كثيرا. هبوط آدم مر معنا ذكر العلماء فيه.

الهبوط هنا ظاهر الأمر أنه تم لأربعة:

لآدم.

وحواء.

وإبليس.

والحية.

لآدم, وحواء.
و إبليس, والحية.

أما آدم وحواء وإبليس؛ فلا أظن أحدا ينازع فيها, لكن القضية قضية الحية, لابد من قرائن تدل على هذا.

المشهور عند أهل العلم أن إبليس دخل الجنة عندما أراد أن يوسوس لآدم عند طريق, عن طريق الحية. هذا واحد.

الأمر الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق الحيايا: (ما سالمناهن منذ أن حاربناهن), و في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود

أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في منى, في غار, - والقرآن مرّ معك: منه مدني, ومنه مكي, ومنه ليلي, ومنه نهاري, ومنه سمائي, ومنه أرضي, ومنه في الكهوف, والمعنى باعتبار النزول – فكان النبي صلى الله عليه وسلم في غار ومعه أصحابه, ويتلو عليهم : (والمرسلات عرفًا), لتوّها نزلت, يقول ابن مسعود: لتوّها نأخذها رطبة من فيه عليه الصلاة والسلام؛ فإذا بحية, فقال صلى الله عليه وسلم: (اقتلوها), قال فابتدرناها لنقتلها فأوت, يعني: رجعت إلى جحرها, فقال عليه الصلاة والسلام: (سلمت من شركم, وسلمتم من شرها), شركم: يعني القتل, وشرها: أذاها.

هذه القرائن تدل على أن الحيايا عدو, فتؤكد أن الحية هي رابع من نزل من السماء مع آدم وحواء وإبليس.

يتعلق بالحديث هذا نقطة مهمة جـــــــــــــــدا: وهو أن الورع شيء قلبي.
ليس شيئا مصطنع يُصنع ليراه الناس, وإنما الورع ينبثق من ذات الإنسان, فإذا جاء عند المرء ما يغلب على الظن أنه ليس بورع تركه, ولو ظن الناس أن في تركه ترك للورع.

أين هذا من القصة؟

هذا نبي الأمة, رأس الملة, يتلو قرآن, وحوله أصحابه, فتخرج حية, فيقطع الوحي, ويقول: (اقتلوها), الصحابة يتركون النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن, توقف, ويذهبون إلى حية يقتلونها.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
لو حدث هذا في زماننا لشنَّع الناس على فاعليه, لأن المدارك تختلف.
شتان ما بين همه رضوان الناس, كيف يصل إليهم؟
وبين من همه الحقائق, كيف تطبق على الوقائع؟
يختلف الصنفان اختلافا جذريا.

العدو عدو, لا يمكن أن يتغير ولو لان مرة,أو اتفقت مصالحك مع مصالحه مرة يبقى عدوا لايؤمن.
ولا يوجد عاقل له مسكة من عقل يأمن عدوه قط.
إذا أمن عدوه فقد أسلم نفسه لعدوه يسوقه كيف يشاء.

قيل لمعاوية رضي الله تعالى عنه وأرضاه: ما بلغ من عقلك؟
قال: لن آمن أحدا قط.

طبعا؛ درجات الناس.

فإذا كان هذا مع الخلان والأصحاب, والخلطاء, والقرباء, فكيف بالأعداء!

وإذا كان إبليس قد أقسم لأبوينا أن ينفعهما فأهلكهما بالذنوب, فكيف وقد أقسم لله أن يهلكنا! ماذا سيفعل بنا!!
فأعظم الأعداء إبليس, (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير), على هذا سواء في عداوتنا مع إبليس فرارا منه طلبا للآخرة, أو مع غيره ممن

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
حولنا, العدو عدو, والإنسان العاقل يكون واضحا في تعامله, ثمّت أمور يمكن إرجاؤها, وثمّت أمور لا تقبل الإرجاء ولا التأخير أبدا, كقتل الحية هاهنا.

(قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون):
الإنسان أعظم ما يعتريه: أن يخاف مما هو قادم عليه, أو أن يحزن من شيء قد فات.
هذا أعظم ما يعتري العبد.
فلما كان كل بلاء ينضوي تحت هذين؛ أمَّن الله جل وعلا أهل طاعته منه, فتكرر في القرآن كثيرا: (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

ولكن الناس كلما بعد فقههم عن ألفاظ القرآن ومعانيه, جعلوها ألفاظا دارجة على ألسنتهم.
فيكثر على ألسنة العامة؛ يذكرون سياقا من القول ثم يقولون: ولا هم يحزنون, ويرونها كلمة هينة يتمون بها كلامهم لبعد الناس عن المعنى الحقيقي لمراد لله جل وعلا.

الإنسان إذا جابه الموت؛ يخشى مما بعده.

يخشى من القبر.

يخشى من الصراط.

لا يدري أين مآله؟

ويحزن على ما كان لديه من قرابة, وأهل, ومنصب, وجاه, ومال, وأولاد, وضعفاء, وزوجة,

وغير ذلك, فتؤمنه الملائكة مما هو قادم,
وتطمئنه ألا يحزن على ما قد فات.
ومن وفق لهذين فقد سلم, وهو السلام الذي
أراده الله بقوله في حق الحبيبين النبيين: يحيى
وعيسى: والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت
ويوم أبعث حيا. (فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون).

ثم قال الله جل وعلا: (والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون):
الآن كن طالب علم؛ ائت بها بالعكس؛ (هم فيها
خالدون) قُدم فيها الجار والمجرور على الخلود,
فأفاد ماذا؟

أفاد الحصر.
أفاد الحصر. أي أنهم خالدون فيها أبدا. هذا
معنى: (هم فيها خالدون), قلنا سنبدأ بالعكس.

نأتي لصدارة الآية:
(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا):
هذه القرينة: (هم فيها خالدون) أُتي به لتذهب
عنك اللبس. لماذا قال الله: (وكذبوا بآياتنا)؟
معلوم أن الكفار مكذبون بالآيات, لكن الله قالها
حتى لا ينصرف الكفر الأول إلى كفر النعمة.
لو قال: والذين كفروا بآياتنا قد ينصرف إلى
كفر النعمة, وكفر النعمة لا يوجب الخلود على
إطلاقه, لكن هنا قال: (والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النارهم فيها خالدون),
فقول الله جل وعلا: (هم فيها خالدون) دلالة
على أنه يقصد الكفار الحقيقيين.
وقد دل على أنه يقصد الكفار المنكرين للبعث

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

واليوم الآخر طريقان:

الطريق الأول: قوله بعدها: (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا).

والطريق الثانية: الحصر في قوله جل وعلا: (هم فيها خالدون) أي: النار.

هذا كله مما سلف كان يتكلم عن أحوال أهل الكفر, وتقريعهم وبيان الحق لهم.

ثم انصرفت السورة إلى ذكر اليهود.

وناداهم ربهم جل وعلا بقوله: (يا بني إسرائيل).

اليهود كانوا يسكنون المدينة كما مر معنا في التأصيل الأول في سورة البقرة, وهؤلاء كانوا في الأصل على ملة موسى ثم إنهم بدلوا كما هو معلوم.
كان في هؤلاء اليهود حملة كتاب يقرؤن كتابهم, مطلعون على أسراره, والقرآن – وهذا مهم استصحابه قبل الحديث – جاء معجزا بلفظه للعرب, وجاء معجزا بعلمه لأهل الكتاب.

أُعـــيـــد:
- هذا من نفائس العلم, تُدوَن –
القرآن جاء معجزا بلفظه للعرب, وجاء معجزا بعلمه لأهل الكتاب.
جاء معجزا بعلمه لأهل الكتاب.

أمــا تحرير ذلك, تحرير ذلك وبيانه على الوجه

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

التالي:

العرب كانوا أمة بليغة, فلما نزل عليهم القرآن على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم إنما أذهلهم ذلك الرقي في البيان الذين هم أهل صنعته ولم يقدروا على أن يحاكوه, فلهذا نسبوه إلى كل شيء: (إن هذا إلا سحر يؤثر).

أما اليهود العبرانيون فلم ينزل القرآن بلغتهم؛ نزل بلغة العرب, لكنهم كانوا أهل علم, فكشف الله بالقرآن أجمّا من العلم الذي كان مكنونا في صدورعلمائهم, فكان الإعجاز بالنسبة للقرآن إليهم أن ما لم يُطلِعوا عليه أتباعهم, أطلع الله الأتباع عليه, وأخرج الله جل وعلا ما هو مكنون في صدور أولئك العلماء للناس.
فكما كان القرآن معجزا بلفظه للعرب, كان معجزا بعلمه لأهـــل ماذا؟ لأهل الكتاب, وهذا الذي سيأتي بعض هذه الأخبار التي ذكرها الله عن بني إسرائيل لا يعرفها إلا قلة من أهل الكتاب, بل إن منها من لم يعرفه أهل الكتاب أصلا, وهذا كله حتى يستبين لهم أن هذا النبي هو النبي الموعود الذي بشر الله جل وعلا به, والأنبياء من قبله. {ظاهر؟}
() . () . () . () . () . ()

قال الله تعالى: (يا بني إسرائيل), المقصود من القرآن: كسب الناس, ووعظهم.
فلاطفهم ربهم هؤلاء اليهود حتى تقوم الحجة وتتضح المحجة ناداهم الله جل وعلا نداءا كريما: (يا بني إسرائيل), وإسرائيل قطعا هو من؟ يعقوب عليه السلام ابن إسحاق ابن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

من ذريته نشأ بنو إسرائيل.
فنادهم الله تعالى باسم عبد صالح هو إسرائيل.
وبعض العلماء كالجوهري في الصحاح يقول: إن الأنبياء الذين لهم اسمان, يعقوب: إسرائيل, ويعقوب. يعني له اسمان.
ومحمد, وأحمد. جاءت في القرآن.
وذكر ذو الكفل و اليسع أو إلياس أنهم شخص واحد, لكن الحق أن الجوهري رحمة الله تعالى عليه صاحب الصحاح وإن كان إماما في اللغة لكنه ليس معدودا في علماء التاريخ, فقوله هذا لا يقبل, أما يعقوب وإسرائيل فنعم, وأما محمد وأحمد فنعم, أما أن إلياس هو نفسه ذو الكفل لا, فرق القرآن بينهما. {هذا واضح؟}, ثم ذكر المسيح, المسيح اختلف هل هو اسم أو لقب, والمقصود أن إطلاقه في كتابه على هذا غير ظاهر الدلالة.

نعود للآية:

قلنا إن الله نادى هؤلاء اليهود نداء كرامة, فنسبهم إلى عبد صالح استعطافا لهم.
(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون):
لله جل وعلا على كل خلقه نعم, لكن على بني إسرائيل نعم مخصوصة.
الآن ذكر الله الإجمال وسيأتي التفصيل بعد ذلك.
لكن من أعظم النعم؛ نجاتهم من فرعون والمن والسلوى في الصحراء, وكلها ستأتي تباعا.

(وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم):

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

اختلف العلماء في المقصود بالعهد, وضربوا فيه مضارب شتى, وأجمعها عندي أن يقال: (أوفوا بعهدي) أي بامتثال أوامري, وهذه عبارة البغوي رحمه الله في التنزيل.

(أوفوا بعهدي) أي: بامتثال أوامري.

(أوف بعهدكم) أي: بالقبول والثواب.

(أوف بعهدكم) أي: بالقبول والثواب.

(وإياي فارهبون).

(وءامِنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون):

(ءامِنوا): أمـــر واضح.

(بما أنزلت مصدقا لما معكم): هو القرآن.

وما الذي معهم؟

التوراة.

الذي معهم ماذا؟ التوراة.

(ولا تكونوا أول كافر به): من المعلوم أن القرآن أول ما نزل نزل بمكة, فأول من كفر بالقرآن مشركو قريش, فلا يقولن قائل إن في القرآن تعارض, لكن فهم السياق يساعد على الوصول إلى الحقائق.

الحقيقة تقول: إن هذه الآيات مخاطب بها في المقام الأول علماء اليهود, أحبارهم, كعب بن الأشرف وأمثاله, وهؤلاء كانوا يسوسون الناس, وفي كل ملة: الناس تبع لعلمائهم.

لهذا قيل:

معشر القراء يا ملح البلد ** من يصلح الناس إذا الملح فســـد

بالملح نصلح ما نخشى تغيره ** فكيف بالملح إن

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

حلت به الغِيَر

هؤلاء كعب الأشراف وأمثاله من أحبار يهود آنذاك كانوا رؤوسا, ولم يكن هناك يهود في مكة, فلما أنزل الله القرآن على نبيه في المدينة كما أنزله عليه في مكة, خاطبهم الله جل وعلا لأن أصل الصدارة لهم: (يا بني إسرائيل) فيخاطب الله العلماء: (ولا تكونوا أول كافر به) من أهل الكتاب فيتبعكم الناس على ذلك على ذلك الكفر. {واضح؟}

(ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) مناسبة قول الله جل وعلا: (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا):
بعض الملل – كما هو بعض المذاهب المعاصرة – تقوم على أن يدفع الأتباع للرؤساء, تقوم على أن يتبع الأتباع لماذا؟ للرؤساء.
فيجد الرؤساء المتصدرون الآخذون بزمام العلم كسبا من سفلة الناس وعامتهم, ودهمائهم, فإذا بينوا الحقائق للناس؛ الحقائق التي أنزلها الله, لا الحقائق التي أضاعوا الناس بها, يحصل من هذا أن العامة يتركونهم, فإذا تركوهم خسروا ذلك المتاع الذي يجنونه من ورائهم, فالله جل وعلا يقول: لا يمنعنكم أيها الأحبار ذلك الكسب الدنيوي الذي تحصلون عليه من الأتباع أن تتقوا الله جل وعلا في هذا النبي فتخبروا أتباعكم بأن هذا النبي حق من عند من عند الله.

أمـــا قول الله جل وعلا: (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) فكل ثمن مقابل القرآن فهو فهو قليل.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

كـــل ثمن مقابل القرآن فهو قليل.
ولو أن أحدا أعطي الدنيا على أن يتكسب بالقرآن لأجل مسألة دنيوية محضة فهي تعد قليلا, بل لا يوجد قياس أبدا ما بين أي كسب دنيوي بالقرآن وبين القرآن, لكن هذا لا يعني عدم أخذ الأجرة على تعليم القرآن هذه مسألة أخرى اختلف العلماء فيها, وأكثر العلماء اليوم على الجواز محتجين بحديث: (إن أعظم ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله).

نعود للآية:

قال الله جل وعلا: (ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون):

مسألة نحوية تتكرر أحيانا, (ولا تكونوا أول كافر به), (كافر): مجرورة لأنه صفة لموصوف محذوف.
صفة لموصوف محذوف.
و التقدير: ولا تكونوا أول فريق كافر به.
ولا تكونوا أول فريق كافر به.

وإنما أُجبرنا على هذا القول؛ لأن العرب في اسم التفضيل لابد أن يوافق ما بعده ما قبله, (ولا تكونوا) فيها واو جماعة, التي قبل اسم التفضيل (أول), فلا بد أن يكون ما بعدها مجموع, وكلمة: (كافر) مفرد, فلا تناسب واو الجماعة في: (ولا تكونوا), فيصبح التقدير: ولا تكونوا أول فريق, أول قوم كافر به.
(ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون).

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم

تعلمون):
و الحق الذي كتمه أحبار اليهود: هو التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ثم دعاهم الله جل وعلا للإيمان والدخول في سلك الرحمن, قال جل وعلا: (وأقيموا الصلاة و ءاتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)

^ ^ ^ ^ ^ ^ ^ ^ ^

ثم قال: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون):
يقال في تحقيق هذه الآية – والعلم عند الله - : أن بعض علماء يهود كان إذا جاءهم عامة اليهود وأخذوا عليهم عهودا ومواثيق أن يبينوا لهم الحق بينوه, لكنهم لا يتبعونه – أي الأحبار - فعاتبهم الله جل وعلا بقوله: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وهذه الآيات قال العلماء كابن سعدي وغيره: وإن جاءت في سياق اليهود وذكر ما يوعظون به ويزجرون, إلا أن هذه الأمة مخاطبة بها, فالمؤمن الحق الذي يريد أن يكون رأسا في الدين؛ يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويلتزم جماعة المسلمين, وإذا أمر بشيء بدأ به بنفسه.

لا تنه عن خلق وتـأتيَ مثله ** عـــــــار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك وانهها عن غيها ** فإذا انتهت عنه فأنت حكـــــيم

والأبيات تنسب لأبي الأسود الدُّؤَلي – رحمه الله

تعالى -, واسمه: ظالم بن عمرو, وله من اسمه نصيب, فإنه دخل المدينة في اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولما دخلها كان الصحابة لتوِّهم قد فرغوا من دفنه عليه الصلاة والسلام, فلم ير أبو الأسود رسولنا صلى الله عليه وسلم, فلا يعد صحابيا, يعد تابعيا لأنه رأى الصحابة.

وكان رجلا إماما في النحو إماما في القراءة, إماما في العلم, إماما في الأخبار, في شتى شؤون الحياة, و قد مرت معنا بعض أخباره, لكنه كان مبتلى بالبخـــل, ويقولون إنه شذ عن القاعدة؛ العرب تقول: لا يسود بخيل, وإنما ساد اثنين من البخلاء: عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه كان فيه نوع من الشح, وظالم بن عمرو الذي هو أبو الأسود الدؤلي, هذان سادا رغم شحهما وبخلهما.
والنبي عليه الصلاة والسلام لما قال للأنصار: (من سيدكم؟), قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه, قال: (وأي داء أدوأ من البخل؟!, ليس بسيدكم), لأن طالب المال لا يمكن أن يسود.

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم ** لم يُبن ملك على جهل وإقلال
وقال المتنبي:
الجود يفقر والإقدام قَتَّال.

هذا الذي منع الناس من الوصول إلى معالي الأمور, الإنفاق, الشح إما بالمال أو بالنفس.

وطلاب المجد لا يشحون لا بأنفسهم ولا بمالهم.

نحن خرجنا عن المقصود, لكن لما تكلمنا عن بيت أبي الأسود الدؤلي: لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله , و (تأتيَ) هنا جاءت منصوبة, لا تنطقها: وتأتيْ, (وتأتيَ), لأن الواو هذه جاءت بعد نهي فتضمر بعدها (أن) وجوبا, ويصبح الفعل منصوبا بـ(أن) وجوبا, دل عليه أن الفعل مسبوق بطلب, وهو هنا: النهي.

قال الله جل وعلا: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون * واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين):
الصبر في اللغة: الحبـــــــــس.
الصبر في اللغة: الحبـــــــــس.
ولذلك يمر معك وأنت تقرأ كتب التاريخ: قُتِل فلان, ماذا؟
صبرا.
معنى صبرا: يعني حبسا.
يعني قُتِل وهو ينظر إلى الموت, ليس في ساحة المعركة, وإنما حُبِس حتى ينتظر الموت, هذا معنى قتل فلان صبرا.

لكن بعض العلماء يقول: (واستعينوا بالصبر والصلاة) يقولون: إن الصبر المقصود به هنا: الصوم.
ويستدلون على ذلك بدليلين:
أحــدهما: أثر, والأخـــر: - ما ضد الأثر؟ - النظر.
أحدهما من الأثر, والآخر من النظر.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أما دليلهم من الأثر فيقولون: إن رمضان يسمى شهر: الصبر.

وأما من النظر فإنهم يقولون: إن الصلاة ترغب في الآخرة, والصوم يزهِّد في الدنيا.

أُعـــيـــد:

الصلاة ترغب في الآخرة, والصوم يزهِّد في الدنيا, وهذان من أعظم أسباب النجاة.
لكن الحق الذي ندين الله به, أن الصبر هنا بمعناه العام, ولا يمكن تخصيصه بالصوم, يَبْعُد تخصيصه بالصوم.

(واستعينوا بالصبر والصلاة): الله جل وعلا أمرنا أن تستعين بالصبر والصلاة, لكن نستعين بهما على أي شيء؟

هذا مهم فهمه.

إنما نستعين بهما: على أن نذكر الآخرة, وندفع بلاء الدنيا.
نستعين بهما: على أن نذكر الآخرة, وندفع بلاء الدنيا.
(واستعينوا بالصبر والصلاة).

ثم قال ربنا: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين):

أكثر أهل العلم يرى أ ن الإفراد هنا ليس مقصودا, وإنما لكبيرة عائدة عل الاثنين, عائدة على الصبر, وعلى الصلاة.
ويحتجون بأنه جرت سنن العرب في كلامها أنهم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يطلقون المفرد يريدون به المثنى, أو يثنون ويريدون به المفرد, أما قولهم هذا فحق, لكني أقول إن قول الله: (وإنها لكبيرة) مقصود به: الصلاة فقط.
(إلا على الخاشعين).

(الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون):
مر معنا أن الإنسان كلما تيقن أنه سيلقى الله, هذا أعظم البواعث على الطاعة.
كلما تيقن المرء أنه سيلقى الله, كان أعظم باعثا في نفسه على الطاعة.
وإنما تأتي المعاصي و الإسراف في الذنوب واقتحام الكبائر, والسفر إليها وعدم المبالاة فيها, من قلب رجل ليس متيقنا بملاقاة الله.
هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما, أو يأكلون الميراث, ويمنعون أصحاب الحقوق, هؤلاء غالب الظن أن اليقين في قلوبهم بملاقاة الله بعيد, لذلك يتجرؤون على المعاصي تجرءا غير محمود, لكن الله جل وعلا قال: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون), ولهذا السياق القرآني دائما يتكلم عن هذ القضية: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله), (يا أيها الإنسان إنك كـــادح إلى ربك كدحـــا فملاقيه), (إنـــي أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم), (والذين ءامنوا مشفقون), هـــذا أسلوب القرآن في تغيير قلوب العباد.
-_-_-_-_-_-_-_-

ثم قال الله جل وعلا: (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون):
من أعظم أخطاء أصحاب الملل: أنهم يظنون أن المقاييس الأخـــروية كالمقاييس الدنيوية, فإن الإنسان قد يقع منه الخطأ والتثريب في أمــر الدنيا, لكنه قد ينجو بعوامل أخرى تساعده؛ كالشفاعة, أو كالفدية, أو كالنصرة, لكن هذه الثلاث كلهن ممنوعات في الآخرة, غير موجودة, قال الله: (واتقوا يوما) هو اليوم الآخر, (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) لا يستطيع أحد أن يتحمل وزر, وزر الآخر, (ولا يقبل منها شفاعة) المقصود الشفاعة الماذا ؟
المنفية.
لأن المعتزلة ينفون الشفاعات على إطلاقها.
وأهل السنة يبينون أن منها ما هو منفي, ومنها ما هو مثبت, وقد حررنا ذلك في موضعه.

(ولا يؤخذ منها عدل):
هناك يا بُنيّ: عَــــدل, وعِــــدل.
عَـــدلٌ بالفتح, وعِـــدلٌ, بماذا؟ بالكسر.

إذا كان الفداء من جنس المفدي فهو عِدل.

أُعــــيـــد:

إذا كان الفداء من جنس المفدي فهو عِدل.بالكسر.

وإذ كان من غير جنسه فهو: عَـــدل.
ذكر الله مايقع من البعض من الصيد في الإحرام, حال الإحرام وهو حرام, فقال جل وعلا بعد ذلك: (أوْ عَدل ذلك صياما) فجاء بها بالفتح, لأن الصيام غير ماذا؟

غير الصيد. {واضح؟}, الصيام غير الصيد.

لكن إذا كان الفداء من الجنس يسمى: عِـــدل.
كما جاءت في ألفاظ مُهَلْهِل ربيعة وهي طويلة:
ليس عِـــدلا, وهو يتكلم على أنه قَتَل من بني
بكر كثيرا, وأنه يقول مهما قتلت منكم لا يكون
مكافئا ولا فداءا لكُليب أخي, لأنه معلوم أن
مهلهل قاتل أبناء عمومته من أجل ماذا؟
من أجل قَتْل أخيه كُليب, وكُليب قتله جساس,
فأسرف مُهلهِل في القتل, وأئمة اللغة
والمفسرون يستشهدون بهذه الأبيات كثيرا
لأنها فصيحة عربية, وينسبونها إلى مهلهل هذا
إلى أنه أول من قال, أول من قال الشعر.
لكن: ليس عِدلا من كليب, هكذا أبيات قد لا
أذكرها الساعة, لكن المقصود منها: أنني لو
قتلت منكم من قتلت لا يكون كفؤا لمن؟
لكليب أخي.
والشاهد كسر العين, لأن كلهم من جنس واحد
بشر,
لكن لما ذكر الصيام وهو غير الصيد, قال جل
وعلا: (أوْ عَــدل ذلك صياما).
(ولا يؤخذ منها عدل ولا هم يُنصرون).

ثم قال: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وإذ فرقنا بكم
البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم
تنظرون):
هذه الآيات مر معنا نظائر كثيرة منها في سورة
طه, لكن أحب أن أبين حاجة:
وهي قضية أن الله جل وعلا مليك مقتدر, وما

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

كتبه الله جل وعلا في اللوح سيكون, وفرعون أصل قصته عنده:
أنه رأى رؤيا, أن نارا تخرج فأحرقت أهل مصر كلها ولم تُصب بني إسرائيل بشيء, وكان بنو إسرائيل يوم ذاك مستضعفون في أرض مصر بعد أن دخلوها, دخلها يعقوب أيام ولاية ابنه يوسف, فقرر فرعون أن يقتل كل مولود كما هو معلوم, أراد فرعون بذلك أن يمنع وجود موسى, فمن أجل أن يمنع فرعون وجود موسى قتل اثني عشر ألف صبي.

وأين موسى كان؟

في قصره!

يأكل من طعامه ويشرب من شرابه.

قال بعض أهل العلم: فشمَّر فرعون عن ساق الاجتهاد, وحَسَر عن ذراع العناد, يريد أن يسبق القضاء ظهورُه, ويأبى الله إلا أن يَتم نورُه.

أُعــــيـــد:

فشمَّر فرعون عن ساق الاجتهاد, وحَسَر عن ذراع العناد, يريد أن يسبق القضاء ظهورُه, ويأبى الله إلا أن يَتم نورُه. _ بناء للمعلوم_

فلا يمكن أن يغلب أحد مراد الله.

الله يقول: (والله غالب على أمــــره).

وإنما هي سنون تُطوى وأيام تنقضي, ثم ينجلي

مراد الله.

فبنو إسرائيل الله جل وعلا يمُنّ عليهم بهذا الأمر: (وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب), ما هو سوء العذاب؟
(يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)
يستحيونهم يعني: يُبقونهم أحياء حتى يكونوا للخدمة ولأشياء أخر لا تُذكر, (ويستحيون نساءكم).
(وفي ذلكم): هذه إشارة, (بلاء من ربكم عظيم).
عجيبٌ من المفسرين أن يجنحوا إلى أن البلاء هنا بمعنى النعمة, ويقولون: إن المقصود النجاة, امتن الله بها على بني إسرائيل.
والحق أنه يجب صرف البلاء هنا على النقمة, والمقصود أن الله جل وعلا يبين لبني إسرائيل ما كانوا فيه من بلاء عظيم, فيصبح المنة من أين جاءت؟
جاءت أنكم كنتم في بلاء عظيم فأنجاكم الله منه. {واضح؟}.
كقول الله جل وعلا في حق الخليل إبراهيم: (إن هذا لهو البلاء المبين), فجعل الله جل وعلا ما ابتُلي به إبراهيم بلاء عظيما, حتى يكون لفداء إسماعيل بالكبش له نوع من القبول, له نوع من الموافقة والسياق والاتزان مع عظيم البلاء, فهذه عندي هي مثلها, ولا حاجة لأن يقال: إن البلاء يأتي في اللغة بمعنى النعمة ويستشهدون بقول الله جل وعلا: (و نبلوكم بالشر والخير فتنة) هذا صحيح, لكنه ينبغي أن يُعرف القرآن من سياقه الذي أُنزِل فيه. (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم).

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

(وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون):
هذه هي الآية الخمسون من سورة البقرة, نقف عندها.
قال الله جل وعلا: (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون):
مر هذا معنا مفصلا في سورة طه.
هنا يمتنّ الله جل وعلا على بني إسرائيل بما كان من إنجائه إياهم, وهلاك عدوهم, ولا ريب أن النجاة من العدو والسلامة منه من أعظم المنن التي يمتن الله بها على بعض خلقه, لكن الله قال: (وأنتم تنظرون) فهذه نعمة مشهودة للآباء, وليست للأبناء, والمخاطب في الآية من؟ الأبناء.
بدليل قول الله تعالى: (يا بني إسرائيل) والقرآن لا يخاطب أقواما قد ماتوا, لا تقوم عليهم حجة, وإنما الأصل أن الإنسان تبع لمن قبله إن لم يعلن تبرُّؤه منه, فهؤلاء بنو إسرائيل أمة واحدة في تسلسل النسب, والله جل وعلا هنا يخاطب الأبناء ممتنا عليهم بنعمه على الآباء, حتى يقيم الحجة عليهم, ويبين لهم أن الرب الذي امتن على آبائكم يطالبكم أن تتبعوا هذا النبي الأمي الذي ظهر بين أظهركم, ولهذا قلنا – مر معنا - أن حسان لما قال مفتخرا بمن ولد لامته العرب, وقالت له افتخر بمن ولدك.
هو قال رضي الله عنه:
ولدنا بني العنقاء وابني محرِّق ** فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابن ما
فقالت له الخنساء, أو قال له النابغة الذبياني: قال له: يا ابن أخي! افتخرت بمن ولدت, ولم تفتخر بمن ولدك.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

والرسول صلى الله عليه وسلم قال: (أنت ومالك) لمن؟
(لأبيك) فنسبها إلى الأعلى, ولا يقول للأب: أنت ومالك لابنك, هــذا محال.
فالمقصود: هنا يمتن الله جل وعلا على الأبناء بما أنعم به على الآباء, حتى تقوم الحجة وتتضح المحجة على أولئك الأبناء.

ومن أعظم ما من الله به على بني إسرائيل في الزمن السابق والدهر الفائت
أنه منَّ عليهم بالنجاة من كيد فرعون بعد أن انقلبت الحالة؛ كان فرعون يسومهم سوء العذاب؛ يذبِّح الأبناء ويستحيي النساء فأغرقه الله جل وعلا وهم ينظرون إليه ولم يعمل بنو إسرائيل لهذا ولا رمحا واحدا, وإنما أغرقه الله جل وعلا بقدرته, وأنجاهم بفضله ورحمته, حتى تقوم الحجة عليهم وقد أُقيمت, ثم أخبرهم بذلك كله.
وقلنا: بعض هذا العلم كما سيأتي لم يكن يعرفه حتى الأحــــبار, فذكره الله جل وعلا على لسان الرسول المختار حتى تقوم الحجة, وحتى كما قلنا في الأول إن القرآن حجة علمية على بني إسرائيل كما هو حجة لفظية على العرب, وهو حجة في كل شيء على كل أحد.
حجة في كل شيء على كل أحد.

ثم قال الله جل وعلا: (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون):
هذا إن شاء الله سنشرع به في اللقاء القادم بإذن الله.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

هذا ما تيسر إيراده, وتهيّأ إعداده, والله المستعان, ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصلى الله على محمد وعلى آله.

والحمد لله رب العالمين,,

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيهِ وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له خالقُ الكونُ بما فيهِ وجامعُ الناس ليومٍ لا ريب فيهِ وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمدً عبدهُ ورسولهُ صلى الله علية وعلى آلهِ وأصحابهِ وأتباعهِ ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين بإحسانٍ
أما بعد ....

فقد كُنا قد انهينا إلى قول الله جل وعلا في الآية الخمسين من سورة البقرة
(وإذ فرقنا بكُم البحر فأنجيناكُم وأغرقنا آل فرعون وأنتُم تنظرون)

وسبق القولُ أن هذهِ الآيات جاءت تبعاً لنداء الله جل وعلا لبني إسرائيل في قولهِ سُبحانهُ (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكُم) ثُم ذكر الله جل وعلا بعضً من أخبارِ بني إسرائيل مُمتناً على الأبناء بما فضل الله جل وعلا بهِ الأنباء فأقام الحُجة عليهم وأظهر لهم المحجّة .

ثُم قال الله جل وعلا (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثُم اتخذتمُ العجل من بعدهِ وأنتُم ظالمون)

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

نستصحبُ هنا أنهُ قد مرّ معنا ذكرُ الكثير من هذهِ الأخبار في شرحنا لسورة طه فلا معنى لتّكرار لكننا سنعلّقُ قدر الإمكان ما يستوجبهُ المقام فنقول (وإذ واعدنا) هذهِ فيها مُفاعلة فكان الأمرُ من الله والقبولُ من ماذا؟ من موسى ولهذا قال الله (وإذا واعدنا موسى) لأن كلمة واعدَ تتطلب اثنان ولهذا قال الله (وإذ واعدنا) فكان الأمر من الله والقبول من موسى .

بعضُ العُلماء يقول كان الوعدُ من الله والوفاءُ من موسى ، واعد الله جل وعلا موسى عند جبل الطور في الفترة التي في المُدة التي كان فيها موسى عند ربهِ يُخاطبُهُ عند جبل الطور عند الميقات الزماني والمكاني اتخذ بنو إسرائيل العجل أتخذ فعلٌ يتعدى إلى مفعُولين والآن تـــــــــأمل :
اللُغة مفتاح لفهم القرآن فأحياناً تجد أمور لا تنتهي لغوياً لك تكتمل الآية تُحدث عندك إشكال وجود الإشكال هو أولُ طرائق العلم لأن ما هو العلم ؟
حل الإشكالات الموجودة هذا العلم [واضح]
فنقول : تقول مثلاً .: اتخذ يزيدُ التدريسَ مهنةً فلو قُلت اتخذ يزيدُ التدريس احتاجت المسألةُ إلى اكتمال إما أن يُفهم من السياق أو أن تقولهُ أنت لفظاً [واضح]
هذا العجل معروف دآبة من البقر صغار البقر لو جاء إنسانٌ واتخذ العجل طعاماً لضيفهِ فلا يُمكن أن يُحرّج عليهِ فيهِ بل هذا هديُ الأنبياء فإن إبراهيم ذبح العجل قُرباناً لضيفهِ [واضح]

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الله جل وعلا هُنا يقول (ثُمّ اتخذتُم العجل من بعد هِ وأنتُم ظالمون)

اتخذتُم فعل وفاعل والعجل مفعول بهِ أول لكن أين المفعول بهِ الثاني ؟
لم يذكُرهُ الله لكن معلومٌ لكُل أحد من سياق الآيات في البقرةِ وطه وغيرهما أنهم اتخذوا العجل ماذا ؟ إلهً يُعبد من دون الله .

من طرائق القرآن في التشنيع عدمُ ذكر الشيء لعظمتهِ وشناعتهِ إذ لا يُتصوّرُ عقلاً حتى يقع لفظاً. فالله لم يذكُر في القرآن واتخذتُم العجل إلهً إذ لا يُتصورُ أن أحدً يعبُدُ العجل بعد أن عرف الله [واضح] .ولهذا لم يأتي المفعول الثاني لأتخذ هنا ظاهراً وإنما أُضمر لبيان الشناعة في اتخاذهِ ظاهرٌ الأمر الآن .

قال الله جل وعلا (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ً)
في فترة الغياب هذهِ اتخذ بنو إسرائيل العجل إلهٍ (ثُم اتخذتُم العجل من بعدهِ وأنتُم ظالمون * ثُمّ عفونا عنكُم من بعد ذالك)
أي من بعد اتخاذكُم العجل إلهٍ (لعلكُم تشكرون) لعلهُ يكونُ سبباً في شُكركُم .

(وإذ ءاتينا موسى الكتاب والفُرقان لعلكُم تهتدون)
هنا نقول في كُل ما مضى الآية التي مبدوءة (وإذ) مبدوءة بإذ هذهِ الشرطية تتعلّق بقضية الزمان معناها واذكروا إذ ، معناها ماذا ؟ واذكروا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

إذ ءاتينا موسى ، واذكروا إذ جعلكُم ، واذكروا إذ فرقنا [واضح] هذا المعنى .

قال الله تعالى (وإذ ءاتينا موسى الكتاب الفُرقان لعلكُم تهتدون)

من المعلوم أن الواو التي بين الكتاب والفرقان هي واو عطف والأصلُ في العطفُ أنهُ يقتضي المُغايرة فهل الفُرقانُ هنا غير الكتاب ؟ بعضُ المُفسرين يقولون ـ طبعاً الكتاب المعروف أنهُ التوراة لأن الكتاب الذي أُنزل على موسى هو ماذا ؟ التوراة ـ يقولون إن الكتابَ هو الفرقان التوراة هي ماذا هي الفرقان ويحتجون بسورة المؤمنون ويقولون في العطف هنا إن هذا عطفٌ في الصفات لا في الذوات ويُنزّل التغايُر في الصفات منزلة التغايُر فـــي في الذوات وهذا مرّ معنا تحريرهُ فيما سبق بمعنى أن التوراة التي أنزلها الله على موسى وصفت بأنها كتاب ووصفت بأنها فرقان وممن رجّح هذا العلاّمة الشنقيطي رحمة الله تعالى عليهِ في أضواء البيان واحتجّ بقول الله جل وعلا (سبّح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوّى * والذي قدّرَ فهدى) فجاء بالعطف والكلامُ كُلهُ عن إلهٍ واحد هو الله جل جلالهُ لكن هذا تغايُر في ماذا ؟ في الصفات ليس تغايرً في الذات [واضح] واضح جلي هذا .

هذا ما اختاروه والحقُ يصعبُ علي قبولهُ هنا ـ الحقُ هذهِ تمهيد ليس يصعبُ علي قبول الحق الحـــق يجبُ قبوله ـ أقول بالنسبة لنا نرى أن الفرقان غير الكتاب لماذا؟

لأن الكتاب ليس صفة إنما هو الاسمُ الأول لتوراة ، الكتاب ليس صفة إنما هو الاسم الأول الجامع لتوراة وإنما الفرقان أو كونهُ ضياء أو كونهُ ..هذهِ صفات.

فلو قال وإذ ءاتينا موسى الفرقان والضياء لقُلنا أنها صفات لكن هذهِ تُنزّلُ عندي على قول الله جل وعلا (واذكُرن ما يُتلى في بيوتكُن من آيات الله والحكمة) فآيات الله القرآن والحكمة ما أعطاهُ الله نبيهُ غير ماذا؟ غير القرآن وقطعاً مثل ما أُتي نبيُنا صلى الله علية وسلم نورً وفُرقانً غير القرآن يحكُم بهِ ويهتدي بهِ أُعطي أنبياء الله من قبل كموسى وهارون مع التوراة شيءً خاصاً بهم غير الكتاب الذي يُتلى على ماذا ؟ على قومهم [واضح]

هذا الذي يترجح والعلمُ عند الله .

(وإذ ءاتينا موسى الكتابَ والفُرقانَ لعلّكُم تهتدون * وإذ قال موسى لقومهِ)

أي واذكروا إذ قال موسى لقومهِ (يا قومِ إنكُم ظلمتُم أنفُسكُم باتخاذكُمُ العجل فتُوبُوا إلى بارئكُم)

الآن لم يأتي معنا كلمة إله لكن وضحت الآن باتخاذُكُم العجل ماذا ؟ إلهٍ (فتُوبُوا إلى بارِئكُم فاقتُلُوا أنفُسكُم ذالكُم خيرٌ لكُم عند بارئكُم)

هنا أمرهم الله جل وعلا بقتل أنفُسهم والعُلماء يقولون أمر أن يقُتل كلٌ منهم أخاه ويحتجون بآية (ظنّ المؤمنون والمؤمناتُ بأنفُسهم خيرا) تعبير النفس هُنا على الشخص الآخر والذي يبدو لي أنهُ ينصرف القرآن إلى أولهِ أن كُل إنسان أُمر بقتلِ بقتـــلِ نفسهِ (فاقتُلُوا أنفُسكُم ذالكُم خيرٌ لكُم عند بارئكُم إنهُ هو التواب الرحيم * وإذ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قُلتُم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكُم الصاعقةُ وأنتُم تنظُرُون)

كُلُ هذهِ الأحداث التي نسمعُها الآن والتي ذكرها الله في كتابهِ كانت وقت أن كان بنو إسرائيل في أرض التيهِ وقت أن كان بنو إسرائيل أين ؟ في أرض التيهِ بعد نجاتهم هذا ترتيب منطقي قال الله (وإذ نجّيناكُم) (فرقنا بكُم البحر فأنجيناكُم وأغرقنا آل فرعون وأنتُم تنظُرُون) .

متى طلبوا أن يروا الله جهرة ؟

لمّا عبدُ العجل ذهب سبعون منهم مع من ؟ مع موسى (واختار موسى قومهُ سبعين رجُلاً لميقاتنا) هؤلاء الذين حضروا مع موسى طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة وهُنا قال موسى كما جاء في آية الأعراف (ربِ لو شئت أهلكتهُم من قبلُ وإياي) والمقصود على تجرؤهم في المعاصي والله قال لنبيهِ (فقد سألوا موسى أكبر من ذالك فقالوا أرنا الله جهرة) فالتعداد هُنا لما حصل منهُم ولنعم اللهِ جل وعلا عليهم .

ثُم قال الله جل وعلا (ثُمّ بعثناكُم من بعد موتِكُم لعلّكُم تشكرون)وهذا بعثٌ حقيقيٌ بعد موتٍ حقيقي .

قال الشنقيطي :
"ولا يجوزُ صرف القرآن عن ظاهرهِ إلا بدليل"

ُمّ قال جل وعلا
(وظلّلنا عليكُم الغمام وأنزلنا عليكُمُ المنّ والسلوى)

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

هذا كُلهُ مرّ معنا في سورة " طه" (كُلُوا من طيباتِ ما رزقناكُم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفُسهم يظلمون * وإذ قُلنا ادخلوا هذهِ القرية فكلوا منها حيثُ شئتُم رغداً وادخُلُوا الباب سُجّداً وقُولُوا حِطةٌ نغفر لكُم خطاياكُم وسنزيدُ المُحسنين * فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهُم فأنزلنا على الذين ظلمُوا رجزاً من السماء بما كانُوا يفسقون)

هذهِ تُنيخ مطاياك التاريخ مُهم جداً في تفسير القرآن مرّ معنا كثيراً أن بني إسرائيل لم يدخُلوا الأرض المُقدسة في عهد من ؟ في عهد موسى ودخلوها في عهد يوشع ابن نون بعد موتِ نبي اللهِ هارون ثُم بعد موتِ نبي اللهِ موسى [واضح]

طيب عندما تُفسّر في أمور مُتفق عليها فلا يأتي عاقل يُزحزح المُتفق ليُقيم مقامهُ شيئاً مُختلف فيهِ هذا ليس بعلم فمن المُتفق عليهِ بين المُفسرين وأهل السير أنهُم لم يدخلوا الأرض المُقدسة مع اختلافهم في القرية هُنا هل هي أريحا أو هي القُدس بيت المقدس هل هي أريحا أو بيت المقدس هذا لا يكونُ هناك كبير فائدة في العلم بأيٍ منهُما [واضح]

لكن السؤال كيف يدخلوا القرية وأنت تقول أنهم لم يدخلوها إلا في عهدِ يوشع ابن نون ؟

الجـــــــــــــــواب هؤلاء الذين أُمروا أن يدخلوا القرية لم يكُن معهم موسى إنما بُعثُوا من قبل موسى أشبه بالنُظّار بالعيون بالجواسيس حتى يكتشفوا الأمر قبل أن يبدأ موسى الجهاد معهم [واضح] بعثهُم موسى .

هؤلاءِ الذين بعثهم موسى كأنهم شعروا أن فيهم شيء من المزية أمرهُم الله أن يقولوا قبل دخولها أي تلك القرية سواءً أن كانت أريحا أو بيت المقدس أن يقولُ مسألتُنا طلبُنا رغبتُنا حِطة بمعنى أن تحُط عنا ذنوبنا يعني غايةُ أمرنا منك يا ربنا المغفرة فإظهارهُم التذلُّل عند دخول الأرض المُقدسة وأنت تجأروا إلى الله أن يمحوا ذنوبكُم سينجمُ عنهُ علمٌ تنفعون بهِ قومكُم إذا عُدتُم إليهم

[واضح المسألة الآن]

لكن أُولئك القوم عندما ذهبوا بدّلوا قول الله غيرُ في اللفظ لأنهُم كانوا يستخفون بهِ ولم يروهُ ذا بال وهذا والعيــــــــــاذُ بالله ظنُ من المرءِ أن ما عندهُ حصل عليهِ بجهدهِ وعلمهِ ولو كان الإنسانُ عبداً حقيقاً يُسلم للهِ أمره وقد مرّ معك وأنت لبيبٌ في السيرة أن النبي لما علّم ذالك الصحابي دُعاء النوم فقال الصحابيُ والرسولُ يُعلّمهُ { اللــــــهم أسملتُ نفسي إليك ووجهتُ وجهي إليك وفوضتُ أمري إليك وألجأتُ ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك آمنتُ بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت الصحابيُ قال ورسولك الذي أرسلت فأعادها النبيُ قال لا تقُل قُل ونبيك الذي أرسلت } مع أنهُ لا يكونُ رسول حتى يكونُ نبياً لكن المُراد أن بعض الألفاظ مقصودة لذاتها إما تعبُداً أو لحكمة خفية فلا يجوزُ لأحدٍ أن يُقدّم رأيهُ بين يدي اللهِ ورسولهِ [واضح].

فالمطلوب منهم كان أن يقولُ غُفران الذنوب مسألتُنا حملُ هذا الذي على كاهلنا لكنهُم غيّروا في اللفظ ودخلوا على غيرِ ما أمرهُم الله من صورةٍ أن يدخلوا عليها بها.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قال الله (فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهُم فأنزلنا على الذين ظلمُوا رجزاً من السماء بما كانُوا يفسقون)

لأن الفسق هو خروجٌ عن الطاعة وتبديلهُم اللفظ نوعٌ من الفسق..
هذهِ خبرُ بني إسرائيل في القرية .

ثُمّ قال الله جل وعلا (وإذ استسقى موسى لقومهِ فقُلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منهُ اثنتا عشرةَ عيناً)

هُم في صحراء التيهِ بدهيٌ أن يعطشوا والدُنيا تتقلبُ بأهلها ما بين جدبٍ وما بين إمطار في لحظات جدبٍ طلبوا من الله عن طريق موسى المطر الغيثَ فاستسقى موسى لقومهِ فأمرهُ اللهُ أن يضرب بعصاهُ الحجر قال الله (فانفجرت منهُ) تقدير الآية فضرب فانفجرت لأن الانفجار ما كان بالأمر، الأمر كان لمن ؟ لموسى فنفذ موسى أمر الله فانفجر لكن الخلاف بين العُلماء هنا أو يذكُر المُفسرون لا نقول خلاف الخلاف أحسن يُقال في المسائل الفقهية .
يقولون أيُ حجرٍ هذا لأن الألف واللام إما أنت تكون للجنس تشمل أيُ حجرٍ أو للعهد والعهدُ ينقسم إلى قسمين :
1/ عهد لفظي
2/ وعهد ذهني
وقطعاً لا يوجد عهد لفظي لأن لم يُذكر الحجر من قبل فما بقي حملهُ إذا قُلنا بالعهد إلا على

العهد الذهني فقال بعضُ العُلماء إنهُ حجر كان الله جل وعلا قد أتاهُ موسى ونُقل عن سعيد ابنُ جُبير أنهُ الحجر الذي هرب بلباس موسى عندما أراد أن يستحم ويغتسل لكنّ الحق الذي يبدو لي والله أعلم أنهُ حجرٌ غيرُ مُعين لأنهُ لم يرد لفظياً ولا يوجدُ شيءٌ واحد من الحجارة يُمكنُ حمل الأمر الذهني عليهِ فلم يرد في القرآن أن هناك حجر أختص بهِ موسى والمرجِعُ في كلام الله إلى كلامهِ .

فنعود فنقول (فقُلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منهُ) أي ذالك الحجر (اثنتا عشرةَ عينا) وكانت أسباطُ بني إسرائيل اثني عشر سبطاً (قد علم كُلُ أُناسٍ مشربهُم) فلا يختلطون كُلُ قبيلة كُلُ شِعب يشربُ من تلك العين (كلوا واشربوا من رزق الله) كلوا من المنّ والسلوى واشربوا من الماء (ولا تعثوا في الأرض مُفسدين) الإعثاء في الأرض الفساد هو أشد أنواع الإفساد .

(وإذ قُلتُم يا موسى لن نّصبر على طعامٍ واحد)

هنا ذكر المُفرد وأراد بهِ المُثنى ما الطعامُ الواحد ؟ المنّ والسلوى ـــ أحسنـــــــتُم ـــ المنّ والسلوى (فادعُ لنا ربك يُخرجُ لنا ممّا تُنبتُ الأرض من بقلها وقثّائها و فُومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإنّ لكُم ما سألتُم)

مصراً جاءت ماذا؟ مُنوّنة والمقصودُ بهِ أيُ ماذا ؟

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أيُ مصر ليس مصر المعروفة وردت في القرآن مصر المعروفة لكنها ليست مقصودة هنا ، هُنا قبل أن أتجاوزُ الألفاظ وأتكلمُ في الباء البدلية في نُقطة مُهمّة جداً هذا الجواب غير مُتوقع (فادعُ لنا ربك يُخرجُ لنا ممّا تُنبتُ الأرض من بقلها وقثّائها و فُومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإنّ لكُم ما سألتُم)

المقصُودُ منهُ إثارة الحياة في الناس ورفعُ الذُلّ عنهم فهم تاهوا في الأرض بسبب معصيتهم (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخُلها أبداً حتى يخرجُ منها) فتقاعسوا عن الجهاد (اذهب أنت وربُك فقاتلا إنّا هاهُنا قاعدون) فهم لا يُريدون أن يعملوا ويُريدون رزقا فكان الجواب القرآني (اهبطوا مصراً فإن لكُم ما سألتُم)

أي إن كُنتم تُريدون البقاء والحياة فلابُدّ بالأخذ بأسبابها والسعي لا تنتظروا أن يُنزّل الأمرُ عليكُم والرزقُ لديكُم فأمرهم الله جل وعلا بالسعي فلأمرٍ ما منع الله منهُم تلك المطعُومات حتى يُحيَ في قلوبهم ما يرفعون بهِ الذلِة عن أنفُسهم (اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتُم) .

نعود إلى قولهِ جل وعلا (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)
الآن الباء هُنا لحقت بالمُبدل منه لا بالبدل بالمُبدل منه لا بماذا ؟ لا بالبدل وقد شاع في أقوالِ الناسِ حتى عند بعضِ أرباب الفصاحة إلحاقُها بالبدلَ .

قال شوقي رحمهُ الله :

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أنا من بدّل بالكُتب الصحابَ * لم أجد وافياً إلا الكتابَ**

هو أراد أن يقول أنني تركتُ الأصحابَ وأقبلتُ على الكتاب لكنّهُ جعل الباء في البدل وحُقُها أن تكون أين ؟ في المُبدل منه [واضح] وحُقُها أن تكون في المُبدل منه قال الله (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فما المُبدل منهُ هُنا (الذي هو خير) وما البدل (الذي هو أدنى) [واضح] .

قال الله جل وعلا (يُخرجُ لنا ممّا تُنبتُ الأرض من بقلها وقثّائها و فُومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإنّ لكُم ما سألتُم)

والدليلُ على أن ما فهمناه في الأول أن الله أراد أن يُحيَ بهذا الجواب رفعهُم الذلِ عن أنفُسهم أنهُ قال بعدها (وضُربت عليهم الذلةُ والمسكنة) الضرب في القرآن في اللُغة أصلاً يأتي في قضايا الإلصاق في قضايا الإلصاق واللزوم (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا)

ضربت عليك العنكبوت بنسجها ** وقضى عليك بها الكتابُ المُنزلُ فرزدق يقول

فالضرب في اللُغة يُرادُ بهِ الإلصاق والإلزام والله يقول هنا (وضُربت عليهُم الذلّةُ والمسكنة

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

و باءُو بغضبٍ من الله)كلمة باءُو لا تأتي إلا في الغضب لا تأتي في الأمر الحميد وهذا أمرٌ باقٍ في بني إسرائيل إلى اليوم فبرغمِ ما أعطاهُمْ الله وأورثهُم من أموال وسُلطان ظاهر قاهر على اقتصاد العالم وإعلامهِ إلا أنهُم أخفياء لا تكاد تعرفُ منهُم أحد غيرُ المشاهير أذلّة في كُل مكان رغم أيُ سُلطانٍ يُؤتونهُ عليهم التعب ولغيرهم أن يجني فلا يوجد يعني هُم مُتسلطون جداً على قرار اختيار الرئيس الأمريكي .
مثـــــــــــــــــال في عصرنا لكن لا يوجد رئيس أمريكي يهودي فهم يسعون وغيرهم يجني فهُم حتى في تسلّطهم قلّما أن يحصدوا هُم الثمرة العُليا يحصدون ما دونها .
وهذا معنى قول الله (وضُربت عليهُم الذلّةُ والمسكنة و باءُو بغضبٍ من الله ذالك) أي بسبب أنهُم كانوا يكفرون بآيات اللهِ ويقتلون النبيين بغير الحق ومن أشهرِ من قتلوه من ؟ زكـــــــــــريا عليهِ السلام (ذالك بما عصوا وكانوا يهتدون)
ثُمّ قال الله جل وعلا بعد أن ذكر نُتفاً من أخبارِ بني إسرائيل
(إنّ الذين ءامنوا والذين هادوا والنّصارى والصّابئين من ءامن باللهِ واليومِ الأخرِ وعمل صالحاً فلهُم أجرهُم عند ربهمِ ولَا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون)

هذهِ الآية مُشكلة فكثيراً ما يحصُلُ السؤال عنها حتى قال بعضُ الناس المُعاصرين يقول: " الله أساغ الأديان كُلها ولم يحصُرها في الإسلام ،الله يقول (إنّ الذين ءامنوا والذين هادوا والنّصارى والصّابئين من ءامن باللهِ واليومِ الأخرِ) من أين أتيتم من أن الله لا يقبلُ إلا ديناً واحداً ويردون

محاسن التأويل

الشيخ صالح مغامسي

آية آل عمران وقُلنا دائماً في نقض شيءٍ لابُدّ من إقامةِ الحق مكانة .

هناك فِرق وقت تنزّلُ القرآن وقت نزول سورة البقرة وقت نزول هذهِ الآية: مؤمنون محمد صلى الله علية وسلم وأصحابُه ، اليهود ، والنصارى ، وعبدة النار الذين هُم الصابئة وهم نفس عبدة النار وقيل أن الصابئة عبدةً الكواكب وقيل إن الصابئة أُختلفـ في تحديدهم أياً كان الأمر كانت هُناك فرق ملل ونحل

العبرة عند الله ــ هذا مفتاح القضية ـ العبرة عند الله بالموافاة أي بماذا تلقى الله فلو فرضنا أن إنسانً دخل في الدين الإسلام ومكث إلى قبل خاتمتهِ ثُم أعلن براءتهُ من الإسلام فمات على غير الإسلام فهذا لا ينطبق عليهِ الوعدُ الرباني (لا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون) .

ولو أن رجُلاً يهودياً قبل أن يوافي الله تاب وتنصّل من يهوديتهِ و ءامن بالله واليوم الأخر فينطبق عليهِ قول الله جل وعلا (لا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون) [واضح].

فالله جل وعلا ذكر أهل الإيمان هنا مرتين مُتغايرين .:

الأول : باعتبار دعواهُم .

والثاني : باعتبار موافاتهُم .

أُعيـــــــــــــــــــــــــد

ذكر الإيمان كم مرة ؟ مرتين .:

الأولى : باعتبار دعواهُم.

والثانية : باعتبار موافاتهم بالإيمان والبقاء والثبات عليهِ [واضح].الله يقول إن الأمر والشأن بيني وبينكُم أن تلقوني وانتُم مؤمنون بالله واليوم الآخر سواءً قُلتُم أنكُم مؤمنون أو نصارى أو يهود أو صابئة إذا تنصّلتُم ممّا أنتُم فيهِ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
وبقيتُم على الإيمان بالله واليوم الآخر انطبق عليكُم وعدُنا (لا خوفٌ عليكُم ولا أنتُم تحزنون) أو ما عبّر الله عنهِ هُنا بضمير الغائب .

ثُمّ عاد القرآن ليذكُر أخبار بني إسرائيل (وإذ أخذنا مِيثاقكُم ورفعنا فوقكُم الطور خُذُوا ما ءاتيناكُم بقوة واذكروا ما فيهِ لعلّكُم تتقون)

رفعُ الطور كان وعيد حصل لموسى مع السبعين رُفع حتى ظللّهُم كأنهُ يُراد أن يُلقى عليهم فتابوا لمّا رأوه .

قال الله (ثُمّ توليتُم من بعد ذالك فلولا فضلُ الله عليكُم ورحمتهُ لكُنتُم من الخاسرين) وهذهِ ظاهرة ثُمّ خاطب الله عُلماء بني إسرائيل المُعاصرين لنبي صلى الله علية وسلم بقولهِ (ولقد علمتُم الذي اعتدوا في السبت فقُلنا لهُم كونوا قردةً خاسئين * فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمُتقين)

أهلُ السبت أخبر اللهُ عنهُم في المائدة وعبّر عن تلك القرية بأنها حاضرة البحر وهي مُفردة جميلة جداً حسنٌ بطالب العلم أن يستخدمها بدل أن يقول مدينة ساحلية يقول مدينة حاضرة البحر هؤلاء القوم أُريد نصل إلى حقيقة في قضيتهم وهي أن المُحرّم أحياناً يكون تحريم طريقة وأحياناً يكون تحريم عين فلابُد أن ينتبه الإنسان ما هو المُحرّم حتى يجتنبهُ فلا يكون فيهِ خلط كما هو حاصلٌ الآن.
وهذا قد يدخُل في الأصول لكننا نأتي بمثالٍ مُعين :

مثلاً بيع التورُق المُعاصر يراهُ بعضُ أهل الفضلِ أنهُ نوعٌ من الربا ويقولون لم يتغير في الأمر شيء أنت وصلت إلى مقصودك لكنك غيرت الطريقة فإذا ناقشتهُ تكلّم عن آية المائدة (تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرّعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذالك نبلوهُم بما كانوا يعملون) ... إلى أخر الآيات ووضعُ الأمر في نصابهِ مُهمّ جداً المُحرّم في التورُق الطريقة المُحرّم في التورُق قبل وقوعهِ لأن التورُق لا حرج فيهِ قبل وقوعهِ الطريقة ليس عين المال فكون الإنسان يُريدُ أن يحصُلَ على مالاً هذا ليس بمُحرّم لكن إنّ حصل عليهِ عن طريق الربا فهو مُحرّم وإنّ حاد عن الربا ولجأ إلى طريقٍ غير ربوية فلا حرج فيهِ [واضح] فلا تنطبق عليهم الآية وإنما حُرّم عليهم أولئك القوم لم يُحرّم عليهم الحوت وإنما حُرّم عليهم الصيد يوم يـوم السبت [واضح] لم يُحرّم عليهم الحوت وإنما حُرّم عليهم الصيد يوم السبت فهُم احتالوا على أن يصيدوا يوم السبت [واضح] فلأنهُم صادوا يوم السبت باحتيال جعلهُم الله جل وعلا قردة كانوا خاسئين.
[واضح الفكرة وهذا مُهمٌّ جداً في تلقي العلم وفهمهِ وعدم العجلة في الحُكمِ على الأشياء وإن كان قد قال بالتورُق عُلماء أجلاء لا يُقدحُ لهُم في شيء .

نقول قال الله جل وعلا (ولقد علمتُم الذي اعتدوا في السبت فقُلنا لهُم كونوا قردةً خاسئين * فجعلناها) أي هذا العذاب والنكال (نكالاً لما بين يديها) أي لذنوبِ الحاضرة (وما

خلفها) أي من ذنوبٍ سلفت (وموعظةً للمُتقين) أي ليتعظ المُتقين وغيرهم .
(وإذ قال موسى لقومهِ إنّ الله يأمرُكُم أن تذبحوا بقرة)
هذهِ قصتُها على الوجه التالي :

.... الله جل وعلا لهُ حكم ولهُ قُدرة ......
أصلُ المسألة أن رجُلاً من بني إسرائيل قتل رجُلا فاختلف الناسُ في القاتل فحتى يستدلُ على القاتل أمرهُم الله أن يذبحوا بقرة لكن الله لم يذكُر قضية القتل في الأول وإنما قدّم قصة البقرة في الأول قال العُلماء حتى يُبين الله جل وعلا لعبادة الحكمة قبل أن يُبين لهُم الحدث .

أمرهُم اللهُ جل وعلا أن يذبحوا بقرةً ثُم يضربوا ببعض تلك البقرة بأيُ جُزءٍ منها ذالك الميت فإن ذالك الميت سيبعثُهُ الله وسينطق ويُخبر بمن قتلهُ هذا أصل المسألة فأخبر موسى بني إسرائيل (وإذ قُلتُم يا موسى) أي واذكروا إذ قُلتُم يا موسى (إذ قال موسى لقومهِ إن الله يأمرُكُم أن تذبحوا بقرة)
وقد جاءت نكرة والبقر حيوانٌ معروف أحدُ بهيمة الأنعام الثلاث : الإبل والبقر والماشية .
أمرهم الله أن يذبحوا بقرة فشدّدوا على أنفُسهِم (قالوا أتتّخذُنا هزواً قال أعوذُ بالله أن أكون من الجاهلين)وأنيُ جهلٍ أن يُخبر الإنسان عن اللهِ ما لم يقُلهِ (قالوا أدعُ لنا ربُك يُبين لنا ما هي قال إنهُ يقول) هنا (ما هي) المقصودُ عن سنّها بدليل الجواب (قال إنهُ يقول إنها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بكر) ليست مُفرطة في السنّ ولا صغيرة (عوانٌ بين ذالك) أي نصف بين هذين السنين (فافعلُوا ما تُؤمرون * قالوا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أُدعُ لنا ربُك يُبين لنا ما لونها قال إنهُ يقول إنها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونُها)

نخرُج لغوياً يُقال في الأصفر أصفرٌ فاقع وفي الأسود أسودٌ حالِك وفي الأحمر أحمرٌ قانىء وفي الأبيض أبيضٌ بقق ــ أُعيد ــ وفي الأخضر أخضرٌ ناضر .

أُعيد هذهِ تحتاجُ إلى تحرير وإن كُنا أصبحنا مثل بني إسرائيل تركنا قضية البقرة الآن .

نعود للألوان الله قال (إنها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونها) العربُ تقول أصفرُ فاقع لدلالة على توهجِ صُفرتهِ ، وأسودُ حالك وأبيضُ بقق بـــقق باء ثُم قافٌ ثُم قاف ، وأخضرُ ناضر ، وأحمرُ قانىء بالهمز قانىء وأيٍ كان هذهِ مُفردات لغوية تُثري ما أنت فيهِ .

**هُنا الآن بعد أن سألوا عن سنّها سألوا لونها (قالوا أُدعُ لنا ربُك يُبين لنا ما لونها قال إنهُ يقولُ إنها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونها تسرّوا الناظرين * قالوا أُدعُ لنا ربُك يُبين لنا ما هي)
من الجواب تعرف عن ماذا سألوا .
قال (إنّ البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمُهتدون * قال إنهُ يقولُ إنها بقرةٌ لا ذلُولٌ تُثيرُ الأرض ولا تسقي الحرث)
يعني سألوا أسائمةٌ هي أم عاملة يعني هذهِ البقرة علمنا أن سنّها نَصَف وعلمنا أن لونها أصفر لكن هل هي سائمة ترعى أم هي عاملةٌ في حرث عاملةٌ عند أحد فجاء الجواب قبلها قال**

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
الله جل وعلا (إنّ البقر تشابه علينا) والبقرُ مؤنث ولم يقُل الله تشابهت وهذا مُعاملة للفظ وتركٌ للمعنى .

ما معنى مُعاملة للفظ وتركٌ للمعنى ؟
أحياناً يكونُ اللفظُ يدلُ على مؤنث لكن ليس فيهِ من علامات التأنيث الظاهرة شيء وأحياناً يدلُ على مُذكر وفيهِ من علامات التأنيث ما يدلُ عليهِ [واضح] .مثل حمزة اسمٌ لماذا ؟ لمُذكر مع أنهُ ملحُوق بهِ تاء التأنيث معاوية اسمٌ لمُذكر لكنّهُ ملحوق بهِ تاء التأنيث .
كلمة نخل مؤنث لكن نخل ليست مُلحق بها أيُ لفظٍ من ألفاظ التأنيث ولهذا قال الله (أعجازُ نخلٍ مُنّقعر) لم يقُل مُنقعرة عاملها باللفظ لا بال؟ لا بالمعنى مثلُها هُنا عامل الله كلمة بقر باللفظ لا بالمعنى عامل الله لفظ بقر مُذكر لا بالمعنى وهو مؤنث.
(إن البقر تشابه علينا وإنّا إن شاء الله لمُهتدون * قال إنهُ يقولُ إنها بقرةٌ لا ذلُول تُثيرُ الأرض) لكنّها في نفس الوقت ماذا ؟ (لا تسقي الحرث) نصف في كُل شيء في سنّها في كونها أنها تُثيرُ الأرض حيناً لكنّها لا تُسقي الحرث يعني تعملُ شيءً وتتركُ أشياء .

(تُثيرُ الأرض ولا تسقي الحرث مُسلّمةٌ لا شية فيها)
مُسلّمةٌ لا شية فيها أي ليس هناك عيبٌ فيها هذا قول وقول ليس هُناك لونٌ يُداخل الصفار الذي فيها.

(مُسلّمةٌ لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

فذبحُوها وما كادوا يفعلون)

اختلف العُلماء في هذهِ (وما كادوا يفعلون) هل هي عائدة على أنهُم تعبوا ووجدوا مشقة في الحصول عليها ؟ هذا بعيد وإن قال بهِ بعضُ أهلُ الفضل ونحنُ نقول (ما كادوا يفعلون) أي أنّهُم كأنما أُكرهُ على هذا الأمرِ إكراهَ بدليل كثرة سؤلاتهم واعتراضهم على نبيهم .

بعد أن تمّ الأمر قال الله جل وعلا :

(وإذ قتلتُم نفساً فادّارءتُم فيها)
وهذا أصل من أُصلُ القصة (فقُلنا اضربوه ببعضها) أي ببعض ماذا ؟ البقرة (كذالك يُحيَ الله الموتى ويُريكُم آياتهِ لعلّكُم تعقلون) أراد الله من هذا الأمرِ بيان قُدرتهِ جل وعلا على إحياء الموتى طبعاً هذا في زمنِ ِ بني إسرائيل لكن لو حصل هذا في زماننا لماذا يُلجأ ؟ يُلجأ للقسامة يُلجأ للقسامة بابٌ معروف في القصاص في الفقهِ سيأتي إن شاء الله الحديثُ عنهُ عند قول الله جل وعلا (ولكُم في القصاصِ حياة) لكننا عرّجنا عليها تعريجاً هُنا عاماً .

قال الله جل وعلا (فقُلنا اضربوه ببعضها كذالك يُحيَ الله الموتى ويُريكُم آياتهِ لعلّكُم تعقلون * ثُم قست قُلُوبكُم من بعد ذالك فهي كالحجارة أو أشدُ قسوة)

بعد أن بين اللهُ لهم هذهِ الآيات الدالةُ على

وحدانيتهِ وعلى قُدرتهِ وعلى أنهُ يجبُ أن يُعبد دون سواه وأن يُخضعُ لهُ بالقولِ والفعلِ أخبر الله جل وعلا أن طول الأمد كان سبباً في قسوة قُلُوبهِم فعبّر الله عن قسوة القلوب بالحجارة ولم يُعبّر عن قسوة القلوبِ بالحديد مع أنهُ قال سُبحانهُ (وأنزلنا الحديد فيهِ بأسٌ شديد) لكنك تُلاحظُ أن الله ألان الحديد لمن ؟ لداود ولم يُلن الحجارة لأحد إلا لخشيتهِ لم يُلن الحجارة إلا لخشيتهِ فالنارُ أعاذنـــــــــــــا الله وإياكُم منها قادرة على الحديد لكنها غيرُ قادرة على الحجر فالحجر لا يُذيبُ الحديد فلمّا أراد الله أن يُشبهِ قسوة قلوب بني إسرائيل جعل مثلاً لها الحجارة قال (ثُمّ قست قُلُوبكُم من بعد ذالك فهي كالحجارةِ أو أشدُ قسوة) ثُمّ قال (وإنّ من الحجارةِ لما يتفجّر منهُ الأنهار وإنّ منها لما يشّقّقُ فيخُرجُ منهُ الماء) وهذهِ منافع دنيوية ثُمّ قال مرتبةً أعلى (وإنّ منها لما يهبطُ من خشية اللهِ) وهذا نعيٌ على أصحاب القلوب القاسية فإذا كانت الحجارةُ التي هي المثلُ الأعلى في القساوة يحصلُ منها أن تهبط من خشية الله فأيُ نعيً لقلب بني آدم الذي لا يلينُ من أجل ذكر الله [واضح] **.**

فأيُ نعيً لقلبٍ من قلوب بني آدم الذي يلينُ من أجل ذكر اللهِ والله يقول (ألا بذكر اللهِ تطمئنُ القلوب) والقلوبُ الحقة التي على الفطرة لا تلينُ بشيءٍ كما تلينُ بذكر الله جل وعلا تبارك وتعالى .

قال الله :

(وإنّ منا لما يتفجرُ منهُ الأنهار وإنّ منها لما يشّقّقُ فيخرُجُ منهُ الماء وإنّ منها لما يهبطُ من خشية اللهِ وما الله بغافلٍ عمّا تعملون)

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

نعود إلى الحجارة الحـجارة ذُكرت في التاريخ الإسلامي في مُسودة التاريخ الإسلامي بطرائق شتى من أشهرها :

// الحجر الأسود قد جاء في الأثر أنهُ نزل أشد بياضاً من اللبن سودتهُ خطايا بني آدم وهو حجرٌ أعطاهُ الله جل وعلا لإبراهيم أن يجعلهُ في رُكن البيت ومنهُ يبدأ الطواف.
// جاء الحجر في أن الله جل وعلا جعل حجرً من حجار مكة يُسلّم على النبي صلى الله علية وسلم { إني لأعلمُ حجر بمكة كان يُسلّمُ عليَ بالنبوة } .
// وجعل النبي صلى الله عليهِ وسلم في سُننهِ في حجة الوداع أن الحجر يُرمى بهِ الجمار.
// والذي يُرمى الشاخص نفسهُ ماذا ؟ حجر .

هذا يقودك لشيء عظيم نبّه إليهِ بعضُ الفُضلاء أظنّهُ الشعراوي رحمهُ الله هناك حجر يُرمى بأمرٍ من الله ويُرمى بماذا ؟ بحجرٍ مثلهِ بحصاة وهناكَ حجر يُقبّل ويُستلم و يُبداً منهُ الطواف وهو الحجر الأسود فالعبرة في الثلاثة أحوال ليست في ماذا؟ ليست في ذات الحجر وإنما العبرة بأن نعبُد ربُنا جل وعلا كما شرع [واضح] .

فنحنُ نشخُصُ بوجوهنا إلى القبلة في أي مكان نُصلي فيهِ فنحنُ لا نعبُدُ الكعبة لكننا نعبُدُ رب الكعبة وهذهِ الحقائق التنبيهُ عليها جلي في بعض الدول يُعلمون أبنائهم أن من عجائب الدُنيا الكعبة ويُريدون بذالك أمرً خفيً وهم يقولون أن هذهِ الكعبة من عجائب الدُنيا السبع مثل : حدائق بابل المُعلّقة و أهرامات مصر ومنارة الإسكندرية وبُرج بيزا المائل وأمثالُها يقولون إن الكعبة

لأنها من عجاب الدُنيا السبع فالعربُ تُعظّمُها فأرادُ أن يُلِحقوا ما يحصل من الطواف بتعظيم وثني ناجم عن افتتان العرب بهذا البناء الذي لم يتغير على مرّ الدهور [واضح].لكنّ العرب المُسلمين إنما يعبدون رب الكعبة بطوافهم حول الكعبة فهُم يُعظّمون شعائر الله وهذا يقودُك إلى قول الله تعالى (ذالك ومن يُعظّم شعائر الله).
بعضُ الناس هدانا الله وإياهُم يقول كيف لا يُعظّم النبي صلى الله علية وسلم الله يقول (والبُدنَ جعلناها لكُم من شعائر الله) فيقول في خطابهِ ناقة وهي ناقة امرنا الله أن نُعظّمها فكيف لا يُعظّم النبي صلى الله علية وسلم .

فنقولُ جـــــــــــواباً إننا لا نعترضُ أبداً على تعظيم النبي صلى الله علية وسلم لكن ينبغي أن يكون هذا التعظيمُ مصحوباً بالعلم ومعنى مصحوباً بالعلم أن شعائر الله كُلها تُعظم لكن طرائق تعظيمها تختلف مبنية على الشرع .
فمن طرائق تعظيم الهدي نحرُهُ فإراقةُ دمهِ وإزهاق روحهِ هذا نوعٌ من تعظيمة قُربة إلى الله.
وتعظيمُ الكعبة بالطواف حولها .
وتعظيمُ الحجر باستلامهِ وتقبيلهِ.
وتعظيم الرُكن اليماني باستلامهِ وتقبيلهِ يفرق عن الحجر أنهُ لا يُشار إليهِ ويُشار إلى ماذا ؟ ويُشارُ إلى الحجر لكن لا يُشارُ إلى الرُكن اليماني [واضح] .
والقلائدِ تقليدها والهدي أحياناً بإشعاره حتى تظهر فيهِ علامة تُبين أنهُ هدي .

المقصود من هذا كُلهِ يُنظر في النبي صلى الله

علية وسلم لا ريب أنهُ من أعظم شعائر الله لكن يُعظّم صلى الله علية وسلم بالطريقة الشرعية التي أمرنا الله بها إلى أن نُعظّمهِ فنحنُ نُحبهُ ونُجلّهُ ولا نرى أن قول أحدٍ من البشر يُضاهي قوله وأنهُ صلى الله علية وسلم أحبُ إلينا بعد الله من كُل شيء وأن لهُ الحق علينا الذي لا يغلبهُ حق بشر أحبُ إلينا من آبائنا وأمهاتنا لكن نُعظّمهُ بطرائق شرعية مُصطحبة وهذا معنى قول الله (فاعلم أنهُ لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) والعاقلُ اللبيب يسير في الأمور دون أن تكون الأمور بين يديهِ مُجتزئه يخلطُ بعضُها ببعض وهذهِ هي الفائدة العلمية للعلم وهي الفائدة العلمية لقضية جمع الأشياء بعضُها إلى بعض وإلحاق الأشباه بالنظائر حتى يسير الإنسان في طريقهِ إلى ربهِ على منهجٍ سليمٍ في الطريق إلى الله .

قال الله جل وعلا (وما الله بغافلٍ عما تعملون)

هذا نوعٌ من التهديد والوعيد لبني إسرائيل وغيرهم .

ما مضى أيُها المُباركون ردّ اللهُ إلينا كتابةُ كرّةً أخرى .

نقول إن ما ذكرهُ اللهُ جل وعلا من أخبار بني إسرائيل وإن كان يُخاطبُ بهِ أتباعهُم وأبنائهُم الذين عاصرهُم النبي صلى الله علية وسلم إلا أن الخطاب للأمة كُلها أن تتقي الله ربّها وأن تعرف ما أحل بالأمم السابقة فتجتنبهُ وما كان

سبباً في رفعتها فتلحقُ بهِ وتأخُذ بهِ لهذا ضرب الله الأمثال وأخبر الله جل وعلا عن السابقين وأنباء الغابرين حتى تتضح المحجةُ لكُل أحد في طريق سيرهِ إلى الرب تبارك وتعالى ...

هذا ما تيسر إيرادُهُ وتهيأ إعدادهُ واللهُ المُستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على مُحمدٌ وعلى آلهِ والحمدُ لله رب العالمين ....

إن الحمد لله نحمده, ونستعينه, ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا, وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له, أراد ما العباد فاعلوه, ولو عصمهم لما خالفوه, ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه, وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله, صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه, وعلى سائر من اقتفى أثره, واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين..

أما بعد:

فما زلنا وإياكم نتفيأ ظلال القرآن في سورة البقرة التي أخبرنا - قبل مرار - أنها فسطاط القرآن, وقد انتهينا إلى قول الله تبارك وتعالى: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة).

وذكرنا أن الله جل وعلا شبَّه القلوب القاسية بالحجارة, بل جعلها أشد قسوة من الحجارة, وبيَنا في لقاء سابق أن الله جل وعلى عدل عن الحديد - تشبيه القلوب القاسية – عن الحديد بأن الحديد له ما يلينه, قال الله جل وعلا عن نبيه داوود: (وألنَّا له الحديد), والحديد يُلان بالنار, ولا يعرف أن الحجارة تُلان بشيء آخــر, على

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

ذلك بيّن الله جل وعلا أن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار, وأن منها وهو الأعظم؛ ما يهبط من خشية الله..

ثم لازال السياق في الحديث عن بني إسرائيل, وقلنا إن سورة البقرة تحدثت كثيرا خاصة في أولها عن بني إسرائيل, وناداهم الله جل وعلا منتسبين إلى نبي الله يعقوب ابن إسحاق ابن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال الله جل وعلا يخاطب المؤمنين: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون):

مما استقر عقلا ونقلا وطبعا وشرعا؛ أن الطباع تتوارث.

الله جل وعلا يُخاطب المؤمنين الذين لديهم طمع في إيمان اليهود المعاصرين لهم القانطين في المدينة آنذاك, واليهود القانطون في المدينة آنذاك مر معنا أنهم ثلاثة قبائل:

قينُقاع.

والنضير.

وبنو قريظة.

وهؤلاء الثلاثة لابد من إدراكهم علما لطالب العلم, لأن كثيرا من القضايا في القرآن والسنة, والسيرة على وجه الخصوص لا يُحل إشكالها إلا بالاطلاع التاريخي كما سيأتي في تفسير الآيات

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

سنستصحب التاريخ مرة أخرى في الآيات القادمة.

نقول:

لاحِظ أن الله جل وعلا قال: (أفتطمعون) ولم ينه عباده عن الدعوة, وفرقٌ بين الأمرين كبير, والمعنى أن هؤلاء الأبناء - من يهود المعاصرين - هم على سَنن أبائهم الذين كانوا مع موسى عليه السلام, وموسى عليه السلام هو من أنبياء بني إسرائيل العظام, وليس أول نبي, لأن يوسف كان نبيا لبني إسرائيل, فإن مؤمن آل فرعون قال: (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا).

نعود فنقول - طبعا استطرادا - (موسى) مكونة من كلمتين:

مو : بمعنى ماء في العبرانية.

وشي : - بالشا - هذي معناها الشجر.

ولأنه وُجــد بين ماء وشجر في نهر النيل سُمي بهذا الاسم.
فبالعربية قُلِبت الشا ماذا؟
سينا؛ فأصبحت: مــوسى.
والعبرانيون ينطقونها بالإمالة قليلا (نطق الشيخ بالإمالة وهي لفظ يُسمع لا يمكن كتابتها), وهو اسم شائع عندهم إلى اليوم؛ موشي ديّان كان وزير الحرب الإسرائيلي في حرب 76 , والآن موشي كاستاف اللي هو رئيس دولة

إسرائيل, ليس رئيس الوزراء, رئيس الدولة, اسمه: موشي كاستاف, هذا كله تسمِّي بنبيهم السابق عليه الصلاة والسلام, فانظر حال القدوة, وحال الأتباع, ولهذا نقم الله عليهم تغير حالهم.

أعود فأقول:

الله جل وعلا لم ينكر – وليس في الآية إنكار أصلا - لكن هــذا عتاب - إن صح أنه عتاب - رقيق للمؤمنين.
والمعنى: أنت مكلف بأن تدعو كل أحد, ولا تحتجّ بأنه لم يؤمن, لكن لست مكلفا أو لست مطالبا بأن تطمع في إيمان كل أحد. { واضح الفرق؟ } أنت مكلف بأن تدعو كل أحد.
ولهذا دعا موسى وهارون عليهما السلام دعَوَا فرعون, دعوا فرعون مع علم الله تعالى الأزلي أن فرعون لن يؤمن.
والنبي صلى الله عليه وسلم دعا أبا جهل بتكليف من الله, مع علم الله الأزلي أن أبا جهل لن يؤمن.
فالدعوة شيء, والطمع في الإجـــابة شيء آخــــر.
فما كان في بعض نفوس المؤمنين من طمع دخول اليهود جملة في الدين؛ هذا أبعده الله جل وعلا, وهذا على وجه مخاطبة الأمم - على وجه الإجمال, لا على وجه الإفراد, لا على وجه الإفراد, وهذا قيد يجب أن يُتحرز.

نعود فنقول:

ذكر الله بعد ذلك - أيها الأخ المبارك - علتين سببا في عدم وجود ذلك الطمع؛ علة أظهرها,

وعلة أخفاها.

*** فالعلة التي أظهرها جل وعلا: قوله جل وعلا:**
(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون), هذه كلها علة واحد.
والمعنى أنهم: سمعوا كلام الله, وعقلوه, ثم حرفوه وهم يعلمون أنهم محرفون له: أي مصرون على التحريف.
فإذا اجتمعت هذه الأربعة؛ انتفى الطمع في إيمانهم.
والخطاب هنا عن علماء اليهود وأحبارهم.
عن مـــاذا؟
علماء اليهود وأحبارهم.
هذه العلة التي أظهرها الله, وهي علة مشاهدة للناس – للمؤمنين, يجب أن يستصحبوها حتى لا يقع في قلوبهم طمع في إجابة أولئك القوم.

*** أما العلة التي أخفاها الله: فهي علمه الأزلي أن هؤلاء لن يؤمنوا, إذ لوكان في علم الله أنهم سيؤمنوا لم يخاطب المؤمنين بألا يطمعوا في إيمانهم. { واضح؟ }.**
إذ لو كان في علم الله الأزلي أنهم سيؤمنوا لما عاتب الله المؤمنين في الطمع لأنه سيتحقق مراد الله القدري.
لكن الله جل وعلا عِلِم قـــدرا, وأراد ذلك ألا يقع منهم إيمان.
فكانت هذه السبب – العلة الثانية في نفي الطمع عن قلوب المؤمنين.
لكنه تعبدهم بالثانية فأظهرها, ولم يتعبدهم بالأولى فأخفاها.
لم يتعبدهم بالأولى فماذا؟

فأخفاها.

(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون).

ثم قال عنهم:

(وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون):
اختلف الناس في معنى الآية.

_ فذهب فريق من العلماء وهو قول الحسن البصري, وبعض السلف إلى أن المقصود: منافقو اليهود. منافقو اليهود.

_ وقال آخرون إن هذه الآية تنضم إلى ضميمتها في آل عمران: (آمِنوا بالذي أُنزل على الذين ءامنو وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون).

والذي يُرى - والعلم عند الله - الذي نختاره: أن هذا القول من أحبار يهود لمن لهم به عَلاقة من الصحابة, يقولون لهم آمنا بهذا النبي كما في كتبنا, لكنهم يستدركون قائلين: إنه للعرب خـــاصة, ولسنا مكلفين بأن نؤمن به. { واضح؟ }.
فإذا عاد أولئك القوم الذين قالوا هذا القول للصحابة, وخرجوا منها يعاتبهم غيرهم: كيف تُقرِّون لهم بأنه موجود في كتبكم (أتحاجونهم بما فتح الله عليكم). { واضح؟ }.
(فتح الله عليكم): يعني أخبركم في التوراة عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم, فإذا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أخبرتموهم أي العرب المؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار والمهاجرين, والأنصار على وجه الخصوص لأنهم أكثر صلة وعلاقة باليهود كان ذلك إقامة للحجة عليكم.

ثم قال ربنا: (أفلا تعقلون):
اختلف العلماء في قول الله تعالى: (أفلا تعقلون):

هل هو خطاب من الرب للمؤمنين فيكون أشبه بالعتاب؟

أو هو خطاب من الأحبار بعضهم لبعض؟ { واضح }.
أو هو خطاب من الأحبار بعضهم لبعض.

وأمـــيل إلى الثاني.
أن اليهود يلوم بعضهم بعضا على ما وقع منهم.
{ واضح القول؟ }.

ثم قال الله جل وعلا معنفا إياهم, ومخبرا بأنه يعلم السر والنجوى: (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون):
أي لا يفزع إلى هذا الطريق, ولا يميل إلى هذه الجادة, ولا يقول بهذا القول من يعلم أن الله جل وعلا مطلع عليه, يعلم سره وعلانيته.
وهذا أمـــر يجب أن يستصحبه المسلم.
فالله جل وعلا أجلّ من أن يُخادَع.
(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

(يا بُنيَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت

بها الله إن الله لطيف خبيـــر).

(الله يعلم سرهم ونجـــواهم).

(أحصاه الله ونسوه).

إلى غيرها من الآيات الدالة على عظيم علمه جل وعلا, وأنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة, فاستصحاب هذا الشأن العظـــيم من صفات الرب تبارك وتعالى يعين العبد على أن يصل بنفسه إلى طـريق النجاة.

الآن؛ ماسلف يا بنيّ كان الكلام فيه عن الأحبار, والعلماء, فانتقل الحديث إلى الدهماء والعامة, ومجمل ما أراده الله أن يقوله للمؤمنين: أمــة – أي اليهود - أمة هذا حال أحبارهم وعلمائهم, فكيف يكون حال عامتهم ودهمائهم؟!! { واضح؟ }.

أراد الله أن يقول للمؤمنين: أمــة – أي اليهود - أمة هذا حال أحبارهم وعلمائهم, فكيف يكون حال دهمائهم وعامتهم؟!

قال الله: (ومنهم) أي غير العلماء, (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمـاني وإن هم إلا يظنون), (أميون) متفقون على أنهم لا يجيدون القراءة ولا الكتابة, عامة, ولهذا قال الله: (منهم) ليسوا كلهم, لأن اليهود يقرؤن ويكتبون, لكن من يقرأ ويكتب منهم هذا معدود في العلمـاء والأحبار, والحديث هنا عن العامة والدهمـاء.

(ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمـانيّ):

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

نأتي عند (أمــاني) ننيخ المطايا.
(أمــاني): تحتمل معنيين:

- إمــا أنها تكون مأخوذة من الأكــاذيب و الأغاليط والأحاديث, وهذا وارد في كلام العرب.
قال كعب بن زهـــير:
فلا يغرنْك ما منَّت وما وعدت ـــــــــ إن الأمـــانيّ والأحــلام تضليل
فالعرب تجعل الأماني مرادفة للكذب, الأشياء المتوهمة التي ليست لها حقائق, ولا تثبت على حال.
فلا يغرنْك ما منَّت وما وعدت ـــــــــ إن الأمـــانيّ والأحــلام تضليل

والبيت من قصيدة لكعب بن زهــير مطلعها:
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول.

وقد مرت معنــا إلا أنني أُذَكِــر أن كلمة (بانت) هنا بمعنى: بَعُدَت, ليست بمعنى ظهرت, وأكثر من يردد البيت ربما يغلب على ظنه وعلمه أن المقصود ببانت بمعنى ظهرت, ولو ظهرت لما قال ما قال في وصف قلبه, لكن البَوْن والبعد ونأي الديار وبعدها عن نظره, هو الذي أورثه قلبا مكلولا, وهما, وحـــزنا.
نعود فنقول: هــذا الأول.

- كما أنها تأتي بمعنى الكذب والأحــاديث؛ تأتي بمعنى: التلاوة.
تأتـــي بمعنى: التلاوة.
قال الله تعالى: (أَلْقى الشيطان في اُمْنِيَّتِهِ) أي في تــلاوته.

قالت العرب على لسان حسان:
تمنَّى كتاب الله أول ليلةٍ ______ وآخره لاقى حِمــام المقادر

تمنَّى كتاب الله أول ليلةٍ - أو أول ليلِه ___ وآخره لاقى حِمــام المقادر
معلوم أن عثمان رضي الله عنه مات مقتولا, وكان قد قُتل والمصحف بين يديه, وقد اُشتُهِر عن عثمان رضي الله عنه وأرضاه أنه كان كثير قيام الليل.

يُقَـطِّع الليل تسبيحا وقرآنــا.

فكان يقرأ الليل.
فحسان أراد أن يقول: أنه استفتح عثمان نهاره بقراءة القرآن.
(تمنَى كتاب الله) مو معناه أنه كان بعيدا عنه وطلبه, و إنمــا كان يتلوه, لكنه آخر الأمــر لاقى ماذا؟
حِمــام المقادر: يعني الموت.
وحسان – هذا الستطراد – كان من أكبر المناصرين لمن؟
لعثمان.
قال في نونيته بعد مقتل عثمان:
لتَسْـمَـعُـنَّ وشيكا في دياركم: ----- الله أكبر يا ثارات عثمانا
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهِدوا ----- مادمت حيا وما سُمِّيْتُ حسانا

إني لمنهم وإن غابوا وإن شهِدوا ----- مادمت حيا وما سُمِّيْتُ حسانا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قبله:
لتَسْـمَـعُـنَّ وشيكا في دياركم: ----- الله أكبر يا ثارات عثمانا

وينسبون إليه - وفي نفسي شيء من ذلك البيت -, وهو قوله:

ياليت شعري وليت الطـــير تخبرني --- ما كان بين علي وابن عفانا

لكني أظن هذا البيت قد زِيد في مرحلة تاريخية ما.

التاريخ الإسلامي – لا ريب , قطعا – زِيــد فيه زيادات في كــل مرحلة, وسُلِبت منه حَقائق في كل مرحلة, بحسب مصالح أصحاب تلك المرحلة وأهل النفوذ فيها, السياسية أو الدينية.

السياسية أو الدينية.

ولهذا أحيانا يصل بالإنسان إلى أن يكتُم, لأنه لو أظهر لأبطل سُلطان أقوام, وإبطال سلطان أقوام يجعلهم يتسلطون عليه.
ولهذا قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن بعض علمه لو أظهره لقُتل؛ وهو أراد بذلك بعض ما كان يُسلِّط عليه بعض ولاة أولئك العصر, فيخسر الناس علمه بالجملة, وهذه من فقه أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه, لا كما فهمه المشغِّبون على أهل الحديث فجعلوا هذا الكلم مثلبةً في حق أبي هريرة.
لكن الإنسان إذا نظر إلى الأشياء نــظرة باحث عن الحقيقة يوفَّق.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وإن كان أراد أن يبحث ليوافق ما يريد أن يطلبه الحقَّ والواقع؛ لن يجد شيئا, فيضطر إلى ليِّ النصوص وإلى إعمال أشياء كثيرة فيها حتى تتفق مع مـــراده, لا نريد أن نستطرد كثيرا.

نعود للآية فنقول:

الاختلاف اللفظي في معنى أمــاني جعل العلماء يختلفون في معنى الآيــة.
قال الله تعالى: (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون):
والمعنى: أن من هؤلاء اليهود طائفة لا تفقه شيئا فهي إذا كانت التوراة -أو قرئ عليها الكتاب لا تفهمه إلا كما تفهم الأقاصيص والأحاديث و الأغاليط, لا تكون منها على بينة.
وقد قلنا: إن هذا حال الدهماء.
وقد مر معنا حال العلماء.

ثم قال الله جل وعلا: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويــل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون):
كلمة (ويل) يراد به إيقاع الشر والهـــلاك.
كلمة يراد بها إيقاع الشر والهلاك.
ولم يُسمع من العرب فعل لها من لفظها.
ولم يُسمع من العرب فعل لها من لفظها.

لماذا قُلنا: لم يُسمــع من العرب؟
الأصل في اللغة السماع أو القياس؟

السماع.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الأصـــل في اللغة: السماع.
فمن جاء بشيء قالته العرب, سُمِع عن العرب فقد أثبت الحجة.

الله هنا جل وعلا يتوعد قومــا من اليهود, كــانوا يكتبون.
قبل قليل قلت: إن التاريخ الإسلامي زِيد ونقِّص منه؛ كذلك حال اليهود.
في كل مرحلة زمنية؛ الأحبار الذين كُلِّفوا بحفظ التوراة يزيدون فيها ويضيفون وينقصون بحسب الحال التي هم فيها.

فمثلا؛ عندما لم يزعم العرب أن نبيا بعث منها – بالعقل – لم يلجأ اليهود إلى محو صفات النبي صلى الله عليه وسلم, لأن لا حاجة تقتضي محوه. { واضــح؟ } فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم في العرب ولم يظهر فيهم؛ اضطروا إلى أن يُغيروا, ويكتبوا كتابا آخــر يُضيفوه للتوراة يبدلوا فيه الوصف الإلهي لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى لا يغتر الأتباع به, فيُقحمون أنفسهم في التوراة, كــل ذلك يُريدون أن يُبقوا على سُلطتهم الدينية والتشريعية والتنفيذية فيتحكموا في أموال الناس؛ وهذا هو معنى الثمن القليل الذي قاله الله جل وعلا عنهم: (ليشتروا به ثمنا قليلا), وقد حررناه, حررنا ذلك الأمـــر في لقاء سابق.

فالله جل وعلا هنا يقول: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون):
فارتكبوا ثلاثة أمور:

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

- حرفوا ماسبق.
- وأضافوا من عندهم.
- واشتروا بما أضافوه ثمنا قليلا بعدما زعموا أنه من عند الله جل وعلا, وهذا من أعظم الفرية على الله تبارك وتعالى.

على هذا:
من تأمل هذا لا يتعجب من صنيع اليهود اليوم. لأنه إذا كان هذا حال آبائهم فحري بهم أن يكون هذا حال أبنائهم وأتباعهم, و ذراريهم.

قال الله جل وعلا بعد ذلك عنهم: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة):
اُختُلف في: الأيام المعدودة؛ ماذا أراد اليهود بها؟
الآن الآية واضحة في أن اليهود تعترف بوجود الجنة والنار, وكذلك النصارى, قال الله جل وعلا عنهما: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم), وقال الله جل وعلى عنهم: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء).
الذي يعنينا أن الله جل وعلا ذكر عنهم أنهم قالوا: أن النار لن تمسنا إلا أياما معدودة.
أشهر أقوال أهل العلم عندنا في هذه القضية أنهم قصدوا بها:
الأيام الأربعين التي عبدوا فيه العجل.
قصدوا بها أنهم يُعذَّبون بعبادتهم العجل.
يُعذبون في النار أياما معدودة هن أربعون لعبادتهم العجل.

وقال بعض العلماء أقوالا أخر لكني لا أعلم

مستندا لها لا من النظر ولا من الأثر, فضربنا الذكر عنها صفحا.

نعود فنقول: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يُخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون):
هذا ترتيب منطقي؛
يعني زعمكم هذا مبني على أحد أمرين:

" إما أن يكون لديكم عهد من الله.

" وإما أن يكون قول تخلَّـقتموه, افتريتموه على الله.

فإذا ثبت أنه ليس لكم عند الله عهد, فلم يبق إلا أن يكون قولكم فرية. { واضح؟ }
(قل أتخذتم عند الله عهدا)وليس لهم عند الله عهد,(فلن يُخلف الله عهده) كما تزعمون (أم تقولون على الله مالا تعلمون) قد يقول بعض العلماء إن (أن)هنا للإضراب الانتقالي, يعني: بل تقولون على الله ما لاتعلمون, لكن الأفضل جعلها على الترتيب المنطقي الذي بيناه آنـــفا.

قال الله جل وعلا مجيبا لهم: (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون):

(مَن) هذه – أيها المبارك – من ألفاظ العموم.
من ألفاظ العموم فالقرآن أعظم من أن يُنَزَّل بقضية واحدة.
والله جل وعلا ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب.

فهاتان الآيتان فاصلتان.
قال الله (بلى من كسب سيئة)
وقال بعدها (والذين ءامنوا و عملوا الصالحات)

والمعنى :

ليس بين الله وبين لأحدٍ من خلقهِ نسب كُل أحدٍ في كُل مصرٍ أو في كُلِ عصر إذا أكتسب سيئة وأحاطت بهِ خطيئتهُ أي مات على الكُفر فهذا مُخلدٌ في النار كائنً من كان ولو كان والد نبي كإبراهيم ، أو ابن نبي ككنعان ابن نوح ، أو عم نبي كأبي لهبٍ وأبي طالب [واضح].

ومن كان مؤمناً ْامن وعمل الصالحات ومات على الإيمان وافى الله بالإيمان كما حرّرنا بالأمس فهذا كتب الله جل وعلا لهُ الجنة لأن الله أشترط قال (أُوفوا بعهدي أُوفِ بعهدِكُم) وبيّنا (أُوفوا بعهدي) يعني امتثال أوامري (أُوفِ بعهدِكُم) أي بالقبول والثواب فهذا مآلهُ الجنة أياً كان والدة و أياً كانت أُمة.
فعُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان أبوهُ كافر ولا ندخُل في عُمر لأن عُمر أباهُ لم يُدرك النبوة قد يكون فيها قول للعُلماء .
لكن نأخُذ مثلاً عمرُ بن العاص فالعاص ابن وائل السهمي من أعظم الكُفّار وابنهُ عمر صحابي وخالدٌ سيفُ الله وأبوهُ الوليد ابن المُغيرة نزل ما نزل فيهِ من القرآن.

فلا يوجد بين الله وبيت خلقهِ تلك المعايير الموجودة في الدُنيا ليس بين الله وبين أحدٍ من خلقهِ إلا الإيمان والعمل الصالح وهذا ينبغي أن

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يستحضرهُ المؤمن في كُل آيةً يتلوها في كتاب الله .

عاد الحديثُ الآن إلى الكلامِ عن بني إسرائيل الحاليين والسابقين على شكل ربط .

قال الله (وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله)وهذا مرّ معنا كثيراً أن الدعوة إلى عبادة اللهِ وحدهُ هي أُسُّ دعوة الرُسُل وكُلُ الرسُلُ جميعاً دعوا إليها (وبالوالدينِ إحسانا) هذهِ أولُ آية في القرآن ذكر الله جلَ وعلا فيها حسب ترتيب المُصحف برِّ الوالدين وقد مرّ معنا كثيراً .

(وذي القُربى واليتامى والمساكين وقُولوا لناسِ حُسنا)

القرآن يُربي في الناس فقه الأولويات فمن لم يُعطي حق الله لن يُؤتي حق الخلق ، ومن منع الوالدين لن يُعطي القريب ، من منع القريبَ لن يُعطي اليتيم ، ولذالك من الفقه الخاطىء أن يوجد في الرجُل صفة تدلُ على كذب الأول لأن من ضيع حق الله وحق والديهِ والله لن يُؤتي حق الناس .
فإن صنع ورأيتهُ بعينك بحيث لا يُمكن لك أن تُنكرهُ فأعلم أنما فعلهُ لغرضٍ دُنيويً محض لا لهدي هو يقومُ عليهِ.
فرتب ربُنا حقهُ ثُمّ حق الوالدين ثُمّ حق ذوي القُربى والعرب كانت تأنف من ذالك الرجُل الذي يكونُ شرهُ على قرابتهِ .

قال طرفه :

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وظُلمُ ذوي القُربى أشدو مضاضةً ** على النفس من وقع الحُسام المُهندِ

والله لمّا خاطب نبيهُ (وأنذر عشيرتك الأقربين) ونوحٌ علية الصلاة والسلام لمّا دعا قال (ربِ أغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات)
ثُمّ قال الله تعالى :
(واليتامى)
واليتامى جمعُ يتيم وقد مرّ معنا الحديثُ عنه والمساكين جمعُ مسكين من أذلهُ الله بالفقر وأعجزهُ فأصبح ساكنً (وقُولوا لناسِ حُسنا) الناس عامة المؤمنين والكُفّار وهذا من تأديب اللهِ للأُمم السابقة واللاحقة أن الإنسان يكون قولهُ هين لين يُقبل منه .

وقد قالت العرب :
أبُني إن البرّ شيءٌ هينٌ * وجهٌ طليقٌ ولسانُ لينٌ**

وأعجزُ الناس من عجز على أن يحوي الناس بلسانه

لا خيل عندك تُهديها ولا مالُ ** فليُسعد النُطق إن لم تُسعد الحالُ

وهذا بيتٌ للمُتنبي فالإنسان العاقل يحتوي الناس بكلامه حتى عندما يقولُ لك لا . يقولها بأسلوبٍ مقبول لا أجدُ شيئاً ، النبي صلى الله علية وسلم عندما أتاهُ ضُعفاءُ المُهاجرين

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

والأنصار في غزوة جيش ذو العُسرة (قُلت لا أجدُ ما أحملكُم عليهِ) فالتعبير النبوي في الرد هُنا تعبيرٌ لطيف وهذا مُندرجٌ تحت قول الله تعالى (وقُولوا لناسِ حُسنا) .

وقد كانت العرب تضربُ الأمثال برجالٍ معدودين يُحسنون الخطاب وبعضُهم كان إذا أتاهُ سائل يقول لهُ الآن لا أجد لكن أعطيك ورقة أن لك علي كذا فإذا أصابتني حالة يُسر عُدت فأخذتها بمُقتضى هذهِ الورقة .

يقولون إن رجُلاً أظنّهُ خالد ابنُ سعيد ابنُ العاص هذا معدودٌ في أكثر العرب كرماً أصابتهُ فاقة وعُزل من منصبهِ من المدينة فذهب إلى قصرهِ في وادي العقيق في عُروة هم بعض حُماة المدينة يعني جهة الغرب كان هذا الوادي يسيل وعليهِ قُصور أكثر الناس من أهل الثراء كقصرِ من ؟ مشهور تاريخياً سعد ابن أبي وقاص وهو ورد فيهِ الحديث { إن الله يُحبُ العبد التقي الغني الخفي } كان يقصد نفسه لمّا جاءوا غُلامهُ على أن الناس يقتسمون الخلافة وهو في قصرهِ وقد حُمل سعد ابن أبي وقاص من قصرهِ عندنا في المدينة في غرب المدينة إلى الحرم حملاً على أعناق الرجال .

الذي يعنينا خالدٌ هذا عُزل فلمّا عُزل كانت دار الإمارة بجوار المسجد النبوي فرجع ولك أن تتصور أميرٌ يُعزل من سيرجع معهُ لن يرجع معهُ أحد . فلمّا رجع الناس كانوا مُلتفون حولهُ لأمرتهِ والآن لا مال ولا إمرة لكن في بعض الناس لا يفقدون شيء يعني يعود إليهم لجاههم لا يقدرُ السلاطين على مُناكفتهِم بالكُلية فهو راجعٌ سار معهُ شاب و أظنّهُ شاب فطن حتى وصل معهُ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

إلى باب القصر فلمّا وصل معهُ إلى باب القصر قال يا ابن أخي سلني حاجتك فإنّك مُنذُ اليوم تُرافقني، قال : واللهِ لا أُريدُ شيئاً ، قال ولماذا سرت معي ؟ قال : رأيتُك مقصوص الجناح فأحببتُ أن أعضُدك رأيتُك مقصوص الجناح فأحببتُ أن أعضُدك فوقعت هذهِ الكلمة في قلب خالدٍ موقع عظيم فقال لهُ أخرج ورقة فأخرج ورقة فكتب لهُ أن لهُ عليهِ عشرون ألف دينار دينا, و نادى غلاما له ليشهد, ثم ختمها وأعطاها الغلام ، فذهب الغلام فمات خالد بعدها بقليل.
وكان رجلا من وجهاء بني أمية في عهد معاوية. فأشار على ابنه قبل أن يموت: أن اذهب إلى معاوية فإنه سيتكفل بديني, وأخبره أنت بنبأ وفاتي.
فلمّا مات خالد ذهب ابنه إلى الشام, وأخبره بموت أبيه, ومعاوية وخالد قرابة – من بني أمية, فلما أخبره قال له: ما أوصاك؟
قال: أوصاني أن أآتيك وأخبرك.
فقال: خيراً فعل. أو حسناً دلك عليهِ فأعطاهُ ألاف الدنانير ليقضي بها دين أبيهِ خالد فعاد الغُلام الشاب ابن خالد إلى المدينة وأعلن في الناس بطريقة الإعلانِ آنذاك نادى مُنادي أن يأتي يأخُذون ديونهُم فجاء التُجّار الذين حصل بينهُم مُعاملات ثُم جاء هذا الشاب ومعهُ هذهِ الورقة فيها عشرون ألف دينار مبلغ آنذاك كبيرٌ جداً فلمّا أخذهُ الابن قال ما أظنُّ أبي يكتُبُ هذا أنت لست بتاجر إنما أنت صعلوكٌ من صعاليك المدينة كيف استحققت أن تأخُذ على أبي هذا المبلغ فجاء الغُلام الشاهد قال أنا أشهدُ أنهُ صحب خالدً إلى قصرهِ فسألهُ خالدٌ لما صحبتني قال رأيتُك مقصوص الجُناح فأحببتُ أن أعضُدك فكتب لهُ هذهِ الورقة فأعطاهُ العشرين ألف

دينار .

موضع الشاهد :

هذهِ الآية المُجملة هُنا وهذهِ القصة التي أخبرناك بها نصّ اللهُ عليها في آيةً مكية لأن البقرة مدنية والقصة مُتأخرة هذي قصة في عهد بني أمية, قال الله جل وعلا: (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم) أي المساكين (قولا ميسورا)
الآن لاحظ أول الآية : (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) شيء تؤمله من الله, ولا يوجد مؤمن عاقل يقطع الأمل من الله هذا المقطوع الأمل من الله ما يعرفُ الله الذي يعرفُ الله على حال استعداد أن تأتيهُ نعمةُ الله [واضح]

(وإمّا تُعرضنّ عنهُم) أي المساكين (ابتغاء رحمةً من ربك ترجوها فقُل لهُم قولاً ميسورا) أي أجلهُم إلى حين قُل لهُم أُتوني بعد غدٍ أتوني آخر الشهر لعلّك تأتيني آخر السنة هكذا لعلّك تأتيني في رمضان أشبه ما يكونُ لهذهِ الكلمات التي تندرجُ في كلام الله (وقولُ لناسِ حُسنا) .

قال الله جل وعلا
(وأقيموا الصلاةَ وأتوا الزكاة ثُمّ توليتُم إلا قيلٌ منكُم وأنتُم معرضون)
وهذهِ ظاهرةٌ مرّ معنا كثيراً مثلُها .

قال الله تعالى بعدها
(وإذ أخذنا ميثاقكُم لا تسفكُون دماءكُم ولا

محاسن التأويل

الشيخ صالح مغامسي

تُخرجون أنفُسكُم من دياركُم ثُمّ أقررتُم وأنتُ تشهدون * ثُمّ أنتُم هؤلاء)

(هؤلاء)

تُبين لك أن المُخاطب اليهود المُعاصرون لنبي صلى الله عليهِ وسلم

(ثُمّ أنتُم هؤلاء تقتلون أنفُسكُم وتُخرجون فريقاً مّنكُم مّن ديارهِم تظاهرُون عليهم بالإثم والعُدوانِ وإن يأتُوكُم أُسارى تُفادُهُم وهو مُحرّمٌ عليكُم إخراجهُمُ أفتؤمنُون ببعضِ الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاءُ من يفعلُ ذالك منكُم إلاّ خزيٌ في الحياةِ الدُنيا ويوم القيامةِ يُردّون إلى أشد العذاب وما اللهُ بغافلٍ عمّا تعملون)

الآن هذهِ الآيتان اضطررتُ إلى أن أقراء هُما سوياً لأنهُما لا تُفسّرا إلا سوياً والآن قُلت سنستجدي التاريخ :

المدينة الطوائف الثلاثة اليهود الذين كانوا موجودين آنذاك كانت الحرب قبل الإسلام مُشتعلة ما بين الأوس والخزرج فكانت اليهود تمسك باب الحياد >

وتنبّه جـــــــــــــــــــــــــيداً لما سيأتي لأن لن تُفسّر الآية إلا إذا عرفت التاريخ كانت قبائل اليهود الثلاثة تلتزم ماذا ؟ ـ حاول أن تُشاركني ــ تلتزم الحياد ، والحرب بين الأوس والخزرج كانت الغلبة للخزرج كثيراً الآن ضع نفسك مكان الأوس أنت مغلوب تضطر تُشرك الذين في الحياد تجُرّهُم إلى المعركة جر فذهبت الأوس تستنصر باليهود فرفضت اليهود طلبوا الحياد لمّا علم الخزرجُ أن الأوس ستستنصر باليهود ذهبوا إلى اليهود ذهبوا إلى قُريضة والنظير قالوا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

نخشى أن تكونُوا مع أبناء عُمومتنا فأعطوهم المواثيق أنهُم لن يكونوا وأنهُم سيبقون على الحياد ما أطمأن اليهودُ, ما اطمأنت الخزرج, طلبوا رهائن, فأعطت اليهود للخزرج أربعين غلاما حتى يضمنوا أنهم لن يشتركوا في الحرب, وفعلا لم تشترك اليهود في الحرب, وبقي الأربعون غلاما مع من؟
مع الخزرج.
الله يقول: (كلا إن الإنسان ليطغى * أن رءاهُ استغنى) لما شعر الخزرج أنهم أربعون من اليهود تحت أيديهم, وغلبوا إخوانهم من الأوس, أرادوا أن يتحولوا إلى مواطن سكن بني قريظة وبني النضير, وكانت أخصب أرضا, وأكثر نخلا, جاءوا الخزرج جاءوا لليهود قالوا: زيلوا عنا قليلا نُريدُ أن نسكُن دياركُم فهنّ على يهود تشاوروا رجعوا إلى رجُلٍ ذو عقل الخزرج هدّدوا قالوا إن لم تقبلوا قتلنا من ؟ قتلنا الأربعين فقال هذا الرجُل اسمهُ كعب قال يا بني قومي أبقوا على دياركُم ونخلكُم وأموالكُم ولا تبرحوها .
أما الغلمان فلا يلبثُ رجلٌ منكُم أن يأتي أهلهُ فيُولد لهُ غلامٌ مثلهُ يعني تنّحل لكن في أشياء لا تُحلّ .

أحد من العرب كان مُسافر تارك وراه زوجة وولد وأبو وأخو وجيران جاء كيف حال الأب ؟ قالوا مات قال ملكتُ أمري أولا أبوي فيه استحى منه ، قال أين الزوجة ؟ قالوا ماتت قال تجدد فراشي ، أين أبني ؟ قالوا مات قال آتي أهلي الجُدد ويأتيني اللهُ بغيرهِ ، قال أين أخي ؟ قالوا مات قال قُصم ظهري .
يعني وين أدور أخو؟ [واضح] هذهِ بالعامية " وين أدور أخو ؟ لكن جاءت في السياق .

الذي يعنينا الآن لمّا قيل لهُم قال هذا العاقل قال الغلمان يُؤتى بغيرهم تلد الأزواج لكن الأرضُ والديار والنخل من الذي يُعوضُها فلمّا دخلوا اضطرت الخزرج بعد أن قتلت الأربعين أن تدخُلَ في حلف بني قينُقاع فاضطرّت بنوا النظير و قُريظة أن يدخلوا مع من ؟ مع الأوس فصارت مقتله بمُقتضى هاذين الحلفين أصبح اليهود يُقاتل بعضُهم بعضا بأن بني النظير وبنوا قُريضة في كفة و قينُقاع في ماذا ؟ في كفة أُخرى خلاص .

الحرب أي حرب لابُد أن تترتفع والله عبّر عنها بماذا ؟ (تضع الحربُ أوزارها) ولا يُعرف هذا التعبير قبل القرآن وضعت الحرب أوزارها لجأ اليهودُ إلى أن يفدوا أسراهُم ففدوا أسراهُم .

ما علاقةُ هذا كُلهِ بالآيات ؟

في التوراة أوجب الله عليهم فدية الأسرى وحرّم الله عليهم أن يقتُل بعضُهم بعض أن يهودي يُقاتل يهودي مُحرّم فهم بصنيعهم هذا قاتلوا بعضهُم فعلوا ما نُهوا عنه وقاموا بما وجب عليهم وهو فداء الأسرى [واضح]

فعاتبهُم الله تبارك وتعالى فقال
(وإن يأتُوكُم أُسارى تُفادُهُم وهو مُحرّمٌ عليكُم إخراجهُمُ أفتؤمنُون ببعضِ الكتاب وتكفرون ببعض)
فأصبحوا فعلوا شيئاً وتركوا شيءً فما كان ينبغي عليهم أن يُقاتل بمُقتضى التوراة التي بين أيديهم أن يُقاتل بعضُهم بعضَ.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

فقولُ اللهِ تبارك وتعالى أنهُ حرّم عليهم لا يُخرجون أنفُسهُم هذا المعنى المقصود الملة الواحدة والله جل وعلا جعل كُل ملة كالنفس الواحدة قال علية الصلاةُ والسلام { مثلُ المؤمنين في توادُهم وتراحمهُم كمثل الجسد الواحد إذا أشتكى منهُ عضو ...} إلى آخر الحديث
[واضح القضية الآن]

قولُ الله جل وعلا
(ثُمّ أنتُم هؤلاء تقتلون أنفُسكُم وتُخرجون فريقاً منكُم من ديارِهِم تظاهرون عليهم بالإثم والعُدوان)

من الناحية الصناعة النحوية تظاهرون أصلُها تتظاهرون كم تاء اثنتان فحُذفت أحداهُما ولا ريب أن هُناك تاء زائدة وتاء أصلية .
لكن أختلف النُحاةُ البصريون الكُوفيون في أيهِما التي حُذفت هل هي الأصلية أو الزائدة ؟

فقال البصريون وإليهِم نميلُ في الغالب قالوا إن المحذوف الأصلية لماذا؟

قالوا لأن الزائدة دخلت لمعنى التاء الزائدة دخلت لماذا ؟ لمعنى فلا معنىً لحذفها كيف أنا أُدخلُها لسبب ثُم أُخرجُها وأما الأصلية فلا معنى لها لأنها من الأصل باقية .
وقال الكُوفيون إن المحذوف هو التاء الزائدة لأنها أضعف والأصلية هي الأقوى فلا معنى لحذف الأقوى وبقاء الأضعف [واضح]

وهذا كثير في القرآن :
قال تعالى (تنزّلُ الملائكةُ والروحُ فيها)
والأصلُ تتنزّل .
هذا تعريجٌ نحوي على قول الله تعالى
(تظاهرون عليهم بالإثم والعُدوان وإن يأتُوكُم أسارى تُفادُهُم وهو مُحرّمٌ عليكُم إخراجهُمُ أفتؤمنُون ببعضِ الكتاب وتكفرون ببعض)

ثُمّ بيّن جل وعلا قال :
(فما جزاءُ من يفعلُ ذالك منكُم إلا خزيٌ في الحياة الدُنيا ويوم القيامة يُردون إلى أشد العذاب وما اللهُ بغافلٍ عما تعملون)
(ما جزاءُ من يفعل ذالك منكُم) أُختلف في ما هذهِ هل هي استفهامية أو نافية ؟
والحقُ أنها تحتملُ الاثنين ولا أستطيعُ أن أجزمَ بإحداهُما تحتمل أن تكون نافية وتحتمل أن تكون استفهامية .

(فما جزاءُ من يفعلُ ذالك منكُم إلا خزيٌ في الحياة الدُنيا) هذهِ فيها قرينة ودلالة وشاهد على أن من الذنوب من يُعجّل الله جل وعلا بهِ العقوبة أين ؟ في الدُنيا من الذنوب ما يُعجّل الله جل وعلا بهِ العقوبة في الدُنيا لكن في نُقطة قد توافق مع أحداث العصر وإن كُنتُ لا أدري الحلقة تُذاع مع أحداث العصر أو لا .
أولاً في قضية أساسية ما كان سبباً في الذنب لا يُمكن أن يكون سبباً في الرفع [واضح]
ما كان ذنباً سبباً في الابتلاء الذنب الذي هو سبب في الابتلاء أو أحد أسباب الابتلاء لا يُمكن أن يكون هو نفسهُ هو سببٌ في ؟ فــي الرفع كلام مُعمّم لكن الإنسان لابُد أن يفهمهُ فهماً

جيداً .

نأتي بمثـــــــــــال واضح حتى تنجلي الصورة .:

مثلاً عندما تحصُل حرب أو يحصُل أذى للمُسلمين في أي قُطر [واضح]
أي أذى لأي مُسلمين في أي قُطر في أي مكان في أي زمن من الذي يحصُل من الذي يعني يُشاهد يأتي مجموعة مثلاً من أهل الفن من دُعاة الفجور العلني فيُقيمون مُظاهرات أو يقُولون سنفعل ونفعل هذا بشرع الله لا يستقيم لأن وجود هذهِ الأعمال التي يتبناها أُولئك الأقوام هي من أسباب تسلُط العدو فلا يُمكن أن يُرفع بسببهم هُم [واضح]
إنما هؤلاء ما الذي يُمكن أن يُقدّموه ؟
التـــــــــــــــــــوبة الذي يُمكن أن يُقدّموه التوبة أنتُم تخلّصوا من ذنُوبكُم سيرفعُ اللهُ عنا البلاء.
لكن لا يُعقل أن تكونون أنتُم مُقدّمين في قضية رفع البلاء عن الأُمة مُحــــــــــال لأن يعني من هذهِ أي عذاب أي ابتلاء تسلُط عدو أو غيرهِ أو جدب ديار أو غيرُهُ هذا من الذنوب وليست لا يلزمُ أن تكون محصورةً في ذنبٍ واحد لكن ليس من المعقول أن يكون همُ السبب في نزول البلاء ويكونون هُم أنفُسهُم سبباً في رفعهِ إلا أن يتوبوا [واضح]

وهذهِ نُقطة يجبُ أن يتنبّه لها الإنسان ولا يغترّوا بكثرة النفير الظاهري في الفضائيات والقنوات ....

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

علّمنا الله وإياكُم ما ينفعُنا ونفعنا وإياكُم بما علّمنا

هذا ما تيسر إيرادُهُ وأعان العلي الكبيرُ على قولهِ في هذا اللقاء المُبارك والتأمُلات في قول اللهِ تبارك وتعالى (أفتطمعون أن يُؤمنوا لكُم) إلى قولهِ سُبحانه (أولئك الذين اشتروا الحياة الدُنيا بالآخرة فلا يُخفف عنهُم العذاب ولا هُم يُنصرون)

(فلا يُخفف عنهُم العذاب) الأفضلُ حملُها على عذابُ الدُنيا لأن عذاب الآخرة مُستقيم (ولا هُم يُنصرون) هذهِ يجبُ حملُها على عذاب الآخرة لأن النُصرة قد تقع في الدُنيا وقد يُسلّط أهل الكُفرُ حيناً على أهل الإيمان .

أُكرر الخاتمة عوداً على بدء
هذا ما تيسر إيرادُهُ وأعان الله على قولهِ وصلى الله على مُحمدٌ وعلى آلهِ والحمدُ لله رب العالمين ....

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره ,و اتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين ..
أما بعد:

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

ففي هذا اللقاء المبارك نُـتبع ما كنا قد تكلمنا عنه من تفسيرنا لسورة البقرة, وقد انتهينا في اللقاء الماضي إلى قول الله جل وعلا {وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم} والآتين التين بعدهما ،وهما في الحديث عن بني إسرائيل.

وقد مر معنا أن الله جل وعلا ذكر بعضا من شنائع اليهود السابقين
ثم أردفها ببعض أخبار اليهود المعاصرين لنبينا صلى الله عليه وسلم, ومنها أن اليهود انقسموا إلى طائفتين في حرب بُعاث بين الأوس والخزرج فكل طائفة منهم مالئت أخرى إما مع الأوس إما مع الخزرج ,فنشأ عن هذا ضرورة اقتتال اليهود, اقتتال طائفتي اليهود, لأن كل فرقة منهم تبعت طائفة،ثم إن اليهود بعد أن وضعت الحرب أوزارها فدت أسراها , وقلنا في الدرس واللقاء الماضي
أن اليهود حُرِمٍ عليهم أن يقاتل بعضهم بعضا, كما أنهم مأمورون بشريعتهم أن يفدوا أسراهم, فاليهود بصنيعهم هذا خالفوا تعاليمهم بأنهم قتلوا بعضهم, واتبعوا شرعهم بأنهم فدوا أسراهم, وهذا هو الذي نقمه الله جل وعلا عليه بقوله تبارك وتعالى {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض}هذا المعنى للآية .

وقلنا أن استصحاب التاريخ والأحداث معين جم لفهم القرآن بل إن بعض آيات القرآن محال فهمها إلا بمعرفة سبب النزول وذكر الخبر, وإلا لا سبيل إلى فهمها، لأن فهمها لا يتوقف على حل المفردات اللغوية, لكن لابد من خبر يوضح

سبب النزول , وسيأتي لهذا أمثلة, لكن هذا ما انتهينا إليه في اللقاء الماضي.

ثم قال الله جل وعلا بعد ذلك ,أي بعد هذه الآيات {ولقد ءاتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل}
معلوم أنه قد مضى الحديث عن موسى, لكن جاء ذكرموسى هنا تمهيدا لا تأكيدا , فقال الله جل وعلا {ولقد ءاتينا موسى الكتاب} وقطعا المراد بالكتاب هنا : التوراة.
ثم قال جل وعلا { وقفينا من بعده }أي من بعد موسى {بالرسل}
{وءاتينا عيسى بن مريم البنات} وهذه الآية جبرا تُحدث عند طالب العلم نوع إشكال.
أين نوع الإشكال؟!
أنه معلوم أن أكثر أهل العلم على أن الرسول من أوتي بشرع جديد ،بخلاف النبي الذي يسوس أمته على شرع غيره
أين الإشكال؟!
الإشكال أن الله قال {وقفينا من بعده } أي من بعد موسى {بالرسل}فقالوا إن الإشكال : كيف يُطلق على أنبياء بني إسرائيل أنهم رُسل ولم يأتوا بشرع جديد , لأنه لا كتاب مشهور لدينا بعد التوراة إلا (من؟) الإنجيل, والإنجيل أفرده الله جل وعلا بالقول {وءاتينا عيسى بن مريم البينات}
وفي آيات أُخر (أن الله آتاه الإنجيل)
هذا هو الإشكال
فبعض العلماء يقول : يرفع مقامات (يا بني إسرائيل) لأنها تفريع عن التوراة إلى مقام الرسل.

وهذا جواب غير علمي.

وأرى أن الجواب العلمي أن يُقال : ليس الأمر حصر الرسل في بني إسرائيل وإنما المقصود عن الحقبة الزمنية التي مابين موسى وعيسى عليهم السلام بعث الله رسلا ليسوا إلى (ماذا؟) ليسو إلى بني إسرائيل, ولكن إلى من جاورهم من أهل البلدان الأخر كإلياس وذو الكفل , وذي الكفل مجرورة، معطوفة على مجرور ,وغيرهم فيكون الإخبار هنا { وقفينا من بعده بالرسل} زمنا لا أمة , زمنا لا أمة , أي جاءت رسل مابين موسى وعيسى لكنها ليست أمة أي ليسوا مبعوثين إلى بني إسرائيل فلو كانوا مبعوثين إلى بني إسرائيل ويسوسون بني إسرائيل بالتوراة لا يُطلق عليهم رسل بهذا فيما نعلم يُحل الإشكال.

قال الله بعدها {وءاتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس }
عيسى بن مريم نبي من أنبياء بني إسرائيل , وهو آخر الأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم, وسينزل في آخر الزمان كما حررنا ذلك في مواضع كثيرة , واسمه بالعبرانية : [يشوع, أو يسوع] ثم نُقل إلى العربية
[يسوع أو يشوع] أين العين؟؟
في الأخير
عيسى بالعربية أين العين ؟؟
في الأول
وهذا ما يسمى قلب مكاني, والمعنى أن العرب لما نقلت اسمه إلي العربية أجرت عليه قلبا مكانيا, وسبب ذلك أن [يشوع] عندهم أي عند العرب كلفظة , ومفردة لا كنبي لأن العرب لم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يكونوا مؤمنين وجودها ثقيلة من بابين:
· ثقل العجمى فليس لها معنى عندهم.
· ثقل التركيب.
ثقل ماذا؟
العجمى , لأن عيسى اسم أعجمي غير عربي ,وثقل التركيب, فأرادوا التخفيف فأجروا قلبا مكانيا إذ لا سبيل لهم إلى العجمى, فالسبيل في التركيب الحرفي فبدلوا في التقديم والتأخير حتى يُصبح مستساغا في نُطقهم فجعلوا الحرف الأخير في الأول ,فقالوا(عيسى) اجتمع عنهم حرفا علة (الياء والواو) فتخلصوا من أحدها بالقلب ,فقلبوا الواو ماذا؟ ياءً ,وأبقوا الثاني كما هو (عيسى)
هذا بعض الإجراءات التي أجراها العرب كلفظ على الاسم ,أما معنـــــــاه عند العبرانين فهو السيد المبارك.
وهذا النبي اختصه الله بخصيصة لم تعط لغيره , وهو أنه لم ينتقل في أصلاب الرجال.
لم ينتقل في أصلاب الرجال, بل كان محفوظا في مقام لدنّي عند الله حتى بعث الله روحه مع جبريل لينفخ بها في جيب مريم بنت عمران أمه عليهما الصلاة و السلام.
واضح الآن قضية عيسى كاسم؟!

عيسى بن مريم طبيي لم ينسب لأبيه ,لتونا حررنا أنه ليس له أب, ولم يتقلب في أصلاب الرجال وهي خصيصة له دون سواه ،إذا استثنينا من ذلك آدم وحواء.
فنقول (مريم) كذلك اسم أعجمي, وهو في العبرانية بهذا اللفظ (مريم) لمـــــــاذا لم يُجرِي عليه العرب عند نقله إلى العربية تغيّرا كما أجروه على عيسى؟!

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قلنا : العجمى لا سبيل للخلاص منها , و إنما السبيل يكون إذا كان الاسم ثقيلا, ولم يروا في اسم مريم ثُقلا فأبقوه على ما هو عليه . هذا من باب الصناعة اللغوية.

مريم, معناها : المرأة المتباعدة عن الرجال والعاكفة على خدمة الرب ،ولذا فهي أول امرأة, خدمت بيت المقدس.

ومعلوم مستفيض مشهور أمها لما حملت بها كانت ترغب أن تكون ذكرا حتى يخدم في بيت المقدس , ولهذا قالت معتذرة إلى ربها كما سيأتي تحريره في سورة آل عمران قالت :

{{رب إني وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم }}

فانظر!

يعني من حرصها على الخير لما فاتها الذي تقدر عليه وهي كونه أن يكون ذكرا هذا لا سبيل لأم مريم عليه , فلما فاتها الذي لا تقدر عليه تـــــمـــــســـــكـــــت بما تقدر عليه, فتقربت إلى الله أقل شيء بالاسم , تسميها اسما يكون من معانية أنها تخدم الرب

واضح؟؟

المرأة المتباعدة عن الرجال تُسمى : مريم ضده في الرجال في العربية : الرجل المتقارب من النساء، الرجل إذا كان متقاربا في مجامع النساء يسمى في العربية : زير .

ومر معكم مهلهل بن ربيعة يُسمى الزير سالم .

يقول روبا بن الحجاج أحد أشهر العرب في باب الرجز

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الرجز : أحد بحور الشعر يغلب عليه التخفيف ، يقوله كثير من الشعراء .

يقول روبا لأبي جعفر المنصور في قصيدة رجز طويل :

فقلت لزير لم تزره مريم

أي قلت لرجل له رغبة في محادثة النساء ، والعكوف لديهن لكن زوجته على النقيض منه ، ولهذا اسماها
ماذا؟؟؟؟
سماها مريم ، لأنها متباعدة عن الرجال .
إذا استطردنا من يبني المجد لنفسه إن كان رجل لابد أن يأنف من الخوض أو الرغبة أو المحبة لمحادثة مجامع النساء ، واضح ؟
من ألف مجامع النساء من الرجال في الغالب يكون أبعد عن ذُرى المجد, ولذلك من ألفها بَعُد.
جميل بثثينه كان يحب مجامع النساء,ولذلك الناس لا ينسبونه الى مجد أكثر من ما ينسبونه الى امرأة
يقولون:
جاهد جميل بغزوة .... وأي جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة.......................... وكل قتيل عندهن شهيد

وهذا من داليته المشهورة, لكن المقصود من هذا: أن ذرى المجد؛هناك تعبير يقوله العلماء في هذا غير لائق نشره في هذه القضية لكني أقـــــــــــول:إن الميل الى مجامع النساء, والميل الى محادثاتهن يُبعد الرجل غالبا عن ذُرى

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

المجد , هذا خلاف قضية مسالة الاستشارة أحيانا, أو الحث على طلب العلم, هذا خارج عن تقييدنا.

قال الله جل وعلا {وءاتينا عيسى ابن مريم البينات }
هذا صفة لموصوف محذوف, أي:الآيات والمعجزات البينات, ومن أشهرها:إ حياء الموتى, وإبراء ألاكمه ولأبرص
{و أيدناه } عليه السلام {بروح القدس}
وأختلف العلماء في المقصود بروح القدس على أقوال:
منهم من قـــــــــال:
إن روح القدس هو جبريل, وهذا هو قول الجمهور, وكثير من الآثار تشهد له
قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان: "اهجهم وروح القدس معك" كما في الصحيحين في رده على عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه, وقول حسان نفسه :
فجبريل أمين الله فينا ....
وروح القدس ليس له كفاء.

هذا القول عليه الجمهور , واختاره ابن كثير.

وبعض العلماء قــــــــــال: أن روح القدس معناها : الاسم الأعظم , الذي كان ينادي به عيسى عند إحياء الموتى, نوع من الدعاء, أو نوع من الاسماء كان عيسى يُنادي به عند إحياء الموتى وهذا, يُنقل عن ابن عباس ,لكنني لا اعلم سندا صحيحا في رفعه الى ابن عباس , وأظن هذا القول بعيد.
وقيــــــــــــل : روح القدس, وهذا قول يشهد

له القرآن , المقصود به الإنجيل .
كيف يشهد له القرآن ؟؟
قالوا : إن الله سمى القرآن روحا {{و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا}}
فقالوا : كما سمى الله القرآن روحا فإن الإنجيل يسمى روحا باعتبـــــــار الجمع بين القرآن والإنجيل ,أن كلا هما كتابان سماويان أنزلهما الله جل وعلا على نبيين رسولين , من أنبيائه ورسله.
أيا كانت هذه المعاني التي جاءت حول روح القدس ,أما معـــنى القدس: فالمطهر المنزه, يسمى القدس.
{وأيدناه بروح القدس} ثم قال الله بعد ذلك؛ أنا قلت في الأول أنه تمهيد يُخاطب هؤلاء اليهود{ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون}
هوى : بمعنى رَغِب, وأحب ,ومال, يُستخدم في الشر أكثر مما يُستخدم في الخير, إلا أنه لا يعني ذلك, أنه لا يُستخدم في الخير, ومما يدل أنه يُستخدم في الخير قول عائشة _رضي الله عنها_ للنبي صلى الله عليه وسلم : "ما أرى ربك إلا يُسارع في هواك" أي : فيما ترغب من الخير.

عنَّف الله جل وعلا على اليهود زعمهم أنهم متمسكون بأصل الإيمان , بأن هذا الإيمان الذي يدّعونه كانوا فيما مضى يقتلون أنبياء الله كزكريا, ويستكبرون على غيرهم ككثير من الأنبياء كموسى.
{وقالوا} أي اليهود {قلوبنا غلف} جمع أَغلَف, من على قلبه غطاء, وغشاوة, أي : زعموا أن الذين يمنعنا من إتباعك ما على قلوبنا من الغطاء, والغشاوة

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قال الله {بل لعنهم الله بكفرهم فقليل ما يؤمنون } أعظم ما تدل عليه هذه الآية أن تعلم أن من الجزاء ما يكون أعظم من الذنب.
تحرير المعنى : هؤلاء اليهود اجترؤ على الله وعلى رسله فعاقبهم الله على هذا الاجتراء بأن جعل قلوبهم لا تقبل الإيمان ، ولا ريب أن الله جل وعلا إذا طبع على قلب أحد ولم يجعله يقبل الإيمان ، هذا والعياذ بالله عقوبة وجزاء ظاهر القسوة، وعلى هذا صُرف اليهود عن إتباع الحق لما اجترءوا على المعاصي فعاقبهم الله جل وعلا بقوله {بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون} أي الذي جعلهم حقيقة لا يقبلون الحق ما أقامه الله جل وعلا عليهم من اللعنة حتى أصبحوا مطرودين من رحمة الله .
ولهذا اللعن، نقرأ في كتب التعريفات أنه الطرد والإبعاد من رحمة الله.
والحق أن التعبير هذا على إطلاقه في النفس منه شيء، لا يستقيم شرعا وإن قال به أكثر أهل العلم لأنه ينبغي تقيّده, فيُنظر مَن الملعون؟
ثم يُقـــــــــال:
إن المسألة مسألة نسبية, فقد يكون اللعن طردا بالكلية،
وقد يكون اللعن منعا من دخول الجنة,
وقد يكون اللعن حكما على أحد بالنار,
وقد يكون اللعن تخفيضهم ,إنزال من درجة وهذا أكثره يرد في حق أهل الإيمان, وعليه تُحمل الأحاديث في عُصاة المؤمنين ,خاصة بعض الأعمال غير المدرجة في ظاهرها من الكبائر وإن كان الآخرون يقولـــــــــون: إن وجود اللعن دليلة على الكبيرة , لكن أحيانا بعض الأحاديث تدل على أن الأمر ليس بالكبيرة, ومع

ذلك دخل فيه اللعن, فيكون اللعن هنا محمول على إنزال من درجة معينة, من درجة المقربين الأبرار أو من درجة أهل الفضائل, أو ما أشبه ذلك من أصحاب اليمين,لكن لا يكون طردا كُليا كما هو حق لعنة الله على الكافرين.

قال الله جل وعلا بعدها: {ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين}

{لما جاءهم كتاب من عند الله} المقصود قطعا بالكتاب هنا القرآن
{مصدق لما معهم} أي التوراة
{وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا}
الاستفتاح في اللغة يُطلق على معنيين:
٠أما في أصله الأول فهو طلب النصرة
٠أما الأمر الثاني : الاستدراك على القارئ ، فلما يقرأ الإمام في الصلاة ويقع منه سهو في آية تستفتح عليه, ماذا تستفتح عليه؟؟
تُذكره بما نسي ,تُعيد القراءة حتى ينتبه من سهوه, هذا المعنى الثاني.
والمعنى الأصلي لها الأول: طلب ,طلب النصرة.
يُصح معنى الآية على الأول ,أن العرب ,بعض العرب كالغطفانيين عندما كانوا يُحاربوا اليهود, كانوا اليهود يستنصرون الله عليهم, فمن جملة ما يستنصر اليهود ربهم , أنهم يقــولــون:
أننا هاجرنا, ويتوسلون إليه بأنهم هاجروا من أجل النبي الذي سيخرج في آخر الزمان ,وهذا يُصبح معنى قول الله جل وعلا: {وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا } واضح؟!
هذا على طلب النصرة, أي يتوسلون إلى الله

بأنهم خرجوا من أجل ذلك النبي الذي سيظهر في آخر الزمان.
أما على المعنى الثاني : أي أن هؤلاء اليهود كانوا يقرءون من كتبهم على غيرهم أن نبيا سيكون في آخر الزمان دون طلب نصرة في الحرب, فالله جل وعلا يقـــــــول: ذلك النبي, والكتاب الذي كنتم تقرءون على الناس خبره جاءكم, ثم قال ما ع{ فلما جاءهم ما عرفوا} بدليل أنهم كانوا يقرءون به على الناس {كفروا به} ولم يُبين لنا الله إلى الآن سبب الكفر, لكن سيأتي {فلعنة الله على الكافرين} ثم قال ربنا {بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله} البغي : تجاوز الحد ويكون بسبب الظلم, والظلم من أعظم أسبابه الحسد, ولكن إلى الآن لم يُصرح الله بالحسد, وإنما ذكر لازمه وهو البغي .
{بئسما اشتروا به أنفسهم} بئس : فعل يُفيد الذم ,مر معنا كثيرا.
{على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب} غضب على غضب : لابد أن تكون هناك معصيتان:

*** المعصية الأولى : عدم التزامهم بالتوراة.**

*** والمعصية الثانية : رد هم القرآن.**
ثم قال الله { وللكافرين عذاب مهين}

..
{ وإذا قيل لهم امنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا }
{آمنوا بما أنزل الله } أي القرآن

{نؤمن بما أنزل علينا} أي التوراة
{ويكفرون بما وراءه} أي بما سواه
{وهو الحق مصدقا لما معهم} الحق هنا , الألف واللام (ال) هنا فعلا للجنس, لكن ينبغي أن يُفهم أنها تحمل هنا معنى الاشتهار , وأحيانا يا بُني الألف و اللام تتضمن معنى الاشتهار والعرف, حتى يصبح كأنه معنى من معاني الحصر.
قال حسان :
وإن سنام المجد من آل هاشم.......................... بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
أُعيد, قال حسان يهجو رجلا:
وإن سنام المجد من آل هاشم.............................بنو(خبر إن)بنت مخزوم ووالدك العبد.
لم يقصد أن العبودية محصورة في والده, في والد المذموم, لكن المقصـــــود: أن والدك اشتهر إذا أطلق لفظ العبد على من ؟!على والدك
اشتهر لفظ العبد إذا أطلق على والدك ينصرف إليه صورة أولية
فالله أراد أن يقول هنا {وهو الحق} أي أن الحق إذا أطلق اشتهر به الدين, والقرآن الذي جاء به محمد لا حصر الحق فيه . واضح؟
لأن الله جل وعلا حق ، فقال الله جل وعلافي هذه الآية {وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه} أي بما سواه
{وهو الحق مصدقا} حال
ويصح أن تكون في غير القرآن مضمومة، تُصبح

ماذا؟؟ خبر
لكنها هنا حال مؤكدة على مذهب سيبويه، لأن الحال يا بُني تقع مؤكدة وتقع مؤسسة.
{وهو الحق مصدقا لما معهم} أراد الله أن يُجيب عليهم قال : {قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين} معنى الآية : من حيث الإجمال قالوا: أليس محمد يقول: إن التوراة حق؟؟
قلنا بلى .
قالوا : إذا بما أن التوراة حق يكفينا أن نكون مؤمنين أن نكتفي بالإيمان بماذا؟ بالتوراة، مادمنا آمنا بالتوراة كفى،وأنتم تقولون أن التوراة حق منزلة من عند الله فلا حاجة لنا بن نزيد لأننا دخلنا في أصل الإيمان
هذا
صنيعهم ودعواهم ، قال الله جل وعلى لهم : إن التوراة طبعا لا يمكن أن تأمركم بقتل نبي فإن كنتم تعتقدون أنه يكفيكم ألإيمان بالتوراة .
قال الله بعدها { قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين } أي إن إيمانكم بالتوراة ليس إيمانا حقيقيا ولهذا قال الله بعدها يذكرهم ببعض معايبهم { ولقد جاءكم موسى بالبينات} لاحظ أنه ما قال: واتخذتم العجل قال { ثم اتخذتم العجل } أي جاءتكم البينات تدبرتموها ومكثت في أيديكم زمانا ، وفي أذهانكم أزمانا ، وفي قلوبكم شهورا وأياما وأعواما ، ثم بعد استقرارها قلبا وعقلا ويدا وقراءة وتأملا ، ماذا فعلتم ؟!. اتخذتم العجل ، وقلنا في اللقاء الماضي : أن العرب تقول مثلا : اتخذ الرجل التدريس مهنه ، فقلنا إن مهنه مفعول ثاني .
لماذا ؟ لاتخذ .واضح ؟
قلنا هذا ، لكن الله هنا لم يقل { ثم اتخذتم

العجل } إله ، حذف المفعول الثاني ، وليس في القرآن كله كما حررته من قبل ذِكر أن الله ذَكر أن اليهود اتخذوا العجل إلها ،كلمة إله لا تأتي ، لماذا؟! قلنا : إن السبب أن عدم ذكر المفعول هنا: من التشنيع على من اتخذوه ، أي أمر لا يتصور عقلا ولا نقلا أن أحدا يترك عبادة الله ويعبد عجلا ، فلما كان أمرا لا يُتصور عقلا ولا نقلا أعرض القران عن ذكره ، إلا تلميحا يذكر أوله ويترك آخره لشناعته ، واضح ؟
قال الله { ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون }
{وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة} هذه بعض الآيات والآلاء والمواثيق والعهود التي أخذها الله عليهم .وقد مرت معنا تفصيلا
{ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا } ماذا قالوا ؟ قالوا :{ سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين } هذه استعـــــــــــاره ، شبه الله جل وعلا تأصّل حب العجل في قلوبهم مع عبادته له كالمشروب الذي إذا استساغه العبد سرى في شتى أعضاءه ، وقد قال العلماء : إن هذا لا يكون للطعام كما يكون للمشروبات ، ولهذا عبّر الله عنه بقوله { واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم } وأنا لا أريد أن أُنيخ المطايا كثيرا عند مثل هذه الآيات ، لأن نظائرها مرّ كثيرا معنا .
قال الله جل وعلا {قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خاصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين } هذا رد على مزاعم، اليهود تقول أن الجنة يدخلها اليهود ، وأن النار لن تمسهم إلا أيام معدودة فمن كان على ثقة

وبرهان عندهم أنه سيدخل الجنة لا محالة بَدَهي أن يتمنى الموت ، لأنه لا يحول بين من كتب الله له الجنة وبين دخولها إلا أن يموت ، فالله يقول لهم { قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين } واليهود تعلم ، وهذا من الآيات التي تضمها إلى أخرى ، مر معنا قضية أبي لهب ، وقلنا أن أبا لهب عجز أن يقول آمنت بمحمد ، هذه أختها، كيف أختها ؟! اليهود علماء ، بل وغير العلماء من الناس يعلم قطعا أن الأجل لا تقدمه أمنيه ولا يؤخره خوف منه .
أعيد . تنبه لهذا : الأجل لا يقع بالتمني ولا يرده الخوف منه ، الأجل محدود ، محتوم ، مكتوب . فسواء تمنيت الموت أو لم تتمناه ، دافعت به عن نفسك أو فررت ، الموت حاصل حاصل في وقته ، هذا أمر متفق عليه بين العقلاء .
واضح ؟
أين الضميمة هنا في الآية ؟ الله يقول لهم تمنوا الموت إن كنتم صادقين ، واليهود يعلمون أنهم لو تمنوه لم يقع إلا في وقته ولو لم يتمنوه لن يقع إلا في وقته ، فالتمني وعدم التمني بالنسبة لوقوع الموت ، ماذا ؟! واحد . ومع ذلك ماذا حصل ؟!لم يستطيعوا أن يتمنوا الموت ، وإلا ردوا على الرسول صلى الله عليه وسلم .
فالله يقول { فتمنوا الموت إن كنتم صادقين } سنثبت لكم أننا صادقون : اللهم ارزقنا الموت ، يقولون هكذا ، لكنهم لم يتمنوه . فالله جل وعلا عَلِمَ ما في قلوبهم وقَدُرَوا على ألسنتهم .
أعيد : علم ما في قلوبهم وقدُر على ألسنتهم . ولهذا ، هذه الآيات تُنبيك أن هذا القآان من عند الله ، مثل هذه الآيات يقطع كل طريق ووسوسة

وشُبه أن القرآن من عند غير الله ، كل وسوسه أو شُبه تأتيك أن القران من عند غير الله ، يُقطع بمثل هذه الآيات .
هؤلاء أمة حسدوا النبي وبغضوه وقاتلوه ، والله يقول لهم في آية يسمعونها وتُقرا عليهم { فتمنوا الموت إن كنتم صادقين } عجزوا أن يقولوا نتمنى الموت مع يقينهم أن تمنيهم للموت لم يُعجّل به وعدم تمنيهم لن يؤخره ، هذا يعلمه كل أحد كما حررته مديداً ، ومع هذا عجزوا أن يقولوا ، حتى تكون رسالة واضحة لكل أحد أن القرآن من عند الله ..
قال الله { ولن } هذه نفي
{ يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين } لأنه علموا أن مصيرهم الهلاك بالآخرة بسبب أعمالهم لن يتمنوه . الناس وبادئ الرأي في التفسير يذهبون إلى معنى ، وهذا عليه الجمهور { ولن يتمنوه أبد بما قدمت أيديهم }
المعنى الأول للآية : لن يتمنوا الموت بسبب خوفهم ، ماذا ؟ من الآخرة ، لأن الباء هنا سببيه ، واضح ؟
فلا يتمنون الموت لأنهم يعلمون أنهم كاذبون في دعواهم أنهم سيدخلون الجنة ، وأن مصيرهم إلى النار، هذا ظاهر ؟!
هذا جدا ظاهر ، لكني أقول ليس هذا المعنى للآية وإنما المعنى : لن يقع منهم التمني حبسا من الله لهم بسبب ماذا ؟
بسبب معاصيهم . واضح ؟ يعني المعنى أن الله جل وعلى منعهم أن تنطق ألسنتهم بالتمني الذي يردون به على النبي ، لأنهم لهم معاصي اجترءوا بها على الله فخذلهم الله جل وعلا ونكّس بهم حتى إنهم لا يقدروا أن يقاوموا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

نبيهم صلى الله عليه وسلم ويجادلوه ، ظاهر هذا ؟ أرجوا أن يكون واضحا .
قال الله جل وعلا { ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين }
هنا نقف وقفة :مرت معنا (لن الزمخشرية) وقلنا إن الزمخشري جارَ الله بدل من الزمخشري وهي منصوبة يقول في قول الله{{لن تراني }} إن رؤية الله جل وعلا مستحيلة شرعا وقدرا في الآخرة،وسمى (لن)هذه لن تأبيد،{{لن تراني}}هذه الآية مر معنا هذا، و أقوله تذكيرا: أنها تبين خطأ ما ذهب إليه الزمخشري،كيف تبينه ؟ أن الله أثبت هنا أن اليهود لا يتمنون الموت،قالوا {ولن يتمنونه أبدا} وقال في سورة أخرى ، وفي آيات أخر أن أهل النار يتمنون الموت{ {وقالوا يا مالك ليقضي علينا ربك }} ومع ذلك معلوم قطعا أن اليهود من جملة أهل النار فبذلك كون أنهم يتمنون الموت واقع لا محالة في الآخرة .، ومع ذلك نفاه الله هنا ، فالنفي نفي في الحياة الدنيا ولا يستمر ولا يتصل في الآخرة لأنه يقع منهم تمني الموت في النار ، فعلى هذا تبطل حجة الزمخشري بقوله أن (لن) تعني النفي التأبيدي في الدنيا والآخرة، ولو لم يكن ذلك أصلا قائما بالحجة اللغوية التي حررناها فإنه محجوج بالنصوص والآثار القاطعة برؤية أهل النعيم لربهم تبارك وتعالى والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم .
ثم قال الله جل وعلا { ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمَّر والله بصير بما يعملون } نسأل الله العافية .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

اللام : موطئه

هم : واقعة في جواب القسم
والمعنى : والله لتجدنهم ، والنون نون التوكيد الثقيلة { أحرص الناس على حياة } نكّرت حياة لإرادة التنويع ، والمعنى أي حياة.
{ ومن الذين أشركوا } الآن أنا سأعطيك النهاية ، الوقت لا يسمح بالغوص لكن سأعطيك الثمرة ، الآن دع القلم .
تأمل معنا الآية : أهل لإشراك يختلفون عن اليهود في شيء ظاهر ، اليهود يؤمنون بوجود الآخرة {{ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى}}
واضح ؟
أهل الإشراك لا يؤمنون بوجود الآخرة {{من يحيي العظام وهي رميم }} بالعقل يا بُني إذا كان اليهود يؤمنون بوجود الآخرة و أهل الإشراك لا يؤمنون بوجود الآخرة ،أيهما ينبغي أن يكون احرص على أن يعيش؟ أهل الإشراك ،لماذا ؟ لأنهم يعتقدون أنهم إذا مات انتهى بالكلية لا بعث و لا نشور بخلاف من يؤمن بالآخرة يعلم أن هناك بعث ونشور سواء كان في الجنة أو في النار لكن أهل الإشراك لا يؤمنون ببعث ولا نشور، فعلى هذا بالعقل والنقل ينبغي أن يكون أهل الإشراك أكثر أهل الأرض تمسكا بالحياة لأنهم يعتقدون في قلوبهم ضلالة أنه لا حياة بعدها ، واضح ؟
مع ذلك يقول الله :هؤلاء اليهود أحرص من الذين أشركوا، الذين لو أنهم كانوا حريصين على الحياة لكان أمرا مستساغا مع عقيدتهم لأنهم لا يؤمنون أن هناك بعثا ولا نشورا، ومع ذلك هؤلاء اليهود الذين يؤمنون بالبعث والنشور من جهة،

ويعتقدون أو يقولون أنهم أهل جنة أحرص من أهل الإشراك على الحياة، وهذا يدل على تشبث اليهود بالحياة.

لكن ينبغي أن يُعلم أن الحرص على الحياة من حيث الأصل موجود في كل أحد، تقول عائشة: ((كلنا يكره الموت)) لكن المقصود من هذا القول، من هذا الحرص هنا: الحرص الذي لا طمع فيه مع رحمة الله،

ذلك التشبث المبالغ فيه في الحياة الدنيا، وإلا كل إنسان عند نزعة الروح يُحب أن يبقى، ولذلك لو قُدّر لكم أن تكشفوا أوراق تحقيق في مسائل الانتحارات، خاصة الذين ينتحرون شنقا، تجد آثار تدل على أنه حاول أن يُثني نفسه عن الانتحار بعد أن شعر بمنازعة الروح، يعني مثلا إذا وضع نفسه معلقا ، إذا كان في وسط الغرفة ما يظهر، لكن إذا كان بجنب جدار يظهر نوع من ضربات أقدامه، أو ظهره في الجدار،التي تدل على أنه يُحاول قدر الإمكان أن يترك ما عزم عليه.

متى يصل إلى هذه المرحلة؟!

إذا شعر بمفارقة الروح، الذي يسمونها إخواننا المصريون حلاوة الروح، وهنا عندها الإنسان يتشبث بالدنيا أكثر، هذا من حيث الفطرة، عموما جُبل الناس عليها.

هذا الله جل وعل هنا يقول : أنه لو كان هناك أحد يتشبث بالدنيا أكثر مما هو فطري لكان أهل الإشراك،لأنهم لا يؤمنون ببعث ولا نشور، لكن هؤلاء اليهود يُقسم الرب أنهم أشد حرصا، ونحن نؤمن بكلام الله ولو لم يكن مصحوبا بقسم، لكن المسألة سيقت للتأكيد.

{ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعمَّر ألف سنة وما هم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

بمزحزحه من العذاب أن يُعمر والله بصير بما يعملون}

هنا نتوقف عند (لو) من حيث الصناعة النحوية ، لأهل العلم في معنى (لو) هنا ثلاثة أقوال:

1-من أخذ طريقة سيبويه وجدها أن معناها حرف امتناع لامتناع، فإذا قلنا أنها حرف امتناع لامتناع لابد لها من جواب، والجواب غير مذكور هنا فلابد أن يُقدر.

أُعيد: مذهب سيبويه ومن وافقه من نُحاة البصرة وغيرهم ، أن معنى (لو) هنا :حرف امتناع لامتناع، وقُدر جوابها هنا ، وتقدير الجواب : يود أحدهم لو يعمر ألف سنة،

يصبح المعنى: لو أن أحدهم عُمِّر ألف سنة لسُر بذلك ، يعني يُصبح المعنى: يود أحدهم التعمير. {لو يعمر ألف سنة} لسُر بذلك، فيصبح مفعول(يود) محذوف، وجواب (لو) كذلك محذوف ، وقالوا إن سبب الحذف: الدلالة عليه، هذا مذهب من؟

سيبويه _ رحمه الله _ وأنا في غالب اختياراتي النحوية اختار قوله إلا هُنا.

هذا قول سيبويه.

- قال نُحاة الكوفة كأبي علي الفارسي، وأبو البقاء، وغيرهم ممن تبعهم سواء كانوا كوفيين أصلا أم لا ،قالوا: عن (لو) هنا بمعنى :أن المصدرية ، فيُصبح المعنى عندهم :يود أحدهم تعمير ألف سنة، لأن المصدر المؤول يُعوّض به عن المصدر ماذا؟ الصريح، تقول : أحب أن أنجح ما معناها؟ أحب ماذا؟ النجاح

فالنجاح مصدر عوضا عنه أن المصدرية فهم يقولون أن (لو) هنا قامت مقام أن المصدرية ، فيُصبح المعنى : يود أحدهم أن يُعمًر ألف سنة، وهي بهذا المعنى لا تحتاج إلى جواب ومن

قرائنهم، قالوا: إن يود في القرآن جاءت مقرونة بأن فجعلوا (لو) مقام (أن) ، لأن (أن) في القرآن كثر ارتباطها في الفعل (يود)، {{ أيود أحدكم أن تكون له جنة}} هذا مذهب من؟ نحاة الكوفة.

3- مال الزمخشري هنا إلى أنها بمعنى : التمني، وهو القول الثالث، مال الزمخشري إلى أنها هنا بمعنى : التمني، وهذا والعلم عند الله من حيث الصناعة النحوية أقرب إلى الإجابة لأن تقدير الجواب الذي قال به سيبويه يُحدث زلزلة في المعنى لا تستقيم، رحمة الله سيبويه.

{وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمَّر } فطول العمر أو نقصانه لا يُغيّر من الأمر شيئا، وإنما يُغيّر من الأمر العمل الصالح، وهذه مسألة إيمانية طرقناها في وقتها

{والله بصير بما يعملون}الآية ظاهرة المعنى، فإن الله يعلم الخفيات، ويٌدرك ما تحويه كل نفس، تبارك اسمه، وجل سلطانه،وعلا قدره،لا رب غيره، ولا إله سواه.

هذا ما تيسر إيراده، وتهيأ إعداده حول هذه الآيات المباركات ،و يُلاحظ من يسمعنا أو يشاهدنا أننا لم نقف كثيرا عند مسائل إيمانية فنحن نجمع أحيانا ما بين الطَرق الوعظي، والطَرق العلمي بحسب ما تقتضيه الحال،وإنما يُعرف الطَرق جملة إذا ضُمت الأشباه والنظائر إلى بعضها على بعض، ونحن لا نتكلم بطريقة جزئية منفكة عن غيرها،ونؤسس لدرس منفرد، وإنما هذه الدروس المباركة يُجمع أولها مع آخرها، وبينهما وسطها، ويتحرر من ذلك معاني جليلة، أفاء الله جل وعلا بقولها.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد:

لقد كنا انتهينا في اللقاء الماضي إلى الآية السادسة والتسعين من سورة البقرة ,ونشرع اليوم مستفتحين بقول الله جلا وعلا {قُل مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلبِكَ بِإِذنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ وَهُدىً وَبُشرَى لِلمُؤمِنِينَ }

هذا الكلام مازال في سياق الحديث عن اليهود, واليهود أئمة ضلال ، مبني ضلالهم على ردهم في الأشياء الواضحات , والآيات الظاهرات ,هذا قوام ما هم عليه اليوم، ليس قوام دينهم الذي جاء به كليم الله موسى.

وقد ذكر المفسرون -رحمهم الله- في تفسير هذه الآية أن فئة من اليهود المستوطنين في المدينة قدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،وكانوا كثيرا ما يقدمون عليه، وينادونه إما باسمه يا محمد، أو بكنيته يا أبا القاسم فجاءوه مرة على اعتبار أنهم ينشدون الهدى فسألوه أسئلة،

فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم –تبليغا للشرع وإقامة للحجة عليهم ,فلمّا فرغوا من أسئلتهم ,وفرغ النبي من إجابته،قالوا: بقية واحدة

قالوا:من وليك من الملائكة ؟

قال:ولي من الملائكة جبريل .
قالوا هذا الذي ينزل بالحرب والقتال، لو كان وليك من الملائكة ميكال الذي ينزل بالقطر والماء لاتبعناك .
فلما قالوا ذلك فرّقوا بهذا القول بين ملائكة الله جلاّ وعلا، وردوا على الله جلا وعلا أمره، واعترضوا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

فأنزل العلي الكبير قوله{قل} والخطاب للنبي { قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك}وأحلُ الإشكال في الربط ما بين قول الله جلا علا (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك } أن إنزال القرآن بواسطة حبريل على قلب محمد_صلى الله عليه وسلم _ يستوجب موالاته لا يستوجب معاداته، يستوجب موالاته لا معاداته -عليه السلام -
فهم عاملوها بالنقيض ،فجعلوا هذا الخير الذي أعطاه الله لجبريل جعلوه موجبا للعداوة، ولم يجعلوه موجبا للموالاة، وهو الحق
فأنكر الله عليهم صنيعهم هذا قائلا{فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين }
مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية، ولما سيكون فيه من خلص الأخبار التي لا لبس فيها، وهدى للمؤمنين يبين لهم معالم الحق، وفي نفس الوقت يحمل في طياته البشارة ،وأعظمها وقوع وعد الله تبارك وتعالى .
ثم قال الله{مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ} وهذا تحرير وزيادة تفصيل {من كان عدوا لله وملائكته ورسله} وهذا قول الملائكة عام ،ثم أتى بذكر الخاص فقال:{ وَجِبرِيلَ وَ مِيكَالَ}مما دل به على شرف جبريل و ميكال – عليهما

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
السلام – {فَإِنَّ اللَّه عَدُوٌّ } والسياق اللغوي يعني يستوجب أن يكون هناك إضمار، لكن الله أظهر مبـــــــالغة في الشناعة على أولئك القوم قال الله: {فَإِنَّ اللَّه عَدُوٌّ لِلكَافِرينَ } ولم يقل فإن الله عدو لهم .
ثم قال الله جل وعلا {وَلَقد أَنزَلنَا إِلَيكَ آيَاتِ بَيِنَاتٍ وَمَا يَكفُرُ بِهَا إِلا الفَاسِقُونَ } ما جئت به أيها النبي الخاتم من آيات واضح جدا ,ولهذا يبنات: صفة لآيات {ولقد أنزلنا إليك آيات بينات } يعرف علماء اليهود قبل عامتهم أنها صائبة حق من الرب تبارك وتعالى،فكفرهم بها ليس لنقص في تلك الآيات ،لكن لما يحملونه في طياتهم من الفسق والخروج عن الطاعة.
ثم قال الله { أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنهُم بَل أَكثَرُهُم لا يُؤمِنُونَ} والتحرز في الخطاب القرآني وارد في أكثر الآيات يقول الله : {{ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة }} وهنا يقول الله { نبذه فريق منهم } فكلمة فريق لا تعني الكلية،فاليهود كانوا طوائف أربعة،من أشهرهم:

- **من كان مؤمنا بالله واليوم الآخر قائما بالكتاب على أكمل وجه**
وهذا سيأتي في قول الله تعالى { الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به}
- **وعلماء يعلمون أن فيه الحق ولكنهم أبَو حسدا .**

- **وجهله يتبعون علماؤهم**
- **وآخرهم ورابعهم ، فسقة متمردون حتى على شريعة،على شريعة موسى.**
قال الله {أو كلما عاهدوا عهدا } الهمزة هنا

للاستفهام
والواو عاطفة هذا مذهب سبويه -رحمة الله تعالى عليه – وقد تكرر هذا القول أو النظير في القرآن كثيرا.
{أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم } النبذ: في الأصل لا يكون إلاّ بعد استلام وقبول، و هم قبلوا التوراة ثم بعد ذلك نبذوها وتركوها فيكون النبذ إلقاء لشيء تحمله،قال الله لأم موسى {فنبذناه في اليم } ذكر الله جل وعلا الإلقاء في اليم ,وذكر فرعون بأن الله نبذه في اليم بعد تَمكن الله تبارك وتعالى منه ,
والمقصود{نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون } وكلمة بل: هنا للإضراب أي للانتقال أي أن الحق في صنيعهم أنهم لا يؤمنون .
ثم قال الله {وَلَمَّا جَاءَهُم رَسُولٌ مِن عِندِ اللَّه} { كِتَابَ اللَّهِ} المقصود القرآن {وَرَآءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهم لا يَعَلمُونَ } مع أنهم أهل علم
لكن(كأن)تفيد التشبيه ,فشبههم الله لما لم يعملوا بعلمهم شبههم بمن لا علم له أصلا ,لما لم يعملوا بعلمهم شبههم الرب تبارك وتعالى بمن لا علم له أصلا .
ثم لما ذكر الله جل وعلا نبذهم للكتاب ذكر ما الذي تحلو به
وبالعقل والنقل أي إنسان يترك شيئا لابد أن يملأ يديه بشيء آخر

فمن تــــــــرك السنة سيمتلأ بالبدعة
ومن تــــــــرك التوحيد سيمتلأ بالشرك وهكذا

فلما ترك هؤلاء الهديين هدي التوراة من قبل،وهدي القرآن في العصر الذي هم فيه ذكر الله جل وعلى عنهم أنه قال {واتبعوا } على

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
حال هم فيها تاركين الحق,تاركين التوراة
{وَاتَّبَعُوا مَا تَتلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلِكِ سُلَيمَانَ}
وتتلوا هنا بمعنى: تقرأ وتُملي لكنها تعدت بحرف الجر(على)
والعرب إذا عدت القول بحرف الجر(على) يغلب على سَنن كلامها أنها تقصد به:التكذيب تقول: تقّول علي فلان ما لم أقله، تقوّل علي فلان ما لم أقله، تقصد التكذيب فعديته بحرف الجر (على) .
قال الله {وَاتَّبَعُوا مَا تَتلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلكِ سُلَيمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيمَانُ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا } سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام أحد أعظم أنبياء بني إسرائيل , وبنو إسرائيل بُعث فيهم :يوسف عليه السلام ,ثم بُعث فيهم موسى عليه السلام ، وهو الذي خرج بهم من أرض مصر ثم مكثوا أربعين سنة في التيه، خلال الأربعين سنة التي في التيه مات هارون، ثم مات موسى ،ثم دخل بهم يوشع بن نون عليه السلام الأرض المقدسة، ثم وجد فيهم أنبياء لم يصرح الله باسمهم ،لكنه ذكر أحدهم دون اسمه رفيقا لطالوت قال الله جل وعلا {{ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه}} أي ملك من؟ طالوت، هذا النبي في عهده ظهر داود , في عهد هذا النبي وعهد الملك طالوت ظهر داود عليه السلام قال الله {{وقتل داود جالوت }} فآل الأمر إلى داود عليه الصلاة والسلام ،ثم آل الأمر بعد داود إلى سليمان.
الله جل وعلا يُمايز بين عباده ،ويجعلهم مختلفين، ولا نقول تفاوت لأن الله يقول{{ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت }} لكن الله نسب الاختلاف لنفسه قال {{ وله اختلاف الليل والنهار }} فالاختلاف لا يعني بالضرورة

الذم،ويعطي الله كل أحد بعضا من المناقب والصفات والخصائص، فأعطي داود حظا كبيـــــــــــرا من العبـــــــادة، حظ الصلاة إلى الله ،حظ الصوم إلى الله , وأعطي سليمان حظا كبيـــــــــــــــرا من الملـــــــك ,وفي كـــــــــــــل خيـــــر، ولكل أحد منهما مصلحـــــــــــــــــــــــــــــة في زمانـــــــــــــــــه فربما كان الناس في زمن داود أحوج لملك عابد ونبي عابد يتأسون به , وفي زمن سليمان فتحت الممالك فكانوا أحوج إلى نبي قوي مسخر له وملك حازم فكان سليمان عليه الصلاة والسلام ,سليمان مما أعطيه أن الله سخر له الجن، الله يقول {{يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب}} قطعا حَملت الجن وشياطينهم غير المؤمنة يالذات منهم في قلوبهم ما حملوا على سليمان، فلما مات سليمان قامت الشياطين وأخرجت طلاسم كانت قد أخفتها وزعمت بعد موت سليمان أن سليمان كان يحكمكم بهذه الطلاسم،فأخذوا يقرؤونه على الناس تلك الطلاسم مؤملين إياهم أن يسودوا كما ساد سليمان، والترغيب في أن يسود الناس كما ساد سليمان هو المعبر و الممر الذي من أجله قال الشياطين على سليمان ما تقّولوه ، فيكون طمع الإنسان في السيادة,هذه الثغرة فيهم جعلوها معبرا للقدح في سليمان عليه الصلاة والسلام والشياطين لم يصرحوا بأن سليمان كان كافرا، وإنما صرحوا بأن سليمان كان ساحراً ,والسحر قرين الكفر ولهذا قال الله {وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا} (ما) في قوله تعالى {وما كفر سليمان } نافية، يريد الله بها تنزيه نبيه سليمان أن يكون قد

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

تلّبس بحال أهل السحر ، أو حال أهل الكفر.
قال الله {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا كفروا بإتباعهم السحر{ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحرَ وَمَا أُنزِلَ} وهذه (ما) موصولة ولا يصح أن يُبدأ بها وقد حررنا هذا من قبل في دروس قد خلت ومضت، أن (ما) الموصولة لا يُبتدأ بها ، إذا ابتدأ بها تعني النفي ،لا يُفهم منها إلا النفي ، لأن الرسم الإملائي واللفظي واحد ، فنقول عندما نقرأ {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَينِ بِبابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ} فيصبح المعنى : يعلمون الناس السحر والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت.
والذي أُنزل سحر، لكنه سحر معنيّ فقط على ظاهر القرآن - ولا أجزم به – سحر تفريق ، أما السحر الأول: فهو سحر موروث من قديم سحر مروث من قديم، لماذا ؟ لأن السحر كان منذ زمن مَن؟ منذ زمن موسى , والسحر المذكور في زمن موسى لم يذكر الله أنه سحر تفريق، و إنما سحر استرهاب وتخيل , فهؤلاء من الشياطين يعلمون الناس السحر الموروث القديم والسحر الذي جاء به هاروت وماروت .
قال الله{يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر } أي أن هذين الملكين لا يعلمان أحداً طرائق السحر حتى يبينا له جادة الصواب، وأنهما بعثا فتنة للناس، والله جل وعلا مليك مقتدر والخلق خلقه والأمر أمره والعباد عبيده ،ومن حقه جل وعلا و لا ملزم له أن يبتلي عباده وهو أعلـــــــــــــــــــم بمنافعهم ومصالحهم.
{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحنُ فِتنَةٌ

فهذا {فَلا تَكفُر}
دليل ظاهر على أن السحر كفر. (فيتعلمون)
يعني من يرغب منهم (منهما) أي من الملكين
(ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي الذي
يفرقون به بين المرء وزوجه , وهذا نص قلت
قبل قليل أن ظاهر السحر الذي جاء به هاروت
وماروت كان سحر تفريق , قول الله جل وعلى
{وَ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ}
(ما) موصولة , ويدخل في طياتها كما سمعته
من أهل التجربة أربعة ، أقصد بأهل التجربة: أي
القائمون على فك السحر من الناس يعني الذين
يقرؤون من أخواننا القراء المتقنين وإن كان
هذا الباب فتح فتحا واسعا عياذا بالله، نعود
فنقول أن ما تحتمل أربعة :
1. تحتمل سحر التفريق بغض الرجل لامرأته .
2. بغض المرأة لزوجها .
3. والثالث عدم القدرة على الجماع .
4. والرابع ، وهذا الرابع في النفس من إثباته
شيء عجز المرأة عن الحمل ,عجز المرأة عن
الحمل.
لكنني أقول إن (ما) في اللغة تحتمل هذا وأكثر،
فلو ثبت شيء آخر غير الذي حررناه يدخل لأن(
ما) في اللغة تعني العموم .
{فَيَتَعلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ
وَزَوجِهِ } وما كان الرب جل وعلا
خـــــــــــــــالق الأسباب والمسببات ما كان
لها أن تـــــــــــــــــــــمضي إلا
بإذنـــــــــــــــــه.
قال الله{وَمَا هُم} أي هؤلاء السحرة {بِضَارِينَ
بِهِ}أي بسحر {مِن أَحَدٍ} أي من الناس و(من) إذا
جاءت بعدها نكره والجلة مسبوقة فهذا من
أعظم صيغ العموم {مَا هم بضارين به من أحد}

أيُّ أحد{ إلا بِإِذنِ اللّهِ} لا يمكن أن يقع شيء قدرا إلا بإذن الله
{وَيَتَعلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم } فَهِم منها أكثر العلماء على أن السحر ضرره محض لا نفع فيه، والقرينة ظاهره أن الله قال{ويتعلمون ما يضرهم }لو سكت جل وعلا لفُهم أنه قد يكون في السحر بعض المنفعة لكن قول الله{ولا ينفعهم}
هذا نفي للمنفعة فدلت على أن السحر شر وضرر محض خالص، وممن صرح بهذا العلامة ابن سعدي رحمة الله تعالى عليه في تفسيره.
ثم قال الله {وَلَقد عَلِمُوا لَمَنِ اشتَرَاهُ مَالَه فِي الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ } أي لاحظ له ولا نصيب، وقد قلت قبل قليل إن الاسم النكرة إذا جاء مسبوقا بحرف الجر(من) والجملة منفية أنها تعني النفي المطلق،من أعظم صيغ العموم في النفي، وهنا قال الله { ولقد علموا لمن اشتراه ما} هذا نفي ماله له في الآخرة (من)هذا حرف الجر و(خلاق) اسم نكرة , فلما قال الله {ماله في الآخرة من خلاق}
هذا نفي لأي حظ أو نصيب له في الآخرة، ولا يقع النفي المطلق للحظ و نصيب له في الآخرة إلا لمن ؟
إلا للكافر،وعلى هذا لا يُتردد في كفر الساحر .
ثم قال الله {وَ لَبِئسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم لَو كَانُوا يَعلَمُونَ } هذا سياق ذم لأن بئس من أفعال الذم ,وهنا نفى الله العلم، قال{لو كانوا يعلمون } وقبل قليل قال{ ويتعلمون }لكن لما كان هذا العلم لا ينـــــــــــــــــفع جعله الله جل وعلا في منزلة لاشيء من العلوم.
واضح ؟!
ثم قال الله {وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا وَاتَّقَوا لَمَثُوبَةٌ مِن

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
عِندِ اللَّه خَيرٌ}مثوبة هذه يا أُخي تحتمل معنيين :
1. إما مثوبة بمعنى جزاء، فيصبح المعنى لو أنهم أمنوا واتقوا كان لهم جزاء الله لهم خير.
2. وتحتمل بمعني العودة والأوبة والرجعة إلى الله، أي أنهم لو أمنوا واتقوا ورجعوا إلى ربهم لكان خيرا لهم.
{لَّو كَانُوا يَعلَمُونَ} هنا قبل أن أطوي صفحة الحديث عن السحر، يتكلم الناس كثيرا وهذا موجود في بطون الكتب، ولولا أنه كان موجودا في بطون الكتب لما عرجت عليه ،من قضية أن هاروت وماروت عصيا الله جل وعلا، وبعض أهل الفضل على جلالة قدرهم قبلوا تلك المرويات فيشيعونها، وأنا في الدرس هنا على أحد أمرين :
إن ضربت عنها الذكر صفحاً ولم أقلها لربما شاهدنا مشاهد كريم فقال لأخيه أو جاره ممن يرى معه : إن هاروت وماروت أصلا ملكين عصيا الله
فإن قال له الذي بجواره : إن الشيخ لم يقل هذا ظن أن المسألة إما جهل، أو إقرار ،وهنا كشـــــف الأمر يكون أفضل في هذا السياق . فنقول المرويات تنص على ما يأتي : تقول إن الناس في زمن إدريس قل عملهم فلم يُرفع كثير عمل صالح ، ولهذا ورد أن إدريس كان يرفع له بمقدار أهل زمانه كلهم, فالملائكة في الملأ الأعلى قالت : تعاتب بني آدم على هذا فعاتبهم الرب جل وعلا أن بني آدم طبعوا على الخير والشر ، ليسوا مثلكم أيها الملائكة غيروا مطبوعين على الشر، وأنكم لو طبعتم على طبعهم لعصيتم ، فاختارت الملائكة ملكين حســـب الرواية الآن، هما هاروت و ماروت فرّكب فيهما التركيب البشري وأُهبطا إلى

الأرض، فلما اهبطا إلى الأرض تعلقا بامرأة يقال لها بالعربية زهرة، وبالفارسية مِذخَيت فلما تعلقا بها بتركيبهم البشري طلبت منهما الزنا والشرب والقتل ففعلا هاروت وماروت، ثم ندما فلما ندما علماها كيف تصعد إلى السماء، وكيف تنزل،فلما علماها – وفق الرواية – صعدت إلى السماء ثم نسيت كيف تنزل ، يعني الذكر الذي أعطاها إياه الملكان نسيته فمُسخت في السماء كوكب الزهرة المعروف ,ولهذا حتى كان لبعض الأمم كالإغريق يجعلون الزهرة إله الحب رمز للحب.
على هذا بقيت الزُهرة الآن المرأة التي فتن بها الملكين ممسوخة في السماء على هيئة كوكب الزُهرة، أما الملكان ندما وتابا إلى الله ,وتَشّفع بإدريس كان حيا أن يدعو لهما فقبل الله دعاء إدريس لهما على أنهما يعذبان في الدنيا عذابا موقوتا، لا يعذبان في الآخرة ، فوافقا وقبلا فهما الآن – وفق الرواية- في بئر في بابل تشد شعورهما إلى يوم القيامة .
هذي مجمل الرواية . قـــــــــــــــلت موجودة في بطون الكتب وأنا أعرف بعض أهل الفضل من الأحياء متع الله به يقبل هذه الروايات ، أو يقول ليس هذا ببعيد ,ونقل عن بعض سلف الأمة ذكرها لا نــــــــقول قبولها ,وأنا الآن أحررها كما نقلت من عشرات المصادر,لكن نقول التالي :
1. القصة لم تثبــــــــــــت بسند صحيح أبد ،لم تثبت بسند صحيح أبد .
ومع ذلك نحن من منهجنا أنه لا يشترط السند الصحيح في غير الإخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم .
لكن القصة كذلك يـــــــــــردها العقل ،يردها

العقل في أن الرب تبارك وتعالى نزّه الملائكة عن مثل هذه الأعمال .هذا واحد .
2. الإشارة القرآنية في القرآن عن ذكرهما عليهما السلام تدل على أن هذا شيئا من ذلك لم يقع ، وأقول لو كان وقع منهما ما وقع ما يعبر عنهما بأنهما ملكان ، فيقال وما أنزل على هاروت وماروت ثم يمكن لناس بعد ذلك أن يخوضوا فيقولوا أن هاروت وماروت أصلهما ملكان لكن لما قال الله {وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت } فالمستقر في أذهاننا وفق القرآن ، أن الملائكة لا تعصي الله ما أمرها وتفعل ما تؤمر به والله وصفهما بأنهما ملكان ومادام الله قد وصفهما بأنهما ملكان فنحن نجري عليهما أحكام الملائكة حتى يأتينا دليل نُذهب به هذا اليقين، ولا خبر ولا دليل ولا حجة يُدفع بها هذا اليقين.
واضح؟!
وإنما حررته دفعا للبس والاتهام .
قال الله تعالى{ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون } هنا نقف على قضية الندامة ، لأن الله ذكر أنهم لو فعلوا كذا لكان خيرا لهم .
الندامة، العرب تقول: هذا من الفوائد الاستطرادية تقع على أربعة أحوال :
1.ندامة ساعة
2.وندامة يوم
3.وندامة سنة
4.وندامة عمر .
أعيدها عكسية .
3.ندامة عمر
2.ندامة سنة
1.وندامة يوم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أنا قلت ساعة هذي ساعة أظنها من عندي .
ندامة يوم وندامة سنة وندامة عمر وندامة للأبد نعم.
ندامة يوم وندامة سنة وندامة للأبد جاءت الرابعة .
أما ندامة يوم، يقولون: رجل خرج ولم يتغذى ، خرج من بيته ولم يتغدى فلا يدري يجد أحد يغذيه أو لا ؟
وندامة سنة: رجل ترك الزرع في وقته ترك الزرع في وقته، فليس له حل إلا العام ماذا ؟ إلا العام القادم، لأن الزراعة موقوتة .
وندامة يوم قلنا خرج ولم يتغدى فكان العرب يأخذون وجبة واحدة فإذا خرج ولم يتغدى قد يندم إذا لم يجد أحد يعطيه غداءه .هذا ندامة يوم .
وندامة سنة رجل ترك الزرع في حينه وفوته وضيعه فليس له إلا أن يصبر إلى العام القادم
وندامة عمر: شخص تزوج امرأة لا توافقه -هذي فيها حل - شخص تزوج امرأة لاتوافقه .
وندامة أبد: من ترك أمر الله جل وعلا نسأل الله العافية .
ندامة يوم، ندامة عمر، ندامة سنة قبلها، ندامة إلى الأبد
وقاني الله وإياكم الأربعة كلها، وإن كانت الأولى أخفها .
نعود فنقول قال الله بعدها{يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرنا واسَمعُوا ولِلكَافِرينَ عَذَابٌ أَلِيمُ } ما السحر ؟ تمويه ،تلاعب ، يقصد به خداع، التماس الضرر بهم وله حقيقة كما عليه جمهور أهل السنة _ سلك الله بنا وبكم سبيلهم _
ناسب الله أن يذكر بعد السحر المحرم سحرا

آخر يشمل نوعا من التمويه، لا نقول سحرا بمعناه الحقيقي . قال الله{يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا }العلماء رحمهم الله في هذه الآية على طريقين :

1.طريق يقول تجنبوا مسألة سبب النزول، وإنما نظروا إلى اللفظة وناقشوها مع قرائنها من السنة ، ورد معكم في السنة أن النبي قال:((لا تسمو العنب كَرم وأسموه الجَبَلَة)) ، وقال:((لا يقل أحدكم عبدي وليقل فتاي)). فقالوا هذا من جنسه ، النهي عن كلمة {راعنا} من جنس النهي عن تسمية العنب كَرما، وعن قول السيد لعبده يا عبدي, وجعلوا كلمة راعنا إنما مجرد كلمة كرهها الله كان يقولها المؤمنون فكرهها الله وأبدلهم غيرها وهي انظرنا ,وهذا المسلك اختاره إمام المفسرين ابن جرير الطبري _رحمة الله تعالى عليه _

2.الآخرون من العلماء نظروا للآية مع سبب نزولها وفق ما ثبت عندهم فقالوا : إن كلمة راعنا بمعنى: تأن بنا، أعطنا سمعك، أِشفق علينا ،وهي توافق بالعبرية في لفظها كلمة سيئة عند اليهود، فلما رأت اليهود أن الصحابة يخاطبون النبي بهذا اللفظ، صاروا يخاطبون به إياه وهم يقصدون بها معناه في العبرية , وقال بعضهم لبعض كنا نسب محمد سرا واليوم نقدر أن نسبه جهرا, فلما أراد الله أن يقطع دابرهم، ويسد الذريعة عليهم ، قال الله جل وعلا للمؤمنين في مخاطبة نبيه {لا تقولوا راعنا }دفعا لتوهم يهود{وقولوا انظرنا } والمعنى في إجماله واحد نقول للقائم بمصالح الوقف ناظر الوقف, والناظر القائم بتدبير مصالح الناس ,وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم قائم بشؤون أمته وشؤون

أصحابه في المقام الأول، فاللفظ قريب من معنى راعنا بل أفضل منه ، فقالوا بهذا قطع الله جل وعلا الطريق على اليهود وما يريدونه من تلك اللفظة

هذا الذي يترجح عندي لسبب خارج عن النص، والمرجح إن كان من خارج النص يكون أقوى، وهو أن من غير الألفاظ أن السياق يقتضيه، فالآية تتكلم عن اليهود التي قبلها والتي بعدها كذلك تتكلم عن اليهود {مَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ }وهذه الآية بين هاتين الآيتين يُرجح أن المسألة تتعلق باستعمال اليهود لتلك اللفظة .

ظاهر هذا؟

{لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا} ولم يحدد الله المفعول ،قال العلماء : حتى يُعلم أن المؤمن مطالب أن يسمع كلام الله جل وعلا و يمتثله أيا كان .

{وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ثم قال الله {مَا يَوَدُّ الذِين كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ وَلا الُمشرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيكُم مِن خَيرٍ مِن رَبِكُم } يخبر الله عما في بطونهم ، وفي سرائرهم ،وما أخفوه من بغض وحقد للمؤمنين، وأن النبوة والرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم والإتباع للمؤمنين فضل عظيم من الله حسدتهم يهود عليه، كما سيأتي تفصيله .ثم قال الله {وَالّلَّه يَختَصُ بِرَحمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّه ذُو الفَضلِ العَظِيمِ} فالله جل وعلا اختصك أيها النبي بالنبوة والرسالة وختم الأنبياء، واختص هؤلاء المؤمنين بإتباعك، وذلك فضل الله جل وعلا يعطيه من يشاء فكون اليهود أو كفرة أهل الكتاب جملة وكفرة أهل الشرك لا يبتغونه هذا لا يمنع فضل

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الله جل وعلا عليه
هنا أتوقف في مسالـــــــــــة مهمـــــــــــــة جــــــــــــدا :من حق نفسك عليك أن ترقى إلى سلم المعالي ، و لك في أن ترقى في سلم المعالي طرائق من أعظمها : ثقتك برحمة الله ، وهذا ظاهر تكلمنا عن كثيرا ، بقي جانب آخر ، الجانب الآخر أن تكون رفيقا بنفسك
كيف تكون رفيقا بنفسك ؟
لا تكن محبطا لها ،مني نفسك، عِدها ،فإن وعدك لنفسك بتحقيق المأمول من أعظم ما يساعد على تحقيقه الحساد و الشمات الذين يكونون حولك أخف عليهم سقطاتك وإخفاقاتك وفشلك حتى لا يزيدوك غما على غم ،مصائب الدهر التي تسمع بها لا تجعلها بين عينيك بكثرة، فإنها ستكون سبب في سقوطك . يقول أبو القاسم الشابي :
ركبت المنى وتركت الحذر .
لا تحاول أن تموت قبل أوانك، فالإكثار من الخوف من الموت هو موت قبل حلول الموت الحقيقي .
وإذا هممت فنازي نفسك بالمنى
وعدا فخيرات الجنان عدات
واجعل رجاءك دون يأسيك جُنة
حتى تزول بهمك الأوقات
واستر عيوبك عن جلساءك فإنما
جلساؤك الحساد والشمات
إلى آخر الأبيات كلهن تدعو إلى أن الإنسان يكون عاقلا لبيبا في طريقه للحياة، في طريقه للوصول إلى مجده،ولا يكثر من ذكر طرق الحوادث والإخفاقات حتى لا تصيبه بالإحباط فالجنة وهي الجنة أعظم مقصود وأجل مطلوب، هي وعد من الله ، ومع ذلك اجعل تلك الأمور

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
التي تنشدها وعد في أن تتبوأ مكانا مرموقا في أمتك تريد به وجه الله والدار الآخرة ينفع الله بك جل وعلا أقواما ويضر بك آخرين من أهل الشرك والعصيان، وأنت في طريقك هذا عالم أن الله جل وعلا وحـــــــــده من يملك الرحمة وأن كره الحساد والشمات لرحمة الله عليك لا يمنع من وصولها إليك .قال الله :{{ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها إلا هو}} ولهذا قال الله في آخر هذه الآيات {والله ذو الفضل العظيم } ولا ريب أن علمـــــــــــــك بعظيم فضل الرب تبارك وتعالى يعينك على أن تمشي خطواتك إلى الأمام حتى تصل برحمة الله جل علا إلى مقصودك

وهذه الصفة في عدم حب الخير للغير ، صفة مشتركة لكنها بنسب،ما بين أهل الكفر ومابين أهل الفسق والبغضاء من المؤمنين، وإن كان لا يستوي مؤمن وكافر، لكنها أصل متحتم عند اليهود وكفرة أهل الكتاب جملة وعند المشركين، وقد يتلبس بها بعض المؤمنين في حسدهم لإخوانهم إذا رأوا فضل الله جل وعلا علينا، لكنني وأنت في المقام الأول لست مطالبا بأن تدفع حسد الناس عنك ،لكنك لا تجعل من شماتة الأعداء وحسد الحساد ما يعيقك عن طريق المجد الذي ترومه

ولكـــــــــــل هـــــــــــدف آلــــــــة فخـــــــــذ بالآلـــــــــة وتـــــــوكل علــــــــى الـــــــــرب تبـــــــــارك وتعـــــالى وســـــر

ولن يخلو ذو نعمة من حسد، و ما أضر بالناس إلا حسد الحاسدين

نعم قد يقع شنئان حاسدك عليك من مكره بقدر الله، لكن ادفعـــــــه بقول : حسبنا الله ونعم

الوكيل

وكانوا يقولون إن ملكا كان عنده وزيرا مقرب - وأظن هذا من التكرار – كان عنده وزير مقرّب يصغي إليه وكان الوزير من أدبه إذا اقترب من الملك يدنو قليلا ويخاطبه، فحسده بعض الوزراء، فقدم أحد هؤلاء الوزراء إلى الملك ،وقال : إن الوزير أبا فلان يقول عنك: إنك أبخر ، أي ذو رائحة كريهة في الفم ، قال: وما دليل ذلك ؟ قال :اطلب منه أن يدنو منك ،فإنك إن طلبة منه أن يدنو منك أيها الملك سيضع يده على فيه وأنفه تقززا منك ، فأضمرها الملك في نفسه ، فلما كان من الغد ، وقبل أن يشرع الوزير في الدخول على الملك استدعاه الوزير الأول صاحب الوشاية، وأطعمه طعاما كله ثوم ،فلما دخل الوزير على الملك أراد الملك أن يختبره، فأدناه منه يقول له: اقرب اقترب ادنوا مني فلما شعر أنه لا محالة له من الدنو إلى الملك وضع يده على فيه ورداءه حتى لا تخرج منه رائحة الثوم، فتحقق الملك من قول الواشي، فغضب وجرت سُنة الملك آن ذاك أنه إذا أراد أن يعطي عطية يكتبها في قرطاس ، وإن كان يريد أن يعقب يتلفظ به ,لكنه في تلك المرة أخطأ فطلب قرطاسا وكتب فيه إلى أحد عماله، ولاته ، إذا أتاك فلان فاقتله وابعث لي بجسده، فأعطاه الخطاب وخرج به قابله الوزير الواشي وهو يتلهف ما الذي حصل فلما رأى الخطاب في يده مختوما

قال: ما هذا ؟

قال هذا كتاب أعطاني إياه الملك إلى عامله بني فلان .

فظن أنه عطية ,فأخذ يتوسل إليه أن يهبها له فوافق ، فأعطاه إياها فمضى بها إلى العامل

الوالي ، فلما مضى بها إلى العامل، الوالي ، وفك ختمه وقرأه قال: إن الملك يأمرنني أن أقتلك، ولابد من فعل أمر الملك فأخذ يتوسل إلى العامل إلى الوالي أن الخطاب ليس لي ، لكن العامل الوالي نفذ رأيه وقتله .
في اليوم التالي دخل الوزير كعادته إلى الملك فلما رآه تعجب الملك لأنه ظن قد قُتل !!!،
قال ما لذي عاد بك ؟!!
قال أنا لم أذهب أصلا وأخبره القصة ,كيف أن الخطاب أخذه فلان ,قال غريب أن تؤتيه إياه وقد قال عنك ما قال ؟!!.
قال : قد كذب .
قال : فلم فعلت ذاك ؟!.
قال :أيها الملك كنت قد أكلت ثوما عنده .
فنجى الله جل وعلا –هذا مجمل القصة – نجّى الله هذا الوزير المقرب من حسد أقرانه بما انطوت عليه سريرته من حب الخير للغير .
ومع ذلك نقول حتى لو كنت حسنا بارا تقيا قد لا تسلم كما لم يسلم يوسف من حسد إخوته لكن العبرة بكمال النهايات ، والله يقول:
{والعاقبة للمتقين} جعلني الله وإياكم من أهل التقوى ،
وأنا لا أحمل ساعة في يدي اليوم، وأرجو أن يكون الوقت مناسبا نسأل الله التوفيق لنا ولكم
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
والحمد لله رب العالمين.
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه كما يُحبُ ربُنا ويرضى .. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهدُ أنت سيدنا ونبينا مُحمداً عبدهُ ورسُولهُ صلى الله علية وعلى آلهِ

وأصحابهِ وعلى سائر من اقتفى أثرهُ وأتبع منهجهُ بإحسانٍ إلى يوم الدين ....
أما بعد

قال اللهُ جل وعلا وهو أصدق القائلين

(ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسها نأتي بخيرٍ منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كُل شيءٍ قدير * ألم تعلم أن الله لهُ مُلك السماوات والأرض وما لكُم من دون اللهِ من وليٍ ولا نصير) .

هذهِ الآية تتكلمُ عن النسخ والأصلُ في إقرارها هاهُنا أو وضعُها في هذا الموضع أو الكلام عن مُناسبتها لما قبلها أن الكلام عن ما قبلها كان يتكلمُ عن اليهود واعتراضهم على رسول الله صلى الله علية وسلم ولمّا كانت اليهوُدُ لا تُجيزُ النسخ أصلاً وتمنعهُ في الشرع بالكُلّية ذكرهُ اللهُ جل وعلا ها هُنا رداً على مزاعم اليهود وبياناً للأُمة .

قال الله :(ما ننسخ من آية)
الجُملة شرطية والنسخُ يا أخي في اللُغة : النقل

قال اللهُ جل وعلا في الجاثية : (إنّا كُنّا نستنسخُ ما كُنتُم تعملون) أي نكتبُ وننقُل .

ويأتي النقل بمعنى الإزالة في نوع من التقارُب بينهُما لكن المقصود هُنا أن الرب تبارك وتعالى الأمرُ أمرُهُ و الشرعُ شرعُهُ وهو جل وعلا وحدهُ دون سواه أعلمُ بمصالح عبادهِ فلمّا كان تبارك وتعالى أعلم بمصالح عبادهِ وهو المالكُ أصلاً حُق

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

لهُ جل وعلا أن ينسخ ما يشاء فهذا من تسليمنا بكمال ربوبيتهِ وألوهيته وكمال أسمائهِ وصفاتهِ لا بُد أن يُقرّ بالنسخ .

ولهذا النسخ بين الشرائع لم يُعارض فيه أحدٌ من أهل الإسلام ، لأن شريعة النبي صلى اللهُ علية وسلم ناسخة لما قبلها من الشرائع ومُهيمناً عليهِ لكنّ النسخ في القرآن جائزٌ عقلاً واقعٌ سمعاً جائزٌ عقلاً واقعٌ سمعاً بهذهِ الآية وبقول اللهِ جل وعلا : (وإذا بدّلنا آية مكان آيةٍ واللهُ أعلمُ بما يُنزّل)

هذا كُلهُ من دلائل وقوعهِ مع ما جاء في الأحاديث وليس هذا موضوع سردُ أدلة .
لم يُخالف فيما يُعلم من عُلماء المُسلمين إلا عالمٌ واحد هو أبو مُسلم الأصفهاني رحمةُ الله خالف في مسألة النسخ في القرآن لكنّا إذا استثنيناه فالإجماعُ مُنعقد على أن النسخ واقعٌ في القرآن .
ويُقسمُ أهل القُرآن رحمهُم الله وقوع النسِخ في القرآن على ثلاثة أقسام :
1/ منسوخ التلاوة والحُكم .
2/ و منسوخ التلاوة دون الحُكم .
3/ ومنسُوخ الحُكمِ دون التلاوة .
وهذا أكثرُهُ ومنسوُخُ الحُكمِ دون التلاوة وهذا أكثرُهُ .
أُعيــــــــــــــــــــــــد التحرير
منسوخ التلاوة والحُكم ،،
و منسوخ التلاوة دون الحُكم وهذا يُمثلون لهُ بما ورد في البُخاري عن عُمر رضي اللهُ عنهُ أنهُ قال " أنهُ كان فيما كان قد أُنزلِ الشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموُهما البتة نكالاً من الله واللهُ عزيزٌ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
حكيم " ، قال عُمر : لولا أن يقول الناسُ زاد عُمر في كلام اللهِ أو في كتاب اللهِ لكتبتُها بيدي " فالرجمُ باتفاق واقع رغم أن الآية منسوخٌ تلاوة ،،
أما الثالث وهو منسوُخُ الحُكمِ مع بقاء التلاوة هذا هو المقصود بالنسخ إذا أُطلق حتى يعرف الإنسان لما يُقال أن فُلانٌ يعرفُ ناسخ القُرآن من منسوخة إنّما ينصرف أول ما ينصرف إلى هذا النوع الثالث ،،
وقد أجاب العُلماء عن سؤالٍ يقع :.
// إذا نسخ اللهُ الحُكمَ كما في أكثر الآيات المنسوخة لماذا أبقى اللهُ جل وعلا التلاوة ؟
وقد أجاب الزركشي رحمهُ الله في البُرهان عن هذا التساؤل بإجابتين :
الإجابة الأُولى :
قال فيها ـ ما معناه ـ أن القُرآن كما أُنزل ليُعمل بهِ أُنزل لماذا ليُتلى لأنهُ كلامُ الله كما أُنزل ليُعمل بهِ أُنزل ليُتلى ويُتقرّب إلى الله جل وعلا بتلاوتهِ لأنهُ كلامُ الله فحتى الآيات المنسوخة حُكماً هي أصلاً من كلام ؟ من كلامِ اللهِ هذا الأمر الإجابة الأُولى رحمةُ اللهِ تعالى علية .
الإجابة الثانية :
قال إن غالب النسخ يكونُ تخفيفاً غالبُ النسخ يكونُ تخفيفاً فإذا تلاهى الإنسانُ الآية المنسوخة التي في التقييد يرى رحمة الله في هذهِ الأُمة كم رفع عنها من المشقة كم رفع عنها من الــ من المشقة .
وقد يكون هُناك أجوبة غير التي حرّرها صاحبُ البُرهان رحمةُ الله مما يخفى علينا لكنّ المقصود أننا نتعبدُ الله جل وعلا بكُلِ أمرٍ أمرنا بهِ تبارك وتعالى .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قال الله : (أو نُنسها)

قُرأت بالهمز مع الفتح ننسأ وها فيُصبح المعنى التأخير والتأجيل ، وقُرأت كما هو بين أيديكُم (ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسها) فالنسيانُ هُنا ضد ضــد الذكر أي أن الله يُنسيها من قلوب المؤمنين يُنسي المؤمنين إياها ـ بتعبيرٍ أصح ـ وهذا يدلُ عليهِ قولُ اللهُ جل وعلا : (سنُقرِئُك فلا تنسى * إلا ما شاء الله) يُؤيد هذا القولَ قول اللهُ جل وعلا : (سنُقرِئُك فلا تنسى * إلا ما شاء الله) .

نحنُ مُتفقون أي معشر المُسلمين على أن القُرآن كُلهُ كلام كـــــلامُ الله وبما أنهُ كُلهُ كلامُ الله فلا تفاوت فيهِ من حيثُ نظمةِ لأنهُ جميعاً كلامُ الرب فقولُ اللهِ جل وعلا : (نأتي بخيرٍ منها)

ليس المقصود أن آيةً أحكمُ من آيةٍ لفظاً ونظما لا وإنّما المقصود خيراً منها بالنسبةٍ للعبد فيما ينفعهُ لأن الله جل وعلا أعلمُ بمصالحِ عبادهِ أعلم بمصالح عبادهِ في العاجل والآجل فإذا رأينا النسخ نقل الأُمة من الأمر الثقيلِ إلى الأمر الخفيف قُلنا هذا عاجل لهُم في الدُنيا قُلنا هذا لهُم عاجل خير ومنفعة في الدُنيا ،

وإذا رأينا الآية نقلت من خفيفٍ إلى أثقل مثل نقل الناس من صوم يوم عاشوراء إلى صيام رمضان فهذا إلى أثقل لكنّنا عرفنا أن فيهِ خيراً أين ؟ في الآجل عرفنا أن فيهِ خيراً أين ؟ في الآجل .

هذا النظرة العامة لقضايا النسخ

بعد ذالك تتفرّع أمور كثيرة ليس هذا مجالُ سردها لأتّنا لا نُريد أن يطغى فنٌ على فنّ التفسير وفنّ التفسير هو أن يفهم القارىءُ مُراد الرب تبارك وتعالى هذا الغايةُ منه . فإذا تحقق للعالم أو للمُتكلم أن يُفهم الغير مُراد الله

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

تحقّقت المقصودُ من علم التفسير .
((ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسها نأتي بخيرٍ منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كُل شيءٍ قدير))
طبعاً إذا تمّت زيادة على ما قُلناه يعني بعضُ العُلماء العُلمـــاء جميعاً مُتفقون على أن القُرآن يُنسخ بالقُرآن لكنّ الخلاف هل تنسخ السُنّة القرآن ؟
قال بهِ الجمهور ، وبعضُهم قال بهِ لكن يقول لا يُوجدُ دليلٌ واضحٌ علية ومنعهُ الشافعيُ رحمةُ اللهُ تعالى ، قال بهِ الجمهور ومنعهُ من ؟ الشافعيُ رحمةُ الله .

والقائلون بالوقوع اختلفوا القائلون بأن السُنّة تنسخُ القرآن اختلفوا في أمثلتهم فبعضهُم يقول لا يوجد مثالٌ واضحٌ صريحٌ ظاهر ، وبعضهُم يقولُ بهِ .
فمثلاً : (كُتب عليكُم إذا حضر أحدكُم الموت الوصيةُ للوالدين و الأقربين بالمعروف) وجاء الحديث " لا وصية لوارث " فهل هذا نسخٌ للآية أو تخصيصٌ لها :
فمن رأى أنهُ تخصيص لم يرى أن الحديث ناسخٌ للقُرآن ،، ومن رأى أنهُ نسخ جعل هذا الحديث مثالاً لنسخ القُرآن بالسُنة لنسخ القُرآن بالسُنة والعلمُ عند الله .
(ألم تعلم أن الله على كُلِ شيءٍ قدير)

وهذا خطابٌ لنبي والمقصودُ بهِ أُمتهُ ولهذا جاء بعدها ((ألم تعلم أن الله لهُ مُلكُ السماواتُ والأرضِ وما لكُم من دون اللهِ من وليٍ ولا نصير))
الوليُ والنصير بينهُما أيُها الأخُ المُبارك خصوصٌ وعُموم .فالوليُ هو القريب لكنّهُ قد يكونُ عاجزاً

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

على أن ينصُرك بمعنى يُحب أن ينصُرك لكنّهُ عاجز ، وأما النصير فهو الذي قادر على نُصرتك ولا يلزم أن يكونَ قريباً قد يكونُ أجنبياُ عنك . الولي هو القريب الذي يُحب أن ينصُرك لكنّهُ قد يكونُ عاجزاً عن ؟ عن نُصرتك . والنصيرُ هو الذي ينصُرك ولا يلزمُ أن يكون قريبا قد يكونُ أجنبياً عنك .

((أم تُريدون أن تسألوا رسُولكُم كما سُئل موسى من قبلُ ومن يتبدل الكُفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل))

السؤال أيُها المُبارك يقع على قسمين :
سؤال استرشاد وتعلُّم وهذا نحنُ مأمورون بهِ شرعا قال الله ماذا قال ؟
(فاسألوا أهل الذكرِ)
وسُؤالٌ المقصودُ بهِ الاعتراض والتعنُّت فهذا نحنُ منهيّون عنهُ شرعا قال اللهُ جل وعلا (لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكُم تسُؤكُم) وقال (أم تُريدون أن تسألوا رسُولكُم كما سُئل موسى من قبلُ)
فما الأسئلة التي طرحها بنوا إسرائيل على موسى والتي أرادها اللهُ هُنا كقولهم (أرنا الله جهرة)

((ومن يتبدل الكُفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل))هذهِ ظاهرة مرت معنا .
((ودّ كثيراً من أهل الكتابِ لو يردُونكم بعد إيمانكُم كُفّاراً حسداً من عندِ أنفُسهِم))

هذه سبقت في اللقاء الماضي حول قول الله جل وعلا (ما يودُ الذين كفروا) لكنّهُ صرّح هُنا بماذا ؟

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

بالحسد والحسدُ يقعُ مُحققاً ويقعُ مُقدرا
فالحسدُ المُقدّر هو حسدُك من لم تصبهُ النعمة بعد وهو أشنع .
والحسدُ المُحقق هو حسدُك لمن أصابتهُ النعمة أن تزول عنه .

ثُمّ قال جل وعلا ((فاعفوا واصفحوا))

ما أقربها ممّا قبلها هذهِ من الآيات المنسوخة (فاعفوا واصفحوا) هذهِ منسوخةٌ بأية السيف منسوخة بآية السيف في قول الله تعالى (واقتلوهم حيثُ وجدتموهم) وفي قولهِ تبارك وتعالى في حق أهل الكتاب (قاتلوا الذين لا يُؤمنون بالله واليوم الآخر) .. حتى قال (حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهُم صاغرون)

((فاعفوا واصفحوا حتى يأتي اللهُ بأمرهِ))

وهذا يدلُ على أنها منسوخة فقد أتى اللهُ بأمرهِ في سورة ماذا ؟ في سورة التوبة

((إنّ الله على كُل شيءٍ قدير))

ثُمّ أمر اللهُ وهذا من تربية القرآن للمُسلمين عندما يُعطيهم الأحكام يُنبّههُم أن لا ينشغلوا عن الأعمال الصالحة فأردف قائلاً بعد أن بيّن لهم طرائق أهل الكتاب وأن القُرآن من عند اللهِ وأن الرب تبارك وتعالى ينسخ ما يشاء ويُثبت ما يشاء .

قال جل وعلا : ((وأقيمُوا الصلاة وءاتُوا الزكاة وما تُقدّموا لأنفُسكُم من خيرٍ تجدُوهُ عند الله إنّ

الله بما تعملون بصيرٌ))

أي أنّ معاقد الفلاح أيُها العبادُ الصالحُون محصورةٌ في القيام بالأعمال الصالحة .

قال اللهُ بعدها : ((وقالوا)) أي أهلُ الكتاب ((لنّ يدخُل الجنة إلا من كان هُوداً أو نصارى تِلك أمانِيّهم قُل هاتُوا بُرهانكُم إنّ كُنتُم صادقين))

كُلُ صاحب دعوى يُطالب بماذا ؟ بدليلٍ وبُرهان و إلا لا عبرةَ بدعواه واليهودُ تزعم أنّ الجنة لا يدخُلها إلا يهود والنصارى تزعم أن الجنة لا يدخُلها إلا النصارى فردّ اللهُ قولهُم وطالبهُم بالبُرهان ولا بُرهان فأضحوا كاذبين واللهُ إذا دفع باطلا أقام الحق مقامه .

قال اللهُ بعدها : ((بلى من أسلم وجههُ للهِ وهو مُحسنٌ))

فجمع اللهُ في هذهِ الآية المُباركة شرطي العبادة (أسلم وجههُ للهِ) المقصودُ بهِ الإخلاص ،، (وهو مُحسن) أي المُتابعة لشريعة أي عبد الله بما شرع .

((فلهُ أجرهُ عند ربهِ ولا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنُون))

ثُمّ قال الله : ((وقالتِ اليهُودُ ليستِ النصارى على شيءٍ وقالتِ النصارى ليستِ اليهُودُ على شيءٍ وهُم يتلون الكتاب))

لماذا قال الله (وهُم يتلون الكتاب) ؟

لأن التوراةَ تُخبر أن الإنجيل حق والإنجيلُ يُخبر أن التوراةَ حق فكلٌ منهُم كاذبٌ في دعواه فكلٌ منهُم كاذبٌ في دعواه كلٌ منهُم لم يمتثل بالأمرِ الذي شرعهُ الله .

قال الله ((كذالِك قال الذِين لا يعلمُون مِثلِ قوِلِهِم))

من المُراد بالذين (لا يعلمون) ؟

اختلفت أقوالُ أهل العلم فيِهِم قال ابنُ جريرٌ الطبريُ رحمهُ الله هي عامةٌ في كُل أحد ممّن قبل اليهودُ والنصارى وممّن بعدهُم ممّن كان بينهُم كمُشركي العرب هي عامةٌ في كُل أحد ممّن قبل اليهودُ والنصارى وممّن قال ذالك بعد ذالك من مُشركي العرب .

((فاللهُ يحكُمُ بينهُم يوم القيامةِ فيما كانوا فيهِ يختلفوُن * ومن أظلمُ ممّن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمُهُ وسعى في خرابها أُولئك ما كان لهُم أن يدخلُوها إلا خائفين لهُم في الدُنيا خزيٌ ولهُم في الآخرةِ عذابٌ عظيم))

معنى الآية

لا أحد أظلمُ ممّن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمُهُ هذا يا أخي استفهام استنكاري استفهام استنكاري . لكن من المقصودُ بهِ ؟

الأولى جعلهُ عام الأولى جعلهُ عام و إن كان البعضُ قاسهُ على بُختنصّر وما صنعهُ في اليهود ، وبعضهُم يقولون ما صنعتهُ اليهودُ في النصارى أيامُ حُكمهم لبيت المقدس، وبعضهُم يقول ما صنعهُ أبرهة في ما أرادهُ أبرهة من الكعبة ، وبعضهُم يقول ما صنعتهُ قريشٌ يوم يــوم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الحُديبية من ردها لنبي صلى الله علية وسلم والأضبطُ في هذا كُلهِ أن تُقال في حقِ كُلِ أحد سعى في خرابِ مساجد اللهِ والخرابُ في مساجد اللهِ قال ابن سعدي رحمةُ الله يقعُ على ضربين :

إمّا إفساد معنوي
وإمّا إفساد حسي

فالإفسادُ الحسي بهدمها ونسفها لا مكـــــــــــــــــــــّن الله أحدً من ذالك

والأمرُ الثاني المعنوي بمنع عباد اللهِ من إقامة الصلوات فيها وهذا صرّحِ اللهُ بهِ (ومن أظلمُ ممّن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمُهُ وسعى في خرابها أُولئك ما كان لهُم أن يدخلُوها إلا خائفين) فجعل اللهُ ثوابهمُ جزائهُم أنّهُم لا يدخُلُوها إلا خائفين ولهذا لا يُقبل دُخُولُ غير المُسلم إلى المسجد إلا في حالة أسر أو في حالة مرسول رسول من عند ملك علية الذلّة ويُعطى أمان مُؤقت وأشباه ذالك .

(لهُم في الدُنيا خزيٌ و لهُم في الآخرةِ عذابٌ عظيم).

ثُمّ قال الله ((وللهِ المشرقُ والمغربُ ُ))

وخصّ اللهُ جل وعلا هاتينِ الجهتينِ لأنهُما يتعلّقُ بهما ما يسطعُ من أنوار الشمس والقمر وهي إظهار لكمال قُدرة اللهِ جدل وعلا وأنهُ ربٌ للأشياء كُلها .

((فأينما تُولُّوا فثمّ وجهُ الله))

هذهِ الآية نقول أولاً وهذا مُهم قبل أن أشرع في البيان

نُثبتُ أن لرب تبارك وتعالى وجهاً على الصفة

التي تليقُ بجلاله وعظمته صرّح بهذا القُرآن من غير نفي ببُرهانٍ واضح قال الله (كُلُ من عليها فـــــــــــــــــــــــــان ويبقى وجهُ ربك ذُوا الجلالِ والإكرام) وقال (ولا تدعوا مع الله إلهً آخر كُلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجههُ) هذا تأصيلٌ لا بُد منه لكنّ هل المقصود بقول اللهِ جل وعلا (فثمَّ وجهُ الله) هو الوجه هذا الذي نتكلمُ عنه وجهُ الله الأكرم أو المقصود الجهة ؟

ـ تقول فُلان ذهب من هذا الوجة من هذهِ الجهة ـ

بعضُ العلماء يقول أن المقصود هُنا وجهُ الله اتفقنا أن للهِ وجهاً يليقُ بجلاله وعظمتهِ ، وبعضُ العُلماء يقولُ لا إنّ القرائن في الآية لا تدلُ على أن المُراد وجهُ الله مع إثباتنا لصفة الوجهة لمنّ؟ لرب تبارك وتعالى لكن نقول في هذا السياق المقصود بلفظة وجهة هُنا الجهة ويحتجّون بأن الله ذكر قبلها (ولله المشرقُ والمغرب) فذكر الجهات قبلها .

مال إلى هذا أقوام ومال إلى هذا أقوام لكن كلا الفريقين من أهل السُنة الذين قال بأحد هذين القولين كلاهُما مُتفق على أن للهِ جل وعلا وجهاً هو أكرم الوجوه وللهِ الاسمُ الأعظم والوجهُ الأكرم والعطيةُ الجزلى ـ واضحٌ هذا ـ

((فأينما تُولّوا فثمَّ وجهُ الله إنّ الله واسعٌ عليم))

ثُمّ قال الله حكاية تشنيعاً على بعضِ أهلِ الكُفر ((وقالوا اتخذ الله ولدا)) وهذا حرّرناهُ من قبل اليهود قالت عُزيرُ ابنُ الله والنصارى قالت المسيحُ ابنُ الله ومُشركُ العرب قالوا الملائكة بناتُ الله .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

((سُبحانهُ))
تنزيهٌ مرّ معنا كثيرا .
((بل لهُ ما في السماواتِ والأرض))
لام المُلك المُطلق .
((كُلٌ لهٌ قانتوُن))
القنُوت يقع على ضربين :
قُنوت خضوع و ذلِّة وهذا يشتركُ الخلقُ جميعاً فيهِ قُنوت خضوع و ذلّة وهذا يشتركُ الخلقُ جميعاً فيهِ وهو المُرادُ بالآية .
أمّا الضربُ الثاني .. فقنُوت عباده وطاعة وهذا من خصائص عباد اللهِ الصالحين قال اللهُ (وقُوموا للهِ قانتين) .

قال اللهُ بعدها ((بديعُ السماوات والأرض))

أي خلقهُما على غير مثالٍ سبق (بديعُ السماوات والأرض) أي مُنشئهُما وخالقُهُما على غير مثالٍ سبق .
((وإذا قضى أمراً فإنما يقولُ لهُ كُنّ فيكون * وقال الذين لا يعلمون))
أي من جهلة أهل الكتاب والمُشركين والمُنافقين ومن سار على دربهم .
((لولا يُكلّمُنا الله أو تأتينا آية))
هذا يدُل على الكبر من جهتين :
الجهة الأولى يقولون [نحنُ لا حاجة إلى أن يبعث اللهُ إلينا رسولاً] المُفترض ــ معنى قولهم ــ أن الله يُكلّمُنا مُشافهه أنك رسول فلمّا عجزوا عن هذهِ لجأوا إلى الثانية قالوا أقل القليل أن نكون نحنُ وأنت سواء كما تأتيك الآيات تأتينا نحنُ الآيات يعني إن اعترضت على أن يُكلّمنا الله فلا أقلّ من أن نكون ندّاً لك .(أو تأتينا آية).

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قال الله ((كذالك قال الذِين من قبلِهِم مِثل قولِهِم))
من الأُمم السابقة .
((تشابهت قُلُوبُهُم))
لأن التشابه فيما يصدُر من اللسانِ يدلُ على التشابهُ فيما تُكنّهُ القلوب عياذاً باللهِ .
((قد بيّنّا الأيات لقومٍ يُقنون * إنّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيرا ولا تُسئلُ عن أصحاب الجحيم))هذهِ ظاهرة أن النبي جاء بالدين الحق مُبشراً بالجنان مُحذراً من النيران (لا تُسئلُ عن أصحاب الجحيم) أي ليس عليك عُهدت عدم إيمانِهِم وإنّما أنت مُبلّغ كما قال الله (لست عليهِم بمُسيطر).

قال الله بعدها ((ولن ترضى عنك اليهُودُ ولا النصارى حتّى تتبع مِلّتهُم))

هذا قطعٌ بكُل علائق أحد أن ترضى عنهُ اليهُودُ أو النصارى (حتّى تتبع ملّتهُم) حتى تكون يهُودياً مع اليهود ونصرانياً مع النصارى ومن صنع ذالك خرج من رقة الإسلام .

((قُل إنّ هُدى اللهِ هُو الهُدى ولئن اتبعت أهواءهُم بعد الذي جاءك من العلِم مالك من اللهِ من وليٍ ولا نصير))

هذا ضربُ مثالٍ فقط و إلا اللهُ جل وعلا يعلمُ أن نبيهُ لنّ يصنع هذا فالله يقول (اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتهَ) لكنّ المقصود منها بيان أنهُ لا علاقة بين الله وبين أحدٍ من خلقه إلا بالإيمانِ والعمل الصالح .

((الذِين ءاتيناهُمُ الكتاب يتلُونهُ حق تلاوتهِ))
لمّا مررنا على قول اللهِ جل وعلا (نبذ فريقٌ منهم) قسّمنا أهل الكتاب إلى أربعة وقُلنا أهل الصدارةِ منهُم المُؤمنون بهِ وهُم المقصودون هُنا ((الذِين ءاتيناهُمُ الكتاب يتلُونهُ حق تلاوتهِ أُولئك يُؤمنون بهِ ومن يكفُر بهِ فأُولئك هُم الخاسرُون))

أي الذِين يستحقون أن يُطلق عليهم أصلاً أنهُم مُؤمنون بالكتاب هُم العاملون بهِ التالون لهُ (ومن يكفُر بهِ فأُولئك هُم الخاسرُون).
ثُمّ ذكر الله آيتين هُما السابعة والأربعين والثامنة والأربعين مرّت من قبل نظائر لهُما تكلّمنا عنها.
ثُم قال الله جل وعلا عن خليلهِ إبراهيم :
((وإذ ابتلى إبراهيم ربُهُ بكلماتٍ فأتمّهُنّ قال إنّي جاعلُك للناس إماماً قال ومن ذُرّيّتي قال لا ينالُ عهدِي الظالمين))

الآن نُحاول أن نفقه شيئاً من تعامُل هذا العبد الصالح مع ربهِ ابتلاهُ الله بكلمات لم تُحدّد لكنّها بلا شك أعمال عِظام ومهام جِسام قام بها على الوجه الأكمل وقُدّم هُنا المفعول على الفاعل وإنّ كان حقهُ الترتيب لأمورٍ نحوية وأمُورٍ بلاغية ،
أُمور نحوية للقضية الضمير وعودتهِ ، وأُمور بلاغية للتشويق (وإذ ابتلى إبراهيم ربُهُ بكلماتٍ فأتمّهُنّ) أي قام بهنّ على الوجه الأكمل كافأهُ الله (قال إنّي) الأمور بيدي أنا خالقُ الخلق أنا باسطُ الرزق أنا الرب وأنتُم عبيدٍ (جاعلُك) يا إبراهيم (للناس) ماذا ؟ (إماماً) قال أهلُ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

العلم هذهِ أعلى المقامات وأجلّ العطايا من سيأتي بعدك أنت الإمام لهُ في السير إلينا حتى قال اللهُ لنبيهِ علية السلام (ثُمّ أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا)
(إنّي جاعلُك للناس إماماً) الآن لا بُد أن تُنيخ ذهنك أدركتهُ عاطفة الأبوة قال (ومن ذُرّيّتي) نسي هُنا أجابهُ الله (لا ينالُ عهدِي الظالمين) لا تشمل هذهِ العطية من ظلم من ذُرّيّتك لماذا ؟ لأن الإمام لابُد أن يكون مُتحلٍ بحلية الإمامة وهي الصبر واليقين ومن كانَ ظالما لم يكُن صابراً ولا تقياً فلا يستحقُ أن يكون قُدوةً في الخير (لا ينالُ عهدِي الظالمين) لكن الآن هذا الرد الرباني الآن سترى أثرهُ بعد قليل .

قال اللهُ بعدها : ((وإذا جعلنا البيتَ)) أي الكعبة

((مثابةً للناسِ وأمناً))
(مثابة) لا يقضون منهُ وطرا يحنّوُن إليهِ (وأمناً) شرعاً وقدرا الوحوش الجمادات الشجر كُلهُ أمنٌ في مكة .

إنّي وإنّ نظر الأنامُ لمُهجتي
كضباء مكة صيدهُنّ حرامُ
يُحسبن من لين الكلام فواحشَ
ويصدُهُن عن الخنا الإسلامُ

موضع الشاهد [كضباء مكة صيدهُنّ حرامُ] المقصُود (وإذا جعلنا البيتَ مثابةً للناسِ وأمناً) حتى قُريش على كُفرها كانت الموتور منهُم يرى واترهُ في الحرم فلا يقربُهُ .

((واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى))

الآن ما زلنا عاقدين اليد على قضية إبراهيم سنعود إليها (واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى) مقام إبراهيم الصخرة التي ارتقى عليها إبراهيم حتى يبني البيت لمّا على ارتفاعهُ فغُرست أو ظهرت مواضعُ قدميهِ على الصخرة وقد قُلنا في دُرُوسً لنا سلفت إن إبراهيم لمّا ألان للهِ قلبهُ ألان اللهُ الصخر تحت قدميهِ إن إبراهيم لمّا ألان للهِ قلبهُ ألان اللهُ الصخر تحت قدميهِ وجعل الله هذا المقام آية عظيمة وذكرهُ في كتابهِ (فيهِ ءاياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيم) أي أولُهُا مقامُ إبراهيم ،

هُنا قال الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى) النبي علية الصلاة والسلام كما في زيادةٍ صحيحة عند أبي نعُيمٍ في الحُلية على ما في الصحيح في صحيح البُخاري أن عُمر أخبر أنهُ وافق ربهُ في أمور منها هذه الآية ـ الزيادة التي عند أبي نُعيم في الحُلية ـ أن النبي قبلها أخذ بيدهِ ــ بيد عُمر ــ وقال يا عُمر هذا مقامُ إبراهيم فقال عُمر لو جعلتهُ مُصلى فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى) وهذا فيهِ تشريفٌ عظيم لهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامهُ علية .

واختلف الناس في موقع المقام الآن على أربعة أقوال قد لا يكون هذا بسطُها لكنّ قال أقوام إن هذا المقام موضعهُ الآن هو موضعهُ في عهد النبي صلى الله علية وسلم وإنما في إحدى السنين جاء السيل فحرّكهُ من مكانهِ بعيداً ثُمّ رُدّ إلى موضعهِ ،،
وقال آخرون إنهُ كان مُلتصقاً بالكعبة وأخّرهُ عُمر

إلى موضعهِ الحال ،،
وقال آخرون أنهُ أخّر في عهد بعض السلاطين ،،
قالوا أشياء كُثُر لكنّ ما علية الناس اليوم أمرٌ
مُتفقٌ علية أنهُ مقامُ إبراهيم .
هذا المقام جعلهُ الله جل وعلا مكاناً للصلاة حتى
النبي علية الصلاة والسلام لمّا طاف أتى عند
المقام وتلا الآية (واتخذوا من مقام إبراهيم
مُصلى) وصلّى خلف المقام وقرأ في ركعتيهِ
اللتين ركعهُما بعد الطواف بقُل يا أيُها الكافرون
، وقُل هو الله أحد كما في حديث جابرٍ في
صحيحِ مُسلم .
الذي أُوريد أن نصل إلية قضية حسّاسة جداً ليس
لها علاقة بما أرجأناه .:

العرب كانت تُعظم الأصنام لها هُبل اللات العُزّى
مناة وغيرُها كثير ثلاث مئة وستين صنم أُنظر
كيف صرفهُم الله ما عبدوا الصخرة التي عليها
مقامُ إبراهيم ولا عبدُوا الحجر الأسود لعلم اللهِ
الأزلي أن هاذين سيُعظّمانِ في الإسلام فلو
عظّمتهُما قُريشٌ في الجاهلية وعبدتهُما لقال
الناس أبقى مُحمدٌ علية السلام من الوثنيةِ شيء
يسيرٍ ـ واضح ـــ فسدّ اللهُ الطريق هذا صرف
قُريشاً مئات الأعوام مع ولعِها وشغفهِا بالحجارة
أن تعبُد المُقام وهو موجودٌ بينها .
يقولُ أبو طالب :
وموضع إبراهيم في الصخر رطبةً
يعني موضع قدميهِ في لاميتهِ المشهورة طبعاً
موضع هُنا جاءت قسم عشان كذا جُرّت الموضوع
والشاهد فلم يُنقل أبداً أن قُريشاً عظّمت الحجر
عبادةً أو عبدت مقام إبراهيم وهي التي أتت
بهُبل واللات و العُزّى و مناة وغيرها حتى إذا جاء
الإسلام وهو يعلم ما كان وما سيكون وما هو

كائن وأمر بتعظيمها تعظيماً شرعياً مُقيداً بأن يُصلّى عند واحد ويُقبّل الآخر لم يستطع أحدٌ أن يقول إنّ هذا من بقايا الجاهلية (واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى).

ثُمّ قال الله : ((وعهدنا))
وهذا تشريفٌ لهُما ((إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا)) لم يقُل البيت قال ((بيتيَ)) حتى تزيد الرغبة لدى إبراهيم وإسماعيل في السعي في كمال تطهير البيت لأن الله أضافهُ لذاتهِ العلية إضافة تشريف .
((أن طهّرا بيتي للطائفين))
بدأ اللهُ بالطائفين لأنهُم أولى الناس بالبيت إذا لا مكان يُطاف حولهُ إلا ماذا ؟ إلا البيت الحرام أم الاعتكاف والرُكع السجود الذين هُم المُصلّون فإن الاعتكاف يقع في مساجد شتى كما يقع الركوع والسجود في كُل مكان .

ثُمّ قال الله الآن أعود لما أرجأت ((وإذا قال إبراهيمُ ربِ اجعل هذا بلداً أمناً وارزُق أهلهُ من الثمرات من آمن منهُم بالله واليوم الآخر))استفاد خليلُ الله من تعقيب اللهِ الأول عليه لمّا قال (ومن ذُرّيّتي) ماذا قال لهُ ربُهُ (لا ينالُ عهدي الظالمين) الآن عندما جاء يدعوا لرزق هو نفسهُ قيّد استفاد من الأول قال (ربِ اجعل هذا بلداً أمناً وأرزُق أهلهُ من الثمراتِ من ءامن منهُم باللهِ واليوم الآخر) أخذها من العتاب الأول لكنّني لا أستطيع أن أجزم بهِ هذا استنباط لا يُوجدُ فيهِ خبر لا يُوجدُ فيه حُجة لا يُوجدُ فيهِ دليل فلا نستطيع أن تقولّ على أنبياء اللهِ ما لم يثبُت أنهُم قالوهُ لكنّ نقول ربُما استفاد إبراهيم من العتاب الأول .

**هُنا تغيّرت الصورة قال الله ((ومن كفر))
فمن كان مؤمن يتمتّع ومصيرهُ إلى جنات النعيم
، ومن كان كافر يتمتّع إلى حين قال الله (ومن
كفر) أي سأرزُقُهُ ((فأُمتّعهُ قليلاً ثُمّ أضطرّهُ
إلى عذاب النار و بئس المصير)) فبيّن اللهُ جل
وعلا أن الرزق العام يدخُل فيهِ المؤمن والكافر
والبرّ والفاجر من آمن بي ومن لم يُؤمن بي
خلاف الأول الذي هو الإمامة والقُدوة والإتباع
في الدين فإنّ العطايا الدينية يُعُطيها اللهُ لمن
يُحب فقط والعطايا الدنيوية لا يُعطيها اللهُ جل
وعلا إلا لمن الدُنيوية لمن يُحبُ ومن لا يُحب .
قال الله بعدها :
((وإذ يرفعُ إبراهيم القواعد من البيت
وإسماعيل ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميعُ العليم
))**

**أناط اللهُ بهذا الخليل أن يبني للهِ بيتا لكنّ
الخلاف هل بناهُ أحدٌ قبل إبراهيم أو لم يبنهِ ؟
وأنا أُرجّح والعلمُ عند الله أن البيت بنتهُ الملائكة
قبل نزولِ ءادم تمهيداً لنزولهِ ودفعنا إلى هذا ::
لو كان أحدٌ من الخلق بنى البيت قبل إبراهيم
من غير الملائكة ءادم أو غيرهُ من الأنبياء لأخبر
اللهُ جلّ وعلا بهِ لأنّ الله لا يظلمُ الناس مثقال
ذرة وبناءُ بيتٍ للهِ تشريف ويُؤيدهُ أن إبراهيم
علية السلام لقيهُ النبي علية الصلاة والسلام
في رحلة الإسراء والمعراج قد أسند ظهرهُ إلى
البيت المعمور وهذا فهم منهُ العُلماء أنهُ مُكافأة
لهُ على أنهُ بنى للهِ الكعبة فلو كان أحداً من
الأنبياء غيرهُ بنى البيت لكُفأ بها قبل إبراهيم
لأن الله حكمٌ عدل لكن لما بنتهُ الملائكة
والملائكة أصلاً جُبلّة طاعتهُم لذالك لا يتعلّق**

بعملهِم ثواباً وعقاب لم يذكُر اللهِ جلّ وعلا إياهُم .
وإذ قُلنا إن إبراهيم أول من بنى البيت قد يأتي قائل لماذا تقول الملائكة لماذا لا تقول إنّ إبراهيم هو أول من بنى البيت ؟
فنقول هذا يعني أن الناس لم يعرفوا الحج إلا بعد إبراهيم معناه أن إدريس ونوحاً وصالح وغيرهُم لم يحجوا وهذا في ظنّنا بعيد بل أظنّهُ في نصوص ولستُ أجزم تدلُ على حجُ أولئك الأخيار .

نقول قال الله جل وعلا : ((وإذ يرفعُ إبراهيم القواعد من البيت))
قال العُلماء فيما يرونهُ تاريخياً أنهُ جاءت سحابة أضلّت مكان البيت فعرف إبراهيمُ القواعد ،،
وقال آخرون جاءت ريح فكنست جُزءً من الأرض والخبرُ الصحيح أن إبراهيم أشار إلى إسماعيل إلى ربوة قال إنّ الله أمرني أن أبني هاهُنا بيتا قال يا أبتِ أجب أمر ربّك قال أوتُعينُني قال نعم يا أبتاه فبنيا البيت .

قال الله : ((وإذ يرفعُ إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميعُ العليم * ربنا واجعلنا مُسلمين لك))
فحرصا أعظمَ ما حرصا علية ألا يتغير قُلُوبهما عن أحدٍ غير اللهِ أن لا تلجأ قُلُوبُهما إلى أحدٍ غير اللهِ .

((وأرنا مناسكنا))
وهذا استجداءٌ بالرحمن الرحيم فالإنسانُ لا يُعلّم إلا ما علّمهُ الله .
((وتُب علينا إنك أنت التوابُ الرحيم))

هذا اعترافٌ بالتقصير وحاجتهُما إلى التوبة ومحوا الذنُوب وستر العيُوب فلجأ وتوسلا إلى الرب باسمينِ حُسنيين من أسمائهِ (إنك أنت التوابُ الرحيم) .

((ربنا وابعث فيهِم))
أي أُمة العرب
((سولاً منهُم))
وقد وقع
((يتلوا عليهِم ءاياتك ويُعلّمهُم الكتاب والحكمة))
الآن توقف قد تُسألون عن حق ما الآيات ؟ الكتاب والحكمة .

قال الله بعدها ((ويُعلّمهُم الكتاب والحكمة)) والقُرآن مًنزّه كلامُ الله عن التكرار الذي لا معنى لهُ فيُصبح ما معنى الآية ؟؟ تكون الثلاثة كالآتي :
(يتلوا عليهم ءاياتك ويُعلّمهُم الكتاب والحكمة ويُزكيهِم)
(يتلوا عليهم ءاياتك) أي تلاوةً وحفظا تلاوةً وحفظا وتشملُ القرآن والسُنّة ،،
(ويُعلّمهُم الكتاب والحكمة) يُعلّمهُم إياها معنىً . ما تلاهُ عليهم يُعلّمهمُ ماذا؟ يُعلّمهم معناه .
مثلاً (و أقيموا الصلاة) علّمهُم معناه بأن لها أوقات وأنها تُركع هكذا وتُسجد هكذا (وءاتوا الزكاة) علّمهُم معناه بأنهُ ذكر الأنصبة وخلافها وهكذا في كُل الآيات ،،
(ويُزكّيهم) أي يُربيهم بالأعمال الصالحة .
فاجتمعت الثلاثة فإذا جاء وجد رجُل وُجد عبد منّ الله علية بتلاوة القُرآن وحفظهِ واللفظ بهِ والتلفُظ بهِ ثُمّ علم معناهُ كذالك صنع بالسُنة ثُمّ

زكى نفسهُ بالأعمال الصالحة فهذا الذي سار على هدي الأنبياء المُقربين وسنن المُرسلين .

قال الله :
((ربنا وإبعث فِيهِم رسُولاً من عندك يتلوا اياتك ويُعلّمهُم الكِتاب والحكمة ويُزكّيهِم إنّك أنت العزيزُ الحكيم))

ثُمّ ختم الله هذا المقطع بقولهِ :
((ومن يرغبُ عنّ ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناهُ في الدُنيا وأنهُ في الآخرةِ لمن الصالحين))

تكلّمنا كثيراً عن الفعل يرغب وأنهُ إذا قُصد به الطمعُ في الشيء يتعدى بحرف الجرّ في " يرغبُ في " ،، وإذا قُصد بهِ الإعراض وعدم الرغبة في الشيء يتعدى بحرف الجرّ عن وهُنا تعدى بحرف الجرّ عن قال الله (ومن يرغبُ عنّ ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)
السفه نوعٌ من السذاجة والتصرُف غير المحمود ينجُم عن نُقصان العقل نوعٌ من السذاجة والتصرُف غير المحمود ينجُم عن نُقصان العقل ولهذا سمّى الله الصبيةَ سُفهاء .
(ومن يرغبُ عنّ ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناهُ وأنهُ في الآخرةِ لمن الصالحين)

نقول والعلمُ عند الله إنّ قول الله (وأنهُ في الآخرةِ لمن الصالحين) بيانٌ على أن تلك العطايا العظام التي أعطاها اللهُ جل وعلا خليلهُ إبراهيم صلواتُ الله وسلامهُ علية لم تُنقص قدرهُ أين ؟ في الآخرة لأن جرت العادة أن الإنسان إذا مُتّع كثيراً في الدُنيا غالبُ الأمر

يكون على حسابهِ في الآخرة (أذهبتم طيباتكُم في حياتكُم الدُنيا) لكنّ الله أراد أن يُبين أن تلك العظايم من العطايا التي أعطاها إبراهيم حتى جعلهُ للناس إماماً ليست مُنقصةٍ لهُ من الأجرِ شيئاً في الآخرة بل إنّ النصوص أثبتت أنهُ أولَ من يُكسى يوم القيامة علية الصلاةُ والسلام واللهُ جل وعلا اصطفاه واجتباه على كثيرٍ من خلقهِ وهو عند كثيرٍ من العُلماء من أهل السُنة أفضلُ الخلقِ بعد نبينا صلى الله علية وسلم .

((إذا قال لهُ ربُهُ أسلم قال أسلمتُ لرب العالمين)) قال كثيرٌ من أهل العلم إنّ من أعظم خصال إبراهيم المُسارعة في الخيرات وعدم الترَدُد في تنفيذ أمر اللهِ جل وعلا وهذا هديٌ عظيمٌ من هديهِم قال الله جل وعلا عن كليمهِ موسى (وعجلتُ إليك ربي لترضى)
نقف عند هذهِ الآية ثُمّ نقولُ إجمالاً ...
إن الرب تبارك وتعالى ذو فضلٍ واسع ورحمةٍ جليلة أختصّ بها بعض عبادهِ وممّن نال هذا الفضل الإلهي والعطايا الربانية خليلُ اللهِ جل وعلا إبراهيم وذكرُ القُرآن إبراهيم في مواطن مدحٍ محمودةٍ جليلةٍ عظيمة (إنّ إبراهيم لحليمٌ أواهٌ مُنيب) تجعل القلوب تهفوا لتعلّق بهذا النبي الكريم بأن نتبعهُ (ثُمّ أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) وكان النبي صلى الله علية وسلم يُجلّهُ ويُعظّمهُ ولمّا تكلّم عن الأنبياء قال علية الصلاة والسلام كما في حديث يوم الفتح قاتلهُم الله ما لشيخنا وللأزلام "
قال العُلماء لم يُسمّي اللهِ جل وعلا أحدٌ من الأنبياء أنهُ شيخهُ إلا إبراهيم ولمّا لقيهُ في رحلة المعراج قال إبراهيمُ لنبينا صلى الله علية وسلم مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح " ولم يقُل

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

لهُ هذهِ العبارة إلا ءادم أما غيرهُما من الأنبياء والمُرسلين فكان يقول مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

غايةُ الأمر أن نفهم أن هذا خليلُ الله أجتباهُ اللهُ جل وعلا ننظُر في هدية في سمتهِ فيما أخبر اللهُ عنه فنقتفي أثرهُ لأن الله جل وعلا أمرنا بهدي الأنبياء جُملة وبهدي إبراهيم على وجه الخصوص وهذا الذي سنُهُ نبيُنا صلى الله وسلم عليهِ ....

هذا ما تحرّر وتهيأ إعدادُهُ وأعان اللهُ جل وعلا على قولهِ واللهُ المُستعان وعلية البلاغ وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ للهِ رب العالمين ....



إن الحمد لله نحمده, ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا, وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له, أراد ما العباد فاعلوه, ولو عصمهم لما خالفوه, ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه, وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله, صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه, وعلى سائر من اقتفى أثره, واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين..

أما بعد:

فما زلنا نتفيأ معكم ظلال كتاب ربنا جل وعلا وقد انتهينا في اللقاء الذي سبق إلى قول الله جل وعلا عن خليله وصفيه وحبيبه إبراهيم عليه

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
الصلاة والسلام قال الله (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذا قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)إلى هنا انتهينا في اللقاء الماضي وبينا المقام العظيم الذي من الله به على هذا الخليل المبارك صلوات الله وسلامه عليه ..
اليوم نفتتح اللقاء ، يقول الله جل وعلا {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } حصر الله النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته وإبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول المؤرخون أنه لم يرزق إناث وإنما رزق ذكران زمن أولاده الذكور الذي نص الله عليهم في كتابه إسماعيل هو الأكبر و إسحاق ومن إسحاق جاء يعقوب عليه الصلاة والسلام وله أبناء آخرون غير هذين لكن هذين الذَين نبئا بنص القرآن قال الله عن إسماعيل (إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً) وقال الله جل وعلا عن إسحاق (وباركنا عليه وعلى إسحاق) وقال (وبشرناه بإسحاق نبيا ً) فهذه دلالة قرآنية على أنهما كانا نبيين صلوات الله وسلامه عليهم ..
الإنسان إذا حضرته والوفاة تحضر مقدماتها وأسبابها ودواعيها أما الموت إذا حل ذاتا ً لا يمكن وقتها لأحد أن يتكلم فإذا ظهرت دواعي الموت وأسبابه ومقدماته وشعر المرء أنه مفارق لا محالة يكون فقه الأولويات هناك في أوجه لأن الإنسان في تلك اللحظات يصعب عليه أن يخادع نفسه فيخرج ما في قلبه أكثر مما يخرج ما كان يردده بلسانه والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حملوا طيلة أيام حياتهم شيئا ً أعظم من الدعوة إلى توحيد الله جل وعلا فلما

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

كانت الدعوة إلى توحيد الله جل و علا أعظم ما حملوه وهم أحياء كانت أعظم ما تركوه عند موتهم قال الله عن خليله (وجعلها كلمة باقية في عقبه) في عقبه أي في ذريته فعندما حضرته الوفاة وصى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنيه إسماعيل وإسحاق وغيرهما دل عليه الجمع في قوله تبارك وتعالى {يَا بَنِيَّ } هؤلاء الأخيار أولاد هذا النبي المبارك لما التفوا حوله وصاهم قال الله {وَوَصَّى بِهَا} والهاء تعود على ماذا ؟ إما إن تعود على الملة عموماً وهو الأظهر أو تعود على الكلمة المسبوق الحديث عنها وهي قول الله جل وعلا عنه (قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) ولا ريب أن الإنسان يظهر كمال عقله عند موته ويظهر ذلك الشيء الذي كان يحمله في سرائره على لسانه عندما يقرب من الآخرة .. أبو بكر رضي الله عنه لما وصي بالخلافة لعمر قال في ساعة يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر لأن الإنسان لا يبلغ به الحال أن يخدع نفسه في تلك المرحلة إنما يخرج معتقده .. والوصية .. هناك وصية مالية ليس لها هذا الحديث عنها سيأتي الحديث عنها في آية الدين لكن الوصية هنا الثبات على المبدأ وعلى العقيدة ولا عقيدة أعظم من توحيد الرب تبارك وتعالى ، ولعظم شأنها نص الله عليها {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ} والواو عاطفة اتفاقاً لكنها معطوفة يعقوب على بنيه ؟ أو معطوفة على إبراهيم ؟

لكل قرئ :

والذي بين أيديكم أنها معطوفة على إبراهيم لأنها جاءت مرفوعة مضمومة فيصبح المعنى : ووصى بها إبراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه وإن قلنا ووصى بها إبراهيم بنيه نصبناها

يصبح ووصى بها إبراهيم بنيه وحفيده الذي هو يعقوب وهذا ينجم عنه سؤال آخر هل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو بتعبير أوضح هل أدرك إبراهيم أو لا ؟ ظاهر القرآن أنه أدركه لأن الإنسان لا يخلو من أحفاد فلما يقول الله جل وعلا (ومن وراء إسحاق يعقوب) دلالة على أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سيدرك يعقوب سيراه ، فعلى القول الأول على أنها مرفوعة يصبح ما صنعه إبراهيم مع بنيه انتفع يعقوب منه فصنعه مع بنيه ، وعلى قراءة النصب يصبح أن إبراهيم أوصى بنيه عليه الصلاة والسلام ومن جملة من حضر حفيده يعقوب .

قال الله تعالى :{ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ } اجتباكم وأختاركم ونعمة عظيمة أن يختاركم الله لهذا الدين ثم قال في كلمة ذات إيجاز {فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } والمؤمن وأي أحد يدرك أنه لا يعلم متى ساعة موته فحتى يتمسك بشيء يجهل متى يموت عليه يلزم من هذا الثبات والدوام على الدين .. يصبح ..نحرر المعنى

أراد خليل الله إبراهيم من قوله { فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} الثبات والدوام والبقاء على الدين ثم قال الله جل وعلا يخاطب أولئك ..من أهل الكتاب الذين زعموا أ، أولئك الأخيار كانوا هودا أو نصارى ..

قال الله {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ } وقلنا حضرت مقدماته وأسبابه {إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ } وهذا نص صريح على أن المتكلم يعقوب والمستمع أبناؤه { مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } نقع هنا

في إشكال و قلنا أول خطوات العلم إيجاد الإشكال ثم حل ذلك الإشكال قال الله جل وعلا { إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ } من القائل ؟ القائل يعقوب ويعقوب نبي
مرسل معظم لله وهذا أمر لابد أن تسطصحبه وأنت تقرأ سؤاله ثم قال { مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي }وما بالاتفاق لغير العاقل فكيف يظن أن نبياً يسأل عن الله بأداة لغير العاقل أجاب العلماء عن هذا بأن مصر عندما دخلها يعقوب كان يكثر فيها عبادة الأوثان فذكر هذا السؤال من باب الاختبار لأبنائه هل أنتم متعلقون بما ترونه من الأوثان والأصنام والأحجار وما يعبد من دون الله أم لا؟!
وعندي أن هذا بعيد وإنما السؤال ليس عمن تعبدون حتى يكون الجواب الله .... أي نعبد الله....... إنما السؤال ما الطريقة؟ ما العبادة؟ ما المسلك؟ ما الملة؟ التي ستختطونها وتسيرون عليها بعد موتي فسأل عنها بغير ماذا؟ بأداة لغير العاقل . [واضح]
ما تعبدون من بعدي؟ لكن أولئك الأبناء لعظيم صلاحهم أجابوا إجابة تطمئن والدهم أكثر مما يريده من الإجابة فقالوا{ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } ...
هذه الآية فهم منها العلماء أن الجد بمنزلة الأب لأن الله تعالى قال { وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ } وفيها دلالة على أن العم بمنزلة الأب بهذه الآية أخذ الصديق رضي الله عنه في المسألة الفرضية المشهورة وهي قضية هل يحجب الأخوة بالجد أو لا يحجبون ؟ فليس هذا مقام تحرير النزاع ستأتي آيات المواريث في سورة النساء لكن هذا من أدلة

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الصديق رضي الله عنه أنه كان يرى أن الإخوة يحجبون بالجد فجعل الجد بمنزلة الأب والآية صريحة{ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ } بدأ الله بإسماعيل لأنه أكبر{ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } ثم قال الله{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }الخطاب هنا لليهود لأهل الكتاب عامة وللمسلمين ..
إنما توجيه الخطاب فيكون على التالي:-
فيكون الجواب لأحفادهم وأسباطهم من بني إسرائيل أن قرابتكم لأولئك الأخيار لا تنفعكم إن لم يصحبها عمل.
وتوجيه الخطاب إليهم وإلى غيرهم يكون إذا كان الله جل وعلا في حق أولئك الأخبار العظيمّي الشأن أجرى عليهم ما كسبوا وأجرى عليهم ما اكتسبوا فمن باب أولى من كان غيرهم يكتب له ما كسب ويكتب عليه ما أكتسب قال الله { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } وأن من آفة العلم والسير في أي طريق أن ينشغل الإنسان في أمر أمره بالنقد والانشغال بالنقد في أول طلب العلم أعظم آفاته في زمن العلامة الألباني رحمة الله تعالى عليه ظهر بعض علماء الحديث فتيه تتلمذوا على بيد شيخ وكلهم أخيار ، لكن أولئك الفتية أول ما بدؤوا يطلبون علم الحديث لجأوا إلى ما صنفه الألباني وحكم عليه بالصحة فأخذوا يجربون قضية نقده فكشفوا عن عوار شديد لأنهم لم يصلوا إلى مرحلة الشيخ واختطوا طريقا واعتلوا هرما لم يرتقوا درجاته فمن جملة ما كتبه الشيخ رحمه الله تعالى آن ذاك أنه عاتبهم على هذا الصنيع وعاتب شيخهم وقال لو أشغلوا أنفسهم في

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

تحرير مسائل علمية تنفع الناس خير لهم من أن يبدؤوا الطريق بقضية أن الإنسان يبدأ حياته بالنقد وتفصيل المسألة حتى ينتفع من يسمع قد تكون في أول الطلب فتسمع من شيخ رأي أنت قد سمعت من شيخ لك رأياً مخالفاً فلا يلبث أحدنا أن يصنع إذا غلب عليه حماسه دون عقله وعلمه أن يذهب ويحرر في الرد عليه ولا يمكن أن يرد الإنسان وينتقد إلا إذا بلغ مرحلتين:-

أن يعرف أدلة الفريقين تماماً ثم يملك آلة علمية في الترجيح بينهما فإذا عرف أدلة الفريقين ثم ملك آلة الترجيح حق له بعد ذلك أن يخاطب ويراسل ويكتب وغالب من يكون في أول الطريق يجهل ذلك كله



قد مر معنا كثيراً أن الإنسان إذا تصدر لشيء لا يحسنه إنما يكشف عن عورته ثم إن قول الله جل وعلا { وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } هذه تربية ربانية لأن الإنسان إذا أنشغل بما لن يسأل عنه معنى ذلك التفريط عما يسأل عنه وقد كان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله تعالى عليه عندنا في المدينة وذات يوم في الحرم وهو يدرس وافقت تلك الأيام موت زعيم عربي مشهور لكنه أي ذلك الزعيم غير محمود السيرة شخصية جدلية الناس فيها ما بين مادح و ذام ، فعنه ما كان الشيخ في طيات الحديث يقول ما ينفع الناس قام أحد الحاضرين في الحلقة وقال يا شيخ مات فلان ما تعليقكم ؟!! فسكت الشيخ عله أن يكون في ذلك تأديباً

للسائل واستمر في حديثه فأعاد الطالب أو الحاضر السؤال فسكت الشيخ فرددها ظناً منه أن الشيخ لم يسمع!! فأشار الشيخ بيده هكذا (أن اسكت) طبعا ًالشيخ لا يبصر في الجهة التي حصل منها الصوت ثم قال { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ثم أكمل حديثه.

وهذه منزلة في التربية والعلم لأن الإنسان إذا بلغ مرحلة متقدمة في العلم فتصبح رقاب الناس في ذمته لا رقبته في ذمة الناس هو الموكل بأن يقودهم إلى الخير لا أن يقودوه ممن حوله من حضروا أصلا ً لينتفعوا منه أن يقودوه هم إلى حيث شاؤوا فإذا قادك من هو أدنى منك لن يقودك إلا إلى السوء وعلى أهل العلم أن يتصدروا لينفعوا الناس لأنه إن لم يتصدر أهل العلم ويقودوا الناس بطريقة ربانية وصبغة إلهية إلى ما ينفعهم تصدر من لا يحسن شيئاً فهلك الناس.

وقد قيل :

إذا كان الغراب دليل قوم
دلهم على جيف الكلاب

نعود على ما نحن فيه من كلام ربنا جل وعلا قال الله جل وعلا { وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } يقول اليهود كونوا هوداً ويقول النصارى كونوا نصارىً وإلا لا تقول النصارى كونوا هوداً ولا تقول اليهود كونوا نصارى لكن أحرر كلمة هوداً قبل الشروع في القضية :

يمر معك في ذكر اليهود ثلاث ألفاظ سواء في الكتاب أو في السنة: يهود – اليهود - وهودا أعيد

يمر معك في الكتاب والسنة: يهود - اليهود بالتعريف وهودَ كالتي بين أيدينا، فما معنى كل واحدة منها ؟ إذا فقهت الأصل يسهل عليك فهم القرآن بعد ذلك والله هنا يقول { وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ } الأصل في المسائل أن هؤلاء من ذرية يهوذا ابن يعقوب فعربت الذال فأصبحت دالاً [واضح]؟!

فيهود تطلق على معنيين تطلق على النسب وعلى الصلة....... فإذا قلنا يهود أي اليهود فتحتمل الأمرين تحتمل أن تكون مطلقة على الصفة التي هي الدين والملة أو على النسب أي إلى الجد الذي ينسب إليه

أعيد .. إذا قلنا يهود أو اليهود فتحتمل معنيين إما على الصفة أي الملة والدين وإما على النسب.. وإذا قلنا هوداً كما في هذه الآية وهو التفريع الثالث فلا تطلق إلا على الملة والصفة ولا يراد بها النسب إذا قلنا هوداً فلا يراد بها النسب وفقهك لهذا الأمر يعينك بعد توفيق الله على فهم الكثير من الأمور التي جاء فيها ذكر اليهود وسنبسط الآن القول حتى تتضح الصورة والإنسان لا يمكن يا بُني أن يطالب بتغير نسبه لا سبيل له إلى ذلك النسب لا يتغير فالنبي عليه الصلاة والسلام مثلاً هاشمي لا يمكن أن نطلب منه أن يكون خزرجياً ، حسان أبن ثابت خزرجي لا يمكن أن يطلب الله أو رسوله من حسان أن يكون هاشمياً أو أن يكون قرشياً أو أن يكون خزاعي أو غير ذلك- فالأنساب لا سبيل إلى تكليف الناس بها لأن النسب لا يختاره الإنسان هو يولد على نسب معين يقول حسان :

ولدنا بني العنقاء وأبنيّ محرق
فأكرم بنا خالاً و أكرم بنا إبنما

إلى غيرها من الطرائق التي حررناها في

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
موضعها
إذاً قول الله جلا وعلا {وَقَالُواْ} أي اليهود {كُونُواْ هُودًا} لا يقصدون كونوا يهود نسبا وإنما كونوا هوداً أي ملة صفة على الصفة التي أرادها اليهود
إذا تحرر هذا فاليهود كانوا يجاورن النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وأول خطواته معهم تاريخيا الموادعة الصحيفة التي حررها بينه وبينهم كما ذكرها أهل السير وانتهى المطاف في غزوة خيبر من محرم من سنة سبع وغزوة خيبر مرت بأحداث شهيرة عظيمة من أشهرها أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بعدها من صفية بنت حُــيي ابن الأخطب
هذه صفية الآن نطبق القاعدة .. حصل بينها وبين إحدى أمهات المؤمنين ما يحصل بين الضرائر لأنهن يتنافسن على شرف عظيم هو النبي صلى الله عليه وسلم فقالت لها أحدى أمهات المؤمنين تعيرها .. قالت: يا ماذا ؟! يا يهودية وهذه أم المؤمنين قطعاً لا تقصد يهودية معناها ملة أو دين محال لأن هذه مسلمة لكم قصدت بها ماذا؟! النسب .. [واضح الفرق الآن] لأنه بعيد جداً ومحال أو لا يقع لا يتصور أن تأتي أم المؤمنين فتقول.. أظنها "حفصة"".. فتقول لصفية يا يهودية على اعتبار أنها يهودية كافرة هذا محال لكن يهودية هنا بمعنى نسب، نأخذ تخريج آخر حديث آخر حتى نستفيد من القاعدة قال عليه الصلاة والسلام ممكن هذا مروي عند أهل السير ذكره البيهقي في الدلائل وابن عساكر في التاريخ الدمشقي وابن سعد في الطبقات قال المخيريق خير يهود ، لا يقصد خير يهود ديناً نسبة إلى اليهود الدين والملة لأنه أسلم لكنه خير يهود خير القوم ينتسبون إلى

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

من ؟! إلى يهود فهذا خرج في يوم سبت واليهود تعظم يوم السبت تجعله إجازة وقال: معشر يهود تعلمون أن نصرتكم لنبيكم حق فأبوا واحتجوا بأنه يوم سبت و هم حتى لو لم يكن السبت لن يخرجوا ولكن يريدون أن يكفوا عن أنفسهم جداله فخرج في يوم أحد كان يوم السبت قتل فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قتله قال مخيريق خير يهود.... الذي يعنيننا كلمة خير يهود يعني خيرهم يهود هنا إضافة نسب .. إضافة نسب لكن الآية لا تحتمل النسب { وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى } إذا عدنا إلى خبير فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله فأعطاها (علي) وهو القائل يومئذ :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة
أضرب بالسيف رؤوس الكفرة
وأكيلهم بالصاع كيل السندرة

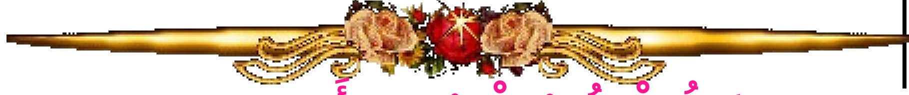
السندرة شجرة عظمية يقطع منه مكاييل كبار عظام

و حيدرة أسم من أسماء "علي" واختلف من أين جيء له بهذا الاسم وقيل أنه اسم من أسماء الأسد

ترون أنتم الشيعة في يوم عاشوراء يضربون صدورهم ويحرقون أيديهم ويقولون حيدر.. حيدر ، يفرون من التأنيث مع أن "علي" ارتضاه لنفسه لأن التاء في التأنيث ليست عيباً إذا أطلقت على مذكر! حمزة ، طلحة ، معاوية فيقولون حيدر .. حيدر ويضربون أيديهم وأرجلهم فينطبق عليهم مثل عند العامة شهير تقول العامة "من خف عقله تعبت قدماه" الذي يعنيننا أنت ترى أحياناً الأشياء أمام عينيك

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

من تاريخنا المعاصر حسن ربطها بالقرآن حسن تنمية ثقافتك حسن إطلاعك إطلاع شامل هذا يجعلك أهدأ بالاً وأمكن في العلم وأكثر ثقة في قيادة الناس....



قال الله{وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ } طبعاً لم نتكلم عن النصارى ليس جهلاً لكن النصارى لم يكونوا محيطين بالنبي صلى الله عليه وسلم كإحاطة اليهود به فالمدينة لم يكونوا يسكنها احد من قبائل النصارى قد يكون فيها أفراد لا يمكن أن نعرج إلى أحداث مرت بهم أما اليهود كانت قبائل قينقاع - قريظة - النضير- منى زُريق- غيرهم كانوا مستوطنين المدينة فتجري أحداث عندما تكلمنا عن اليهود ليس لزيادة علم فيهم ونقص في النصارى أو لبغضنا فيهم أقل من النصارى لكن المسألة مسألة أحداث تاريخية كانت موجودة آن ذاك. {وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ } واقعة في جواب ، في جواب الأمر ، كونوا هذا أمر تهتدوا هذا رأيهم فرد الله عليهم { قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ومر معنا أن الحنف في اللغة الميل وهنا المقصود به أن الميل عن المعوج اعتدال أعيد الميل عن المعوج اعتدال وهذا حررناه كثيرا { قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } تلحظ أيها المبارك أن ملة إبراهيم كلمة عامة جاء تفصيلها {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ

لَهُ مُسْلِمُونَ} من حيث الحياة العملية كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذا الآية وآية آل عمران (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم ...) في آية البقرة ذكر الله "إلى" ابتداء الغاية وفي آية آل عمران ذكر انتهاء الغاية فعبر بماذا؟ بـ "على" في آية البقرة قال" إلى " {إِلَى إِبْرَاهِيمَ }فذكر ابتداء الغاية وفي سورة آل عمران ذكر " على " أي ذكر انتهاء الغاية { قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ } هذا رأس الدين ولذلك أفرد وجمع ما بعده {وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ } وقلت مراراً لا تقف على قول الله تعالى{قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا } ثم تقول{وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ } فتصبح " ما " نافية وهي هنا موصولة و" ما " إذا كانت موصولة لا يبدأ بها لأنها تنتقل في المعنى إلى كونها نافية {وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ } واختلف فيمنهم الأسباط والمشهور أنهم أبناء يعقوب لكن هذا كونهم أبناء يعقوب هذا إذا قصد بها أبناء يعقوب لصلبه أي أخوة يوسف فهذه في النفس منها حاجة !! أن يكونوا أنبياء نبئوا وأنزل عليهم بعد الذي وقع منهم لكن هذا الذي عليه أكثر الناس. {وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى } طبعاً {وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ} خص موسى وعيسى بالذكر لارتباطهما الوثيق بحياة بني إسرائيل {لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } فالمنهج الذي تسيرون عليه في التفريق بين الأنبياء الله ورسله ليس هو المنهج الرباني ولهذا قال الله {لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } ثم قال ربنا {فَإِنْ آمَنُواْ } المخاطبون بهذه الآيات من اليهود والنصارى {بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ } ليس

المقصود حرفية الإيمان بالله لأن الله ليس كمثله شيء {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ } إي بمثل الطريقة التي تؤمنون بها بمثل المنهج والهدى والملة والطريقة التي تؤمنون بها{فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ } أعرضوا {فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ } والشق من الشيء جانب والمقصود هنا مجادلون مخالفون لا يريدون لأنفسهم ولا لغيرهم خيراً{فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ } والمشاق لك المؤذي فقال الله {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } وقد قيل أن هذه الآية كان يقرأها عثمان رضي الله عنه وأرضاه حال قتله فسقطت قطرة من دمه على هذه الآية وقال بعض المتأخرين ممن دونوا التاريخ أنهم وجدوا هذا المصحف الذي كان بين يدي عثمان وقد تجمد دم عثمان على هذه الآية ذكره القرطبي وغيره عن بعض من أدرك هذا المصحف العثماني أياً كان الأمر هذا قد !! من حيث العقل مقبول من حيث النقل لا أظن هناك سند صحيح نلزم به {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } وهذا تطمين من الله لنبيه وهذا أمر متكرر في القرآن(وكفى بربك هاديا ونصيرا) ثم قال الله {صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ } اليهود جاء في شرعهم المحرف أن الكاهن إذا أراد أن يتوب يغتسل قبل أن يقدم القربان عن خطاياه وعن خطايا عائلته وعند النصارى شيء يسمي التعميد وأصله أنهم كانوا يقولون إن يحي ابن زكريا أمرهم أن يغتسلوا من نهر الأردن وإلى اليوم التعميد موجود يضعونه في ماء يظنونه ماء مقدس فيغتسلون ويعمدون الصبي حتى ينتفع بدعوةٍ عيسى له فلا يخلد في النار فعامل الله لغةً هؤلاء القوم بصنيعهم هذا المشتهر بينهم

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
فأختار الله هذا اللفظ ليكون مناسباً للحال التي يصنعها اليهود ويصنعها النصارى فانتم تعمدون إلى الاغتسال وهؤلاء يعمدون إلى التعميد وكلا كما على باطل أين الصواب {صِبْغَةَ اللّهِ } فطرته ملته ما ارتضاه جل وعلا لعباده فالمؤمنون من هذه الأمة على فطرة الله ليست فطرة متكلفه كالتي صنعها اليهود أو صنعتها النصارى
ولهذا كلمة صبغة هذه التاء للتأنيث وأصلها يا بُني صبغ على وزن فعل مثلها مثل قشر ذبح ، فذبح بمعنى مذبوح وقشر بمعنى مقشور لماذا زيدت التاء زيدت التاء لبيان الوحدة.. لبيان الوحدة فصيغة الله واحدة تدل على دين واحد {صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً } أي لا أحد أحسن من الله صبغة {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ } ثم قال ربنا {قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } الآن أنخ المطايا قليلاً فيما يا بُـني تكن المحاجاة ؟ في الشيء المختلف فيه، شيء غير واضح لي و لك " فنتحاج " .. كل منا يدلي بحجته لأن الأمر غير بيّن هنا هذه الآية مصوغة... مصوغة الإنكار وهؤلاء اليهود والنصارى تزعم كل طائفة منهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وان الله اجتباهم واصطفاهم دون غيرهم وأنكم أيها الأميون لا مقام لكم فيقول الله جل وعلا لأتباع نبيه قولوا لهؤلاء{أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ } أي كيف يستسيغ عقلاً ونقلاً أن تحاجوننا في شيء واضح جلي بيّن وهو أننا نعلم أن الله ربنا كما هو ربكم فليس مسألة أن الله ربنا و أن الله ربكم مسألة خلافية تحتاج إلى محاجاة فالله رب كل ماذا ؟ رب كل شيء {قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ }هذا زعم

باطل لأنه محاجاة فيما لا خلاف عليه أن الله جل وعلا رب لنا ورب لكم ، فما دام رب لنا ورب لكم فلا يوجد سبب يجعله يفضلكم علينا وهو ربنا جميعاً إلا بما شرع و لهذا قال {وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ } ثم إننا نزيد رتبة عليكم بأننا قال الله {وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } أي لا نشرك به كما أشركتم أنتم فأينا أحق بالنعيم هو رب لنا رب للجميع ولنا أعمال ولكم أعمال لكن أعمالنا تختلف عن أعمالكم فنحن لم نشرك بربنا احد ورزقنا الإخلاص وأنتم اليهود قالت عزيز أبن الله والنصارى قالت المسيح أبن الله، فأينا أحق بالفضل والعطاء من رب العالمين لا ريب أنهم أهل الإسلام ثم قال الله {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ } إن كسرت جبراً همزة إن لأنها جاءت بعد فعل قول {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَـقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } الآن يوجد أشكال عظيم في الآية الناس يقرونها دون أن يلحظوا الإشكال وعدم ملاحظة الإشكال تدل يقيناً أنهم لم يعرفوا حله أين الإشكال الله يقول { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ } والمعنى أن هؤلاء عندهم علم حق من الله لكنهم ماذا فعلوا؟ كتموه ، لكن يوجد علم واضح بيّن لكن ما الحاصل منه أنهم كتموه قال قبلها جل شأنه قال{قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ } أي أنكم كاذبون فيما تقولون وهذا لا يستقيم مع قوله أنه عنده علم من ماذا؟ من الله .. [واضح]

الله جل وعلا عاتبهم وقال {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء }أي لم تكونوا شهداء عندما حضر يعقوب الموت حتى تزعمون أن يعقوب وأبناؤه كانوا يهوداً أو كانوا

نصارى فنفى الله جل وعلا علمهم ثم جل وعلا
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ }
فأثبت الله لهم العلم قال قبلها {أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ } وهذا لا يستقيم إلا إذا فهم وهو مستقيم
حقاً لا ريب لكن لا يستقيم بادي الرأي والجواب عن هذا أن قوله جل تسأله {أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ
}خطاب لعامتهم وهم الجهلة وقوله جل وعلا
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ }
خطاب لخاصتهم وهو العلماء [واضح]
.



أعيد تحرير المسألة ..
اليهود والنصارى فريقان علماء وعامة العلماء الخاصة هؤلاء عندهم علم من الله أن يعقوب والأسباط لم يكونوا يهوداً ولا نصارى وأن هذه الملل محرفة ولكنهم كتموها وأما الدهماء العامة فهم لا يعلمون عن هذا شيئاً في ظنهم أن من ذكرهم الله {إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَـقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ }كانوا ماذا{كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى } فرد الله جل وعلا على الجهلة والدهماء والعامة بقوله {أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ } ورد الله على علمائهم بقوله {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } وهذا يتحرر لك حتى العامة وإن كان يجمعهم الجهل إلا أنهم كذلك يختلفون فيما بينهم اختلافا ً كثيراً فبعض الناس يتبنى شيئا لمجرد انسجامه مع شخصيته ما هو مركب عليه يميل إلى هذا الشيء فيصنعه لأنه يجد فيه لذة يجد فيه شيئا موافقاً لطبعه ولا يصنعه ليرجو جنة أو يخاف نار بل ولا يصنعه لأنه شيء يعتقده

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

من أمثال ذلك يقولون أيام الخلاف ما بين مصعب بن الزبير و عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير الصراع السياسي في ذلك العهد رحمة الله على الجميع العرب لا يحكمهم حاكم كان هناك أناس يدينون بالملك لمصعب .. في العراق يدينون لمصعب ، في الحجاز يدينون لعبد الله ابن الزبير وفي الشام يدينون لمن؟ لعبد الملك بن مروان نجم عن هذا الصراع أن عبد الملك رجل منفق يطلب مال يعني يدفع المال والعرب تقول :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبنى ملك على جهل وإقلال

فكان يتخذ يُسمون في زماننا مرتزقة لكن ذلك الزمان تاريخاً يسمون فـُتاك .. فتاك يعنى يفتك فاتخذها فتاك العرب وبعث به لقتال مصعب بن الزبير هذا الرجل فاتك جبار فقتل مصعب ابن الزبير ثم اخذ رأسه قربان لمن؟ لعبد الملك ليس قربان تعبدي قربان مالي ، أخد رأس مصعب إلى عبد الملك بن مروان أنا أريد أن اصل للشاهد أنه ثمة أناس يصنعون شيئاً هم لا يحملون همه لكنه يوافق طبعه هذا طبعه الفتك فيحب أن يفتك فلما قدم رأس مصعبٍ (مضاف إليه) إلى عبد الملك طبعا أنت ضع نفسك مكان عبد الملك بشرت بقتل غريمك فخر ساجداً فلما خر تهيأ لمن؟ للفاتك فأراد هذا الفاتك وهو فالأصل مقرب له أن يضربه بالسيف ثم لما كتب الله من الحياة لعبد الملك تردد قليلاً ثم أعرض فقال وعبد الملك ساجد يذكر أني هممت أن أضربه

فألقيتها في النار بكر ابن وائل
وألحقت من قد خر شكراً بصاحبه

يعنى بصاحبه يعني غريمه فيقول كنت أردت أن اقتل هذا الذي قد خر شكر فألحقه بصاحبه ثم قال في مجلس له بعد الحادثة والله وددت لو أني فعلتها فأكون قد قتلت ملكـيّ العرب في يوم واحد هذا يبحث عن صيت يرتزق مدحاً يوافق طبعه موضع الشاهد من هذا كله أن الإنسان حتى في أصفيائه حتى في جلساته حتى في خلطاته حتى في طلبه العلم الذين يصطفيهم لا بد أن يكون هناك أسس في اصطفاء الناس والتعامل معهم ولا تقبل بأي أحد يكون همه هوى وتبع مجرد تكثير سواد مراد يوم لك ويوم عليك هذا لا يصلح أن يكون أحداً شخصاً تستأمنه على سر و تفيء إليه في أحدوثة أو تـُأمل عليه يوماً أو تعتمد عليه بعد الله في شيء المقصود من هذا أن العامة هم الذين خاطبهم الله جل وعلا يقول{أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ }وخاصتهم هم الذين خاطبهم الله جل وعلا {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ }وقول الله {وَمَنْ أَظْلَمُ} أي لا أحد أظلم ، وكتمان الشهادة سيأتي (إن الذين يكتمون ما أنزلن من البينات) سيأتي الحديث عنه تفصيلاً في لقاء قادم بإذن الله في موضعه ثم قال الله {وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } ثم كرر الله ما ختم به الموضع الأول من السورة بقوله {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } قال القرطبي وغيره من علماء الأمة والمفسرين قالوا أن الله كررها لتكون ابلغ في الردع والحزر حتى يعلم كل أحد أنه إذا كان أنبياء الله جل وعلا يحاسبون

فما با لك بم دونهم وأن الإنسان إذا أبطئ به عمله لمن يسرع به نسبه كما جاء في الأثر أن الإنسان أياً كانت قرابته من أحد ذو صلاح فليست بنافعة إلا أن يشاء الله إذا قصر في عمل لكن هذا لا يعني انتفاء الشفاعات يوم القيامة هذا له مكانه وله موضعه وله مقامة المعروف قال الله {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }ننتهي بهذا إلى نهاية الجزء الأول من تفسير سورة البقرة وسنشرع إن شاء الله تعالى في اللقاء القادم عند قول الله تعالى (سيقول السفهاء من الناس ...) وهي أول آية في الجزء الثاني من القرآن ومعلوم لديكم أن القرآن ثلاثون جزء وهذا من توفيق الله جل وعلا أن مّن علينا بتفسير الجزء الأول من هذه السورة المباركة المسماة بفسطاط القرآن لعظيم ما فيها من آيات و دلائل وعظات .. جملة ما مر معنا أن الله جل وعلا عظم بيته في هذا الربع وعظم بانية وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم بيّن ضلال اليهود والنصارى وهذا مهم هذا التأسيس سأبدأ به في اللقاء القادم لماذا عظم الله نبيه؟ لماذا عظم الله بانيه؟ لماذا سفه الله آراء المشركين؟ لماذا بيّن الله ضلال اليهود والنصارى؟ كل ذلك تمهيد وتوطئة لأمر عظيم سيكون بعد ذلك هو قول الله جل وعلا (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) هذا ما تيسر إيراده وتهيأ إعداده وأعان العلى الكبير على قوله وصلى الله على محمد وآله والحمد الله رب العالمين .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي



بسم الله الرحمن الرحيم
أن الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيهِ كما يُحبُ ربُنا ويرضى وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك لهُ كلمةٌ قامت عليها السماوات والأرض ولأجلها كان الحسابُ والعرض هي عمادُ الإسلام ومفتاحُ دار السلام ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله, صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه, وعلى سائر من اقتفى أثره, واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين..
أما بعد ..

في هذا اللقاءُ المُبارك نستفتحُ الحديث عن أول آيات الجُزء الثاني من كلام ربنا جل وعلا من كتابهِ العظيم قال الله وهو أصدق القائلين :

(سيقُولُ السُفهاءُ من الناس ما ولاّهُم عن قبلتهُم التي كانوا عليها قُل للهِ المشرقُ والمغربُ يهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مُستقيم)

الذي ينبغي أن تستصحبهُ وأنت تقرأُ هذهِ الآية أنّ هذهِ الآية مُقدّمة على النسخ بمعنى أنهُ إلى الآن لم يحصُل نسخ ولم يحصُل أمرٌ بالتولية عن بيت المقدس إلى الكعبة وإنّما هذهِ الآية صُدّرت في الأول قال أهلُ العلم كما نصّ عليهِ ابن سعدي رحمةُ الله عليهِ في تفسيرهِ وإنّما هذا تسلية ومُعجزة لهُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ علية **تسلية ومُعجزة لهُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ علية** **، أمّا كوُنُها مُعجزة فظاهر فإنّ الله أخبرهُ بأمرٍ لم يقع بعد ، وأمّا كوُنُها تسلية فإنّ الإنسان إذا أُخبر بما**

سيتعرض لهُ من أذى قبل أن يتعرض فهذا يجعلهُ أكثر تمكُناً من تحمُل ذالك الأذى وهذا قد يقع إمّا بالرؤى أو بوصُل خبرٍ لهُ بطريقٍ ما وهذا في حق البشر أما في حق الأنبياء فيكونُ ذالك عن طريق الوحي .

قُلنا في الدرس الماضي ونحنُ نختم لابُد أن نستصحب أن الله قال أثنى على إبراهيم وأثنى على البيت (وإذ جعلنا البيت مثابةً لناس وأمنا) وبيّن ضلال اليهود والنصارى وقبل ذالك كُلهِ قال (ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسها نأتي بخيرٍ منها أو مثلها)
كُل ذالك الذكرُ النسخ ومدحُ البيت وتعظيمُ إبراهيم وبيانُ ضلال اليهود والنصارى توطئة لما سيقع وينبغي أن تعلم أن نسخ القبلة هو أولُ نسخٍ في القرآن نسخ القبلة هو أولُ نسخٍ في القرآن ، النسخُ كان في العهد المدني وسورةُ البقرة من حيثُ الجُملة من أوائل ما أُنزل في العهد المدني ولهذا مرّ معنا أن النبي قال يوم حُنين " يا أهل سورة البقرة " لأن الأنصار كانوا فرحين بها لأنها أول ما نزل في المدينة وطبعاً آيتُها كثيرة أنا أتكلمُ عنها من حيثُ الجُملة .

فاللهُ جل وعلا يُخبرُ نبيهُ أن أمراً سيقع بنسخِ توجُهك إلى بيت المقدس إلى الكعبة ثُمّ أنظُر كيف وطّن اللهُ لهذا في نبيهِ وعند الناس حتى تنقطع الحُجج إلا الحُجج الداحضة ، فالله جل وعلا أثنى على البيت وأثنى على بانيهِ حتى بعد ذالك إذا أمر الناس بالتوجُه إليهِ كان هُناك ما يُمهّدُ لذالك الأمر الرباني نبيُكُم صلى الله علية وسلم كان يُصلي إلى بيت المقدس ثُمّ هاجر ومكث في المدينة ستةً عشر شهر تقريباً كما

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
في حديث البراء ابن عازب ثُمّ كان يُكثرُ النظر إلى السماء أدباً مع ربهِ لا يُصرّح ولا يُخفي أملاً في أن الله يُوجّههُ إلى الكعبة فأنزل الله (سيقُولُ السُفهاء) والسين للاستقبال ، والسُفُهاء لا يحسُنُ تخصيصُها يدخُل فيها المشركون واليهود والمنافقون وكُل من أعترض على تحويل القبلة .
(سيقُولُ السُفهاءُ من الناس ما ولاّهُم عن قبلتهُم)

لماذا قال الله من الناس ؟
لأن السفه يكون حتى في غير بني آدم فنقلهُ اللهُ جل وعلا من مجازةِ المُتسع إلى حقيقتهِ المُختصرة
أُعيد
السفه يكون حتى في الدواب يكون حتى في الطير لكنّ الله جل وعلا عندما قال (من الناس) نقلهُ من مفهُومهِ الواسع الذي يُمكن أن يُصطلح عليهِ أنهُ توسّع الناسُ فيها مجازاً إلى حقيقتهِ المُختصرة فالمُخاطبُ بها هُم كُلُ من أتعترض على تحويل القبلة .
(سيقُولُ السُفهاءُ من الناس ما ولاّهُم عن قبلتهُم) وإلى الآن لم يحدُث التحول (التي كانوا عليها) فأجابهُم الله (قُل للهِ المشرقُ والمغرب) معنى أنّنا نحنُ مُتعبدون بأن نعبُد الله جل وعلا كما أمر فالله جل وعلا لهُ مُلك المشرق ولهُ مُلك المغرب وليس للمشرق والمغرب تفاضلٌ في ذاتها إنّما نحنُ عبيدٌ للهِ نأتمرُ بأمرهِ .

ثُمّ قال الله : (يهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مُستقيم)
فالهداية لا تُطلبُ إلا منه .

ثُمّ قال ربُنا : (وكذالك جعلناكُم أُمةً وسطًا)
الكاف لتشبيهِ هذا قول ، وقال آخرون أنها مُقحمة زائدة والذي جعلهُم يقولون أنّها مُقحمة زائدة أنهُ لم يُذكر شيء قبلها حتى يكُون هُناك تشبيهِ لكنّ لُغة العرب تُظهرُ جواز هذا .
قال أبو تمّام :
كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمرُ
فليس لعينً لم يغض ماؤها عُذرُ

وهذا أول بيت في ماذا ؟ في القصيدة ليس قبلها شيء وإنّما على الشيء المعهود .
أي أراد (كذالك جعلناكُم أمةً وسطاً) أي كما أن للهِ المشرق والمغرب هذا المُلك التام لهُ جل وعلا بذالك المُلك التّامِ لهُ جعلكُم جل وعلا ماذا ؟ " أُمةً وسطا " وسطاً أي خياراً عدُولا ولابُد من الجمع بين هاتين الصفتين [خياراً عدولا]
العرب ــ قبل العرب ــ الناس في زماننا أول ما ينطبع و ينقدح في أذهانِهم في الوسط الطور وهذا مكمنُ الخطأ في القضية أمّا الوسط الذي ينقدح عند العرب فالشيء الذي يكُونُ في العُمق الشيء الذي يكونُ في الوسط في المُدن لا ينالهُ الأعداء إلا بعد جُهد لا يصلون إليهِ إلا بعد مرحلة لابُد أن ينتهوا من أطراف البلدة فهو مُمتنع والوسط في الوادي كمرعى لا يصلُ إليهِ الرُعاة ولا الدواب إلا بعد الأطراف فالوسطُ دائماً مُمتنع عزيز منيع هذا معنى الوسط هذا معنى قول اللهِ جل وعلا (وكذالك جعلناكُم أُمةً وسطًا) أي خياراً عُدولا لكنّ الناس الآن ينقدح في بالهم الطور فلا يجدون معنىً حقيقياً يتلذذون بهِ في خطاب كلمة وسط .

(وكذالك جعلناكُم أُمةً وسطًا لِّتكُونُوا شُهداء على الناس ويكُونَ الرسُولُ عليكُم شهيداً)

قال الشنقيطي رحمةُ الله عليهِ في أضواء البيان وطريقتهُ طريقة تفسير القُرآن بالقُرآن قال { لم يُبين هُنا متى تكونُ هذهِ الشهادة وبيّنها في النساء (فكيف إذا جئنا من كُل أُمةٍ بشهيد و جئنا بك على هؤلاءِ شهيدا يومئذٍ يودُ الذين كفروا) .. إلى آخر الآيات } فمعنى أنّ هذهِ الشهادة متى تكون ؟ تكونُ يوم القيامة تشهدُ هذهِ الأمة لأنبياء اللهِ كما جاء الخبرُ الصحيح بالشهادة لنوحٍ ويشهدُ النبيُ صلى الله علية وسلم على من ؟ على أُمتهِ بنصّ القُرآن . (لِّتكُونُوا شُهداء على الناسِ ويكُونَ الرسُولُ عليكُم شهيداً) .

ثُمّ قال الله :

(وما جعلنا القبلة التي كُنت عليها إلاّ لنعلم من يتبعُ الرسُول ممّن ينقلبُ على عقبيهِ وإنّ كانت لكبيرةً إلاّ على الذين هدى اللهُ)
هذهِ توطئة للحدث يُقال انقلب فلانٌ انقلب بمعنى عاد إلى المكان الذي كان فيهِ انقلب بمعنى عاد إلى أصلهِ فالناس قبل رسول اللهِ صلى الله علية وسلم كانوا كُفّار ولهذا قال الله (إلاّ لنعلم من يتبعُ الرسُول ممّن ينقلبُ على عقبيهِ) أي يعود إلى مرحلة إلى سابق الكُفُر .

ثُمّ قال الله (وإنّ كانت لكبيرةً إلاّ على الذين هدى اللهُ)
هُنا كبيرة ليست ما بعد الصغيرة أبداً الله لا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
يتكلّم عن آثام إنّما يتكلّم عن هذا الأمر والتشريع فيهِ شِدّة ومشقة على ماذا ؟ على النفوس أي لا تقبلهُ كُلُ نفس يعظُم ويشتد وإنّ كانت لكبيرةً في وقعها إلا على الذين هدى الله ونظيرهُ في القُرآن (وإن كان كبُرَ عليك إعراضهُم) أي عظُم وأشتد وليست كبيرة المُجاورة لصغيرة أو المُجاورة للّمم الله لا يتكلمُ عن ذنوب وإنّما يتكلمُ عن أمرٍ رباني عظيم مشقتهُ على النفوس لولا هدايةُ الله .

**قال الله (وإنّ كانت لكبيرةً إلاّ على الذين هدى اللهُ وما كان اللهُ ليُضيعَ إيمانكُم)
هذا جواب لأي شيء لتساؤلٍ وقع قبل أقوام ما بالُ من مات وقد صلّى إلى بيت المقدس فأجاب الله (وما كان اللهُ ليُضيعَ إيمانكُم) فالإيمان هُنا المقصود بهِ الصلاة وهو حُجة واضحة لأهلِ السُنة أنهُ لا إنفكاك بين الإيمان أن الإيمان قولٌ وعمل لأن الله سمّى العملِ هُنا إيماناً وعبّر بهِ عن الصلاة فقال جل شأنهُ (وما كان اللهُ ليُضيعَ إيمانكُم إنّ الله بالناسِ لرءوفٌ رحيم)
ثُمّ قال الله ــ أتت أيةُ النسخ ــ : (قد نرى) أي رُبّما يأتي لكنّها لتكثير كذا قال الزمخشري وهذا صحيح قد هُنا بمعنى رُبّما لكنّها لتكثير (قد نرى تقلُب وجهِك في السماء)وهذا من أدب نبينا صلى اللهُ علية وسلم مع ربهِ .
(فلنُولينّك) أي فلنُيسّرنّ لك ونُشرّع لك (قِبلةً ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام)
فانتقلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .
(فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام) يُراد بها الكعبة وقد قال بعضُ العُلماء
ــ وإنّ كانت هذهِ القضية لا أُحبُ أن أبحثها في هذهِ المرحلة لكنيّ سأقولها إجمالاً ــ**

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

المسجد الحرام في القُرآن يُطلق ويُراد بهِ أربعة أشياء ، المسجد الحرام أُطلق في القرآن وفي السُنة ويُرادُ بهِ أربع أشياء لكنّي لن أتكلّم على لوازم هذا القول :
يُرادُ بهِ الكعبة يُرادُ بهِ عين الكعبة .
ويُرادُ بهِ المسجد المُحيط بالكعبة .
ويُرادُ بهِ الحرم حرم ماذا؟ الحرم المكي يعني حُدود الحرم .
ويُراد بهِ الحرم وما حولهُ أي مكة ممّا يشملهُ اسم مكة ــ واضح ــ
هذهِ الأخيرة أنا أشرحها يسيراً بس
الله يقول (ذالك لمن لم يكُن أهلهُ حاضري المسجد الحرام) التكليف الفقهي الصحيح في ظنّنا أنهُ لا يُمكن أن نقول إنّ الشرائع مثلاً في مكة معلوم رأيتموها عياناً بعضُها في الحل وبعضُها في الحرم لا يُمكن أن يُقال من حيث الواقع العقلي وقد يقول قائل بأن بعضُ الفُضلاء من العُلماء والأئمة لكنّا نتكلّم بناءً على هذا التأصيل لا يُمكن أن يُقال أن من كان في الحرم ليس عليهِ طواف وداع للمُتمتع ونقول لمن لا يقع منهُ تمتُع قضية ما ذكرهُ الله جل وعلا من الهدي ونُلزم بهِ من في الشرائع ممّن هو في الحل لأن الفريق يُطلق عليهم جميعاً من أهل مكة ــ واضح ــ فكلمة (لم يكُن أهلهُ حاضري المسجد الحرام) معناها من أهل مكة ، لكن (إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهِم هذا) يُطلق على حُدود الحرم ــ واضح ــ وإن تبقى مسألة أُخرى فيها إشكال لكن نتجنّبها الآن حتى حين ــ

نعود قال اللهُ تبارك وتعالى : (فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثُ ما كُنتُم فولّوا وُجُوهكُم

شطرهُ)

لمن الخطاب في (فولّوا) ؟

للأُمة ، (فولِّ) لنبي صلى الله علية وسلم وهذهِ على غير عادة القُرآن لأن عادة القُرآن إمّا أن يُخاطب النبي وتكونُ الأُمة تبع وإمّا أن تُخاطب الأُمة ويكونُ النبيُ رأساً لكنّ لا يأتي خبر في الغالب يُذكر أمر مرة لنبي ويُذكر مرةً لكنّ الله جل وعلا قال قبلها تمهيداً (وإن كانت لكبيرةً) فلمّا كان أمراً ذا مشقة أكّدهُ اللهُ جل وعلا بهذهِ الطريقة وصاغهُ وساقهُ بهذا الأسلوب ــ واضح ــ ولهذا خُوطب بهِ النبيُ وخُوطبت بهِ الأُمة لأنهُم واجهُ عنتاً شديداً في قضية قبولهِ فالمُشركون يقولون حنّ مُحمدٌ إلى مولدهِ ، والمنافقون يقولون حنّ مُحمدٌ إلى مولدهِ ولمّا أنزل اللهُ جل وعلا الثناء على البيت وتمجيدهِ وتعظيمهِ قالوا إذا كان مُحمدٌ يُمجّدُ هذا البيت كُل التمجيد فعلاما يتوجه إلى بيت المقدس ولهذا قال الله (سيقُولُ السُفهاءُ من الناس) فهُنا خاطب الله نبيه وخاطب أُمتهُ صلواتُ الله وسلامهُ علية .

قال الله :

(فولّوا وُجُوهكُم شطرهُ وإنّ الذين أُتوا الكتاب ليعلمون أنهُ الحقُ من ربهِم وما اللهُ بغافلٍ عمّا يعملون)والمعنى أنّ أهلَ الكتاب يعلمون فيما أُنزل عليهم أن الله جل وعلا سيطلبُ من نبيهِ أن يتحول إلى ماذا ؟ إلى الكعبة اليهودُ والنصارى أهلُ الكتاب يعلمون أنّ الله جل وعلا سيطلبُ من نبيهِ التحولُ إلى الكعبة وأنّ أخر الأمر ستكون التوجُهُ لكُل من آمن باللهِ إلى الكعبة .

روى البغويُ رحمهُ الله تعالى في شرح السُنة عن ابن عباس رضي اللهُ تعالى عنهُ أنهُ قال [الكعبةُ قبلةُ من في المسجد الحرام ، والمسجدُ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الحرام قبلةٌ لأهل الحرم ، والحرمُ قبلةٌ لأهل المشرق والمغرب]
أُعيد
ذكر البغويُ في شرح السُنّة ـ شرح السُنة كتب حديث ـ عن ابن عباس رضي اللهُ تعالى عنهُما أنهُ قال [الكعبةٌ قبلةٌ لمن كان في المسجد ، والمسجدُ الحرام قبلةٌ لأهل الحرم ، والحرمُ قبلةٌ لأهل المشرق والمغرب] وقد أتفق المسلمُون على أنهُ التوجهُ للكعبة للقبلة شرطٌ من شرُوط صحة الصلاة وإذا أخرجنا حالات الاضطرار كالمرض الذي لا يستطيعُ أن يتوجه يُستثنى من هذا حالتان ــ قُلت حالتان بالرفع لأنها نائب فاعل من يستطع ــ :
الحالة الأُولى :
حال القتال فما قبلةُ المُقاتل من جهة العموم ؟
ـ سآتي بالثانية حتى تصل أنت ومن يسمعُوني ويُشاهدُني إلى الأُولى ــالحالة الثانية :
حالة من يتنقّل على ظهر دآبة ، فمن يتنقّل على ظهر الدابة أين قبلتهُ ؟ حيثُ ما توجّهت بهِ دابتُهُ قبلة من يتنقّل في سفر عن الجمهور عند ابن حزمٍ حتى في داخل المُدن لكنّ قول الجمهور هو الصحيح ، من يتنقّل على دابتهِ في سفر فقبلتهُ أين حيثُ ما توجّهت بهِ دابتهُ .
ــ أعود الآن ــ المُقاتل المُسايف بالتحديد قبلتهُ حيثُ جهةُ ماذا ؟ جهةُ أمنهِ أي وجهِ يغلبُ عليهِ انهُ يأمن بها أصبحت هي جهةُ قبلتهِ كما أن الدابة حيثُ ما توجّهت هي قبلةُ من يُصلي عليها مُتنفّلاً . ــ واضح أظُنّهُ ظاهر إنّ شاء الله .
قال الله (وحيثُ ما كُنتم فولّوا وُجُوهكُم شطرهُ وإنّ الذين أُتوا الكتاب ليعلمون أنهُ الحقُ من ربهِم وما اللهُ بغافلٍ عمّا يعملون).

ثُمّ قال
(ولئن أتيت الذين أُتوا الكتاب بكُل أية ما تبعُ قبلتك)
فلا تطمع في أن يتبعُوها لأنهُم لو أتبعُوها تركوا دينهُم وهم ما أصبحُوا يهوداً ولا نصارى
(وما أنت بتابعٍ قبلتهُم)
والمعنى إذا كان هؤلاء الذين على الباطل يأنفون أن يتبعُوك فأنت وأنت على الحق أشدُ أنفةً من أن تتبعهُم
(وما بعضهُم بتابع قبلة بعض)
لأن الخلاف بينهُم خلافٌ عقدي وهم قد تتشابك مصالحهُم وتلتقي خطوط رضوانهُم لكنّهُم في المسائل العقدية مُختلفون خبر لكنّ ، لكن المقصُود قال اللهُ :
(وقالت اليهُودُ ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهُودُ على شيءٍ وهُم يتلون الكتاب ولئن اتبعت أهوائهُم من بعد ما جاءك من العلم إنّك إذاً لمن الظالمين)
هذا ليس المقصُود النبي صلى الله علية وسلم ظاهراً إنّما علم اللهُ أزلاً أنّ نبيهُ لن يقع منهُ هذا الشيء أبدا لكنها أسلوب تخويف وترهيب لكُل من استبان لهُ شيء من الحق ثُمّ أعرض عنه .

قال الله جل وعلا بعدها : (الذين أتيناهُم الكتاب)
هذهِ واضحة .
(يعرفُونهُ)
أي النبي صلى الله علية وسلم .
(كما يعرفون أبناءهُم)
وقولُهُ جل وعلا أبناءهُم قرينة على أن المقصُود معرفة من ؟ معرفة النبي صلى اللهُ علية وسلم لما شاع من ذكرهِ عليهِ الصلاةُ والسلام في

الكُتب المُتقدّمة .
(وإنّ فريقاً منهُم)
أي من أهل الكتاب
(ليكتمُون الحق وهُم يعلمون الحقُ من ربّك)
ظاهرُ الأمر عندي أن الحقُ هُنا المقصُودُ بهِ أن القبلة التي أمرّناك بإتباعها هي ماذا ؟
هي الحق الدليلُ عليها أن الله قال (الحقُ من ربّك فلا تكوُننّ من المُمترين) لأن النبي صلى الله علية وسلم لا يشُكُ في نفسهِ وإنّما الخطابُ هُنا خطاب زيادة في التأكيد لأن الموضوع كما قُلت كان كبيراً جداً كما بيّنهُ الله .
ثُمّ قال الله (ولكُلٍ وجهةٌ)
وهذهِ الوجهة من حيث الصناعة النحّوية على غير القياس أصلُها جهة كما تقولُ في وعدٍ عدة وفي وصلٍ صلة أمّا وجهة فهي مأخوذة من وجه فالأصلَ أن تكون جهة تُحذف الواو قياساً لكنّها أُبقيت قيل لتأكيد الأمر والعلمُ عند الله .
(ولكُلٍ وجهةٌ هو موليها)
على ماذا يعود الضمير هو ؟
لا يعودُ على لفظُ الجلاله يعود على لفظ كُل والمعنى لكُل أحدٍ وجهة هو موليها نفسُهُ .
أُعيد
والمعنى لكُل أحدٍ وجهة هو موليها نفسُهُ يعني أختارها على بيّنةٍ من نفسهِ اليهُود توجهُ إلى هذا الأمر على قناعاتٍ عندهُم ، والنصارى توجّهُ إلى المشرق على قناعاتٍ عندهُم وهكذا غيرهُم .
ثُمّ أمر اللهُ نبيهُ وسائر المؤمنين أن ينصرفُ من هذا الخلاف إلى العمل فقال :
(فاستبقُوا الخيرات)
أي سارعوا في الطاعات ونافسُوا فيها .
ثُمّ ذكّرهُم بيوم الوعيد :
(أينما تكُونُوا يأتِ بكُم اللهُ جميعاً إنّ الله على

كُل شيءٍ قدير) .
ثُمّ عاد وكرّر مسألة أهمية موضوع القبلة قال (ومن حيثُ خرجتَ فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وإنّهُ للحقُ من ربك وما اللهُ بغافلٍ عمّا تعملون)
(ومن حيثُ خرجتَ فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام)
قال صلى اللهُ علية وسلم فيهِ أي في المسجد الحرام أن ذكر الكبائر قال والبيت يعني الفساد في البيت الحرام قبلتِكُم أحياءً وأمواتا فجعل اللهُ هذا البيت قبلة لناس أحياءً وأمواتا .
(وحيثُ ما كُنتُم فولّوا وجوهكُم شطرهُ لئلا يكون لناسِ عليكُم حُجةٌ إلا الذين ظلموا منهُم فلا تخشُوهُم وأخشونِ ولأُتمّ نعمتي عليكُم ولعلّكُم تهتدون)
أكثر ما يبحثُ العُلماء هُنا الاستثناء في قول اللهِ جل وعلا (لئلا يكون لناسِ عليكُم حُجةٌ إلا الذين ظلموا منهُم)
هل هو استثناء مُنقطع أو هو استثناء مُتصل ؟
والمعنى من حيثُ الجُملة واحد أي أن منّ لم يملك حقاً فلا سبيل إلى إرضاءهِ ، من لا يبحثُ عن الحق لا سبيل إلى إقناعة وإرضاءه لكن رجّح شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمةُ الله أن الاستثناء هُنا استثناءٌ مُتصل
ـ تفصيلُ ذالك يا بُني أن تعلم التالي :
الحُجة في القُرآن وردت بمعنيين :
الحُجة بمعنى الحق وهي الحُجة الصحيحة الواضحة البيّنة وهذهِ منها قولُ الله (وتلك حُجتُنا أتيناها إبراهيم على قومهِ) ويُحملُ عليها قولُ اللهِ أيضا (قُل فللهِ الحُجةُ البالغة) الحُجة البالغة أي الواضحة الصحيحة التي لا ريب فيها .
المعنى الثاني :

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
الحُجة بمعنى الجدال سواءً كان بالحق أو بالباطل ومنهُ قولُ اللهِ جل وعلا : في الجاثية مثلاً (وإذا تُتلا عليهِم ءاياتنا بيّناتٍ ما كان حُجّتهُم إلا أن قالُوا أئتوا بأبئنا إن كُنتُم صادقين) فالمقصودُ بها أنها حُجة باطلة وإن ذُكرت على أنها حُجّة .
قال اللهُ جل وعلا :
(ومن حيثُ خرجتَ فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثُ ما كُنتُم فولُّوا وجوهكُم شطرهُ لئلا يكون لناسِ عليكُم حُجةٌ إلا الذين ظلموا)
وكونُهُم ظالمين قد يُخشى أذاهُم فلمّا يُخشى أذاهُم علّق اللهُ أولياءهُ بهِ فقال جل وعلا (فلا تخشُوهُم وأخشونِى ولأُتمّ نعمتي عليكُم ولعلّكُم تهتدون * كما أرسلنا فيكُم رسولا)الكاف لتشبيه لكن اختلف العُلماء في مُتعلّق الكاف هُنا فبعضهُم جعلها فيما قبل وبعضهُم جعلها فيما بعد .
فالذين قالوا فيما بعد أصبح المعنى عندهُم فاذكرُوني كما أرسلنا فيكُم رسولا ، فاذكروني الآية التي بعدها كما أرسلنا فيكُم رسولا وهذا أبعد .
والراجح أنها مُتعلّقة بما قبلها لأُتمّ نعمتي عليكُم كما أرسلنا كما أرسلنا فيكُم رسولا يُصبح ما المعنى ؟
المعنى قد يتضح لك الآن :. في نعم أصلية ، ونعم مُتمّة لنعم الأصلية . نعم ماذا ؟ نعم أصلية ، ونعم مُتمّة لنعم الأصلية .
فالنعمة الأصلية أن بعث فيكُم رسول يهديكُم إلى دين الحق والنعمة المُتمّة لنعمة الأصلية أن هديتكُم إلى أن تتوجهُ إلى ماذا ؟ إلى الكعبة فاللهُ يقول إتمام النعمة هذهِ التي هي التحولُ والتوجُهُ إلى الكعبة ليست ببدع من الإنعام

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
والإحسانِ مني إليكُم فقد سبق مني إحسانٌ قبلُ وهو ماذا ؟ إرسال الرسُولِ ــ واضح ــ فتُصبح (ولأُتمّ نعمتي عليكُم ولعلّكُم تهتدون كما أرسلنا فيكُم رسولا).
وبعضُ العُلماء كما ذكرهُ ابنُ الأنبال وهؤلاءِ ممّن يغلبُ عليهم الصنعة النحوية قالوا حتى تصحّ أن تكون صفةً من مصدرٍ محذُوف والمعنى لعلّكُم تهتدون اهتداءً كما أرسلنا فيكُم رسولا وهذا من حيثُ الصناعة النحوية كما قُلت مُمّكن لكنّهُ من حيثُ المعنى والعلمُ عند الله بعيد .
(يتلوا عليكُم ءاياتنا ويُزكيكُم ويُعلّمكُم الكتاب والحكمة ويُلّمكُم ما لم تكونُ تعلمُون فاذكروني أذكُركُم واشكُروا لي ولا تكفرُون)
الذكرُ رأس الشُكر فيكونُ ذكرهُ هُنا وعطفُ الشُكرِ عليهِ من باب عطف العام على الخاص وقولُ الله جل وعلا (ولا تكفُرُون) قرينة على أن المقصُود كُفر النعم لأنه ذكر الشُكر قبلها .
ثُمّ قال ربُنا : (يا أيُها الذين ءامنوا استعينُوا بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصابرين)مرّ معنا كثيراً أنّ الصبر والصلاةَ قرينان في كلام اللهِ .
الصبرُ من أنواعهِ ماذا يا بُني ؟
الصبرُ على الطاعات ومن أعظم الطاعات التي تحتاجُ إلى مشقة ماذا ؟ الجهاد من أعظم الطاعات التي تحتاجُ إلى مشقة الجهاد فلمّا ذكر اللهُ جل وعلا (إنّ الله مع الصابرين) ذكر مشقةً تحتاجُ إلى صبر وهي القتالُ في سبيلِ اللهِ فقال : (ولا تقُولوا لمن يُقتلُ في سبيل اللهِ أموات بل أحياءٌ ولكن لا تشعرُون)
الآن أنخ المطايا
الإنسان العاقل لا يُفرّط في محبوب إلا إذا وُجد شيء أعظم منه والحياة محبوبة لكُل أحد فأنت لماذا تكُد في العيش ، لماذا تشربُ الدواء ، لماذا

تبني شيء يكُنّك عن البرد والحر ، كُلهُ لتُبقي على حياتك ، لماذا تأكُل حتى تبقى حياً أنت لا تحيى لتأكُل إنما تأكُل لتحيى ومع ذالك يُطلب منك شرعاً أن تهب نفسك للهِ فتُفرّط في ذالك المحبوب الذي هو حُبُ الحياة والذي أنت تكُدُ من أجل بقاءك وتمنعُ عن نفسك ما يُؤذيك لكنّ تفريطك في هذا المحبوب الذي هو الحياة لم تصنعهُ إنّ كُنت مُؤمناً إلا لمحبوبٍ أعظم وثوابٍ أجزل وهو ما عند الله الذي أثبتهُ اللهُ بقوله : (ولا تقُولوا لمن يُقتلُ في سبيل اللهِ أموات بل أحياءٌ ولكن لا تشعرُون) فهُم يفيئون إلى قناديل مُعلّقة في ظل العرش يشربون من أنهار الجنة وسيأتي الحديث عن الشُهداء تفصيلاً في سورة آل عمران التي حوت ذكراً كثيراً للقتال .

هذا أمرٌ نستصحبهُ لماذا ذكر اللهُ الجهاد بعد قولهِ (إنّ الله مع الصابرين) .

ثُمّ قال الله :

(وليبلُونّكُم بشيءٍ من الخوف والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفُسِ والثمرات وبشّر الصابرين)

هذا الابتلاء يكُونُ للأفراد ويكُونُ للأُمم ويكُونُ للمُجتمعات واللهُ جل وعلا مضت سُنّتهُ واقتضت حكمتهُ ومضت كلمتُهُ أن الناس يُبتلون تمحيصاً ليُميز الصابر من الجازع والمُؤمن من الكافر أمّا أنواعُ البلاء تختلف وقد وقع الابتلاء حتى في خير القرُون فالنبيُ علية الصلاةُ والسلام حُصر وزُلزلوا زلزالاً شديداً ، وفي عهد عُمر كان زمنُ الرمادة وغيرُ ذالك من الابتلاءات التي تمرُّ بالمُسلمين على مستوى الأُمم وعلى مستوى الأفراد يُبتلى الإنسان بفقد مالهِ ، بفقد أهلهِ ، بفقد ذويهِ، بفقد قرابتهِ ، وهذا أمرٌ مُستفيض لا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يحتاجُ إلى بيان ثُمّ عند تلقى البلاء تعبّد اللهُ عبادهُ الصالحين بأن يقولوا (إنّا للهِ) مُلكٌ لهُ عبيد لا حول لنا فننتصر ولسنا بُراء فنعتذر ولا قوة لنا إلا باللهِ وهو ربُنا يفعلُ بنا ما يشاء (وإنّا إليهِ راجعُون) أي مُنقلبُنا إليهِ فيثيبُنا إنّ صبرنا ويُعاقبُنا إنّ جزعنا إلا أن يرحمنا هذا المعنى الحرفي (إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعُون) فيهِ مُنتهى التسليم لرب البريات جل جلالهُ هذهِ الكلمة يُقال أن الأنبياء من قبل لم يكُونُوا يعلموها لو كانت شائعة بينهُم لقال يعقوُب إنّا للهِ وإنّا غليهِ راجعُون ولم يقُل واأسفا على يُوسُف وقد وردت ألفاظ ليس فيها ما نعلمهُ صحيحٌ سندا لكنّ العقل لا يمنعُها وهي أنها كلمة أختص اللهُ بها هذهِ الأُمة .

ثُمّ قال اللهُ : (أُولئك عليهِم صلواتٌ من ربهِم ورحمة وأُولئك هُم المُهتدون)

الصلواتُ هُنا أي رفعُ الدرجات ، والرحمة أي غُفران الذنُوب (وأُولئك هُم المُهتدون) أي عرفوا الطريق الحق فلزموه ، وما كانوا ليهتدوا لولا أن هداهم الله ، وهذا كله يبين أن الإنسان في طريقه إلى الله تمر به النوازل والابتلاءات ، فينبغي أن يوطن المرء نفسه على التعلق بالله ، وكلما عظم في القلب اليقين بأن العبد عبد لله

واللهُ ربهُ يحكُم فيهِ ما يشاءُ ويفعلُ فيهِ ما يُريد سهُل عليهِ بعد ذالك أن يتقبّل ذالك البلاء .

قال الله :

(إنّ الصفا والمروة من شعائرِ اللهِ فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جُناح عليهِ أن يطوّف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكرٌ عليم)

إيضاحات يسيرة حولها

الجُناح في اللُغة يا بُني الميل لكنّهُ أُصطلح على

أن يُقال في الميل إلى الإثم ، الجُناح في اللُغة الميل (وإنّ جنحوا لسلم فاجنح لها) أي مل إليها .
لكنّهُ أُصطُلح على أن يُقال غالباً في ماذا ؟ في الميلِ إلى الإثم .
الصفا والمروة جبلان يجمعان الصفا على صفي والمروة على مرُ بينهُما سعت هاجر أُمُ إسماعيل ثُمّ تعبد اللهُ الناس بهما . لكن قبل الإسلام كثُر وضعُ الأصنام عندها فكان أكثرِ ما تُعبد الأصنام عند الصفا والمروة فلمّا منّ اللهُ على المُسلمين بالإيمان تحرّجُ أن يأتوا إلى مكانينِ عُرفا بماذا بأنهُما مظنّة وجود أصنامٍ فرفع اللهُ ذالك الحرج بقوله (فمن حجّ البيت أو اعتمرَ فلا جُناح عليهِ أن يطوّف بهما) ورفعُ الحرج هُنا لا يتعلّقُ بهِ حُكمٌ شرعي بمعنى لا يُفهم من هذهِ الآية هل السعي واجب أو رُكُن أو سُنة لا يُفهم من هذهِ الآية إنّما الآية إنّما جيئت في دفعِ ذالك الحرج الذي كان يخافهُ الناس من المُسلمين أن يُعيدُوا شيءٍ قد سبق في خلدهِم وذكراهُم أنهُ مظنّة عبادة أصنام لكنّ قول اللهِ جل وعلا : (فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جُناح عليهِ أن يطوّف بهما) قرينة ظاهرة أنّ السعي عبادة لا تُؤدى بمُفردها لا تُؤدى بمُفردِها نافلةً فكما يُوجد طواف نافلة بمُفردةٍ مُنفكاً عن الحجِ والعُمرة لا يقعُ السعيُ مُنفكاً عن الحج والعُمرة لأن النبي صلى الله علية وسلم لم يسعى حالة إنفراد مُنفكة عن حجٍ أو عُمرة وطاف صلى اللهُ علية وسلم طوافاً مُنفكاً عن حجِ وعُمرة والآية واضحة (فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جُناح عليهِ أن يطوّف بهما ومن تطوع) أي زاد (خيراً) أي من حجٍ أو عُمرة (فإن الله شاكرٌ عليم)
ومن طرائقِ معرفةِ شُكر اللهِ جل وعلا واللهُ من

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أسمائهِ الشاكر والشكور أنهُ جل وعلا يُثيبُ على العملِ اليسير بالجزاء العظيم من تقرّبِ غليهِ شبراً تقرّب غليهِ ذراعا ، من ترك شيئاً للهِ عوضهُ اللهُ خيراً منه هذا معنى (فإن الله شاكرٌ عليم) من معانيها .

دلّت الآيةُ كذالك (إنّ الصفا والمروة من شعائر اللهِ)

أي من أعلام دين اللهِ أُشعر الشيء يعني أُعلم ، والصفا والمروة من أعلام الدين وتعظيمُ شعائر اللهِ قُوت للقلُوب قال اللهُ جل وعلا (ذالك ومن يُعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلُوب)

هذا ما يُمكن أن يُقال حول قول اللهِ جل وعلا (إنّ الصفا والمروة من شعائر اللهِ فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جُناح عليهِ أن يطوّف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكرٌ عليم)

وهذان مكانانِ من الحرم تعبّدنا اللهُ بأن نسعى بينهُما على أنهُ يتعلّق بهذا فائدة أُخرى تُنهي بها الدرس وهي أن البدعة من أقسامها أنها بدعة نوعانِ بدعةٌ ذاتُ نوعين :

بدعة ليس لها أصلٌ شرعا بدعة ليس لها أصل شرعي

وبدعةٌ لها أصلٌ شرعي عبادة لها أصل شرعي فجيء بها على وجهٍ غير الذي جيء بهِ الشرع فتُسمّى كذالك بدعة هذا تقسيم عام سنأتي بمثال لكلا الحالتين :

لو جاء إنسان فصام مثلاً قال أنا أصوم من مُنتصفـ النهار إلى مُنتصفـ الليل فنقول هذهِ العبادة ليس لها أصلٌ في ماذا ؟ ليس لها اصلٌ في الشرع .

أمّا الحالة الثانية فمثلاً لو جاء إنسان الآن أنا هُنا مثلاً أهلُ الرياض يتنزّهُون في الثمامة كمثال ويُوجد في كُلُ بلدٍ مُتنزّه لأهلهِ فلو جاء إنسان

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وقال نقف في الثمامة يوم كذا نتعبدُ الله جل وعلا فيهِ فجئت أنت نهيتهُم قُلت هذا بدعة فقالُ لا تثريب سنقف في هذا اليوم لكن في عرفه في غير اليوم التاسع ماذا نقول ؟
نقول إنّ الوقوف في عرفة لهُ أصل في الشرع لكنّهُ جاء في الشرع على وجهٍ مخصُوص وهو اليوم التاسع ففعلُك إياه في غير اليوم التاسع يُسمّى بدعة لماذا قُلنا هذهِ الأمثلة وقسّمنا البدعة لأنّ الله قال (فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جُناح عليهِ أن يطوّف بهما) فجعل اللهُ السعي لهُ وجه مخصُوص وهو إمّا أن يكون مُلتصقاً بحجٍ أو مُلتصقاً بعُمرة فالإتيانُ بالسعي وإنّ كان لهُ أصلٌ في الشرع فالسعي لهُ أصلُ في الشرع لكنّه إنّ لم يكُن مُلتصقاً بحجٍ أو عُمرة فيُعدُ هذا العملُ بدعة غير مقبولة .
اختلف العُلماء في السعي بين الصفا والمروة ما حُكمُهُ والآية لا تدلُ لقول أحد لأن قُلنا أُريد بها دفع الحرج ورفعُهُ
قال بعضُ العُلماء إنهُ رُكُن وهذا مذهبُ الشافعي وحُجّتهُ أن النبي صلى اللهُ علية وسلم قال { إنّ الله كتب عليكُم السعي فاسعوا }
وقال آخرون بسُنيّتهِ ، وقال آخرون بوجوبهِ وتفصيلُ ذالك في كُتب الفُقهاء وهذا درسُ تفسير والمُستفتي على دين مُفتيهِ ..

هذا ما تيسر إيرادُهُ وأعان اللهُ جل وعلا على قولهِ في هذا اللقاء المُبارك وانتهينا فيهِ إلى أول الرُبع الثاني من الجُزء الثاني وهو قولُ اللهِ جل وعلا (إنّ الصفا والمروة من شعائر اللهِ)
بارك اللهُ لنـــــــــــــــا ولكُم في ما نقولُ ونسمع ونفعنــــــــــا اللهُ وإياكُم بما علّمنا وعلّمنــــــــــا ما ينفعُنا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
وصلى اللهُ على مُحمدٍ وعلى آله والحمدُ للهِ رب العالمين ...
والسلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركـــــــــــــــاتهُ
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه كما يُحبُ ربُنا ويرضى وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له خالقُ الكون بما فيهِ وجامعُ الناس ليومٍ لا ريب فيهِ وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمدً عبدهُ ورسولهُ صلى الله علية وعلى آلهِ وأصحابهِ وعلى سائرِ من اقتفى أثرهُ واتبع منهجهُ بإحسانٍ إلى يومِ الدين .
أما بعد ....

فهذا لقاءٌ مُبارك نستكملُ ونستأنفُ فيه ما كُنّا قد تكلّمنا عنه في سورة البقرة وانتهينا في اللقاء الماضي إلى قول اللهِ جل وعلا
(إنّ الصفا والمروةَ من شعائرِ اللهِ فمن حج البيتَ أو أعّتمر فلا جُناح عليهِ أن يطوّف بهِما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكرٌ عليم)
أما اليوم فسنبدأُ بقول اللهِ جل وعلا :
(إنّ الذين يكتمُون ما أنزلنا من البينات والهُدى من بعد ما بينّاهُ لناس في الكتاب أولئك يلعنهُم الله ويلعنهُم ألاّعنُون)

قال أهلُ العلمُ رحمهُم الله في بيان هذا أن أصل سبب نزول هذهِ الآية :
أنّ نفراً من الصحابة ذهبوا إلى أحبار اليهود ويسألونهُم عن وصف رسول الله صلى الله علية وسلم وما جاء عنهُ صلواتُ الله وسلامهُ عليهِ في التوراة وكان أولئك الأحبار يعلمون ذالك جيداً . وقد مرّ معنا قول الله جل وعلا (الذين ءاتيناهُم الكتاب يعرفُونهُ كما يعرفون أبنائهُم) وقُلنا أن

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

هذا عائد على النبي صلى اللهُ علية وسلم إلا أنّ أُولئك الأحبار كتموا ذالك العلم الذي علّمهُم اللهُ جل وعلا إياها وأبانهُ لهُم جل وعلا في التوراة فأنزل قوله : (إنّ الذين يكتمُون ما أنزلنا من البينات والهُدى من بعد ما بيتّاهُ لناس في الكتاب) ولهذا ذهب بعضُ العُلماء أنّ المقصود بالكتاب هُنا التوراة والصوابُ أن يُقال إنّ أولها عن التوراة وأخرُها في القُرآن وليستُ الآيةُ محصورةً في فرقةٍ بعينها فكُلُ من كتم علماً دخل في الوعيد الذي تظمّنهُ الآية والأصلُ في ذالك أنّ الله جل وعلا أحيا الناس و أحيا قُلُوبهُم بالعلم الشرعي فإذا أُعطيَ أحد وأُتيَ علماً شرعياً فبخل بهِ على الناس وكتمهُ فإنّما تسبب في موات الناس وإفسادهِم وهذا مُستحقٌ للّعنة .

والعربُ أصلاً في سنن كلامها اللّعن هو الذنب والطرد والإبعاد لكنّهُ في عُرف الشرع : الإبعادُ عن رحمة اللهِ

أنما كُلُ شيءٍ يدعوا إلى وصفهِ بالقبيح كانت العربُ تُسميهِ لعناً فكانوا يُخاطبون مُلوكهُم ووجهائهُم بقولهِم [أبيت اللّعن] أي لا تفعلُ فعلاً تستحقُ عليهِ اللّعن وإنّما أنت تفرُّ عنه تفرُّ عن كُل سببٍ موجب لذمّك وقدحك وشينك على هذا خاطبَ اللهُ جل وعلا هؤلاء الناس لكنّ الفرق ما بين لعنةِ اللهِ غيرُ لعنةُ الخلق وما بين ما يُعيّرُ بهِ الناس من باب العُرف والتقاليد ليس كما يُعيّرون بهِ من باب الشرع وما أخبر اللهُ جل وعلا بهِ وكتمانُ العلم من أعظم الإفساد في الأرض ولهذا أبو هُريرة رضي اللهُ تعالى عنه وهو راويةُ الإسلام الأول لمّا كان يُكثر في نقلِ الأحاديث عن النبي صلى الله علية وسلم ونشأ في عصرهِ جيلٌ لا يعرفونهُ حق المعرفة وقالوا

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أكثر أبو هُريرة على رسول الله صلى الله علية وسلم قال رضي اللهُ عنه وأرضاه { تقولون أكثر أبو هُريرة على رسول اللهِ صلى الله علية وسلم اللهُ الموعد } أي القيامة بيني وبينكُم و أيُما الله لولا آيةُ في كتاب اللهِ ما حدّثتُ أحداً بشيءٍ أبدا ثُمّ تلا هذهِ الآية (إنّ الذين يكتمُون ما أنزلنا من البينات والهُدى من بعد ما بيّناهُ لناس في الكتاب أولئك يلعنهُم الله ويلعنهُم ألاّعنُون)

ثُمّ تأمل أيُها الأخ المُبارك سنن الله جل وعلا في خلقهِ كيف تتقابل ؟

أما كيف تتقابل على التالي :

فإنّ العالم الذي ينشُر علمهُ ويدعوا إلى الخير ويُعرّفُ الناس بربهِم تبارك وتعالى يُصلي عليهِ كُلُ أحد ويستغفرُ لهُ حتى الحوت في بحرهِ مُقابل هذا من أوتي علماً وكتمهُ ولم يُبينهُ لناس وأوقع الناس فيهِ ضلالٍ مُبين دون أن يسعى في إخراجهِم مما هُم فيهِ كما الأول يُستغفر لهُ فهذا يُلعن قال اللهُ جل وعلا : (أولئك يلعنهُم الله ويلعنهُم ألاّعنُون) وكلمة ألاّعنُون عامة ولم تُحدد وقال بعضُ العُلماء كما هو طريقة الشنقيطي في التفسير:

أن ما بعدها أن الله قال : (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .، لكن الصواب أن يقال : إن كل من يتضرر من كتمان العلم هو مندرج في لعن من كتم ذلك العلم

وهذا في ظني أصوب ما يمكن أن يقال في هذه المسألة ....

ثم قال الله ـ جل وعلا ـ :

(إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)

الآن ثلاثة أفعال كلهن واقعة في صلة الموصول (تابوا ، وأصلحوا ، وبينوا)
(تابوا) بمعنى أقلعوا عن الذنب ، الذي هو هنا الكتمان ...
(وأصلحوا) عزموا أن لا يعودوا إليه مرة أخرى ....
(وبينوا) أظهروا ما كان قد كتموه من العلم ....
فإذا قد وقع منهم هذا ، فإن الرب ـ جل جلاله ـ لسعة رحمته وعظيم فضله يقول : (فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)

*** ثم قال ربنا :**
(إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) فقول ربنا (وماتوا وهم كفار) هذا قيد لا ينبغي اطـّـراحه ، فالعنة لا تكون لازمة لأحد ولو كان متلبسـًا بالكفر حتى يموت على الكفر ، لأن الله قال في قيده : (وماتوا وهم كفار) ، لكن هذا لا يعني أنه لا يجوز لعنهم وهم أحياء ،
والفرق بين الأمرين :

أننا لا نقول أننا يائسون من إيمانه ، أو أننا نحكم عليه أنه مطرود من رحمة الله ، حتى يموت على الكفر ، أما اللعنة العارضة فقد قال السلف ـ كما روى مالك في الموطأ عن أحدهم ـ : (إني أدركت الناس وهم يلعنون الكفرة في رمضان) ، وقد قال البعض : إن هذا من حيث العموم لا من حيث التعيين ....

وللحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ كلام في الفتح دقيق في هذه المسألة وهو : (أن الأصل أنه

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

مادام جاز قتاله يجوز لعنه) ، فلعنه من باب طرده وإبعاده وذمه لا بأس ، أما الحكم عليه أنه في النار ، أي بمعنى اللعن العام بأن الله قد طرده من رحمته وأقصاه من ذمته ، فهذا لا يحكم عليه حتى يموت وهو كافر وهو معنى قوله ـ جل وعلا ـ : (وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)
ومما يدل على صحة هذا الرأي ما بعده (أجمعين ** خالدين فيها ....) وهذا الخلود لا يكون إلا بعد الموت على الكفر ، لكن قد تكون هناك لعنة دون اللعنة العامة الكبير وهي (الطرد عن رحمة الله) ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غلظ في مسألة اللعن وقال : (لا تصحبنا ناقة ملعونة) ولما صلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالناس صلاة الاستسقاء ثم حذرهم ووعظهم .. ، بعدها أمر النساء أن يتصدقن ، وقال لهن :" إنكن أكثر أهل النار " قلن : " يا رسول الله بما ذاك ؟! " فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إنكن تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير " ....
فقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (تكثرن اللعن) دليل على أن الإكثار من اللعن من سخط الله ـ جل وعلا ـ وعذابه ـ أعاذنا الله وإياكم منه ـ ، والعاقل لا يعوّد نفسه على مثل هذا
....
(لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون)
(ينظرون) هنا بمعنى يمهلون ، لأنه لا إمهال في الآخرة ، كان الإمهال في الدنيا وقد فات بموتهم على الكفر ...

ثم قال الله ـ جل وعلا ـ : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)
ينيخ المرء هنا مطاياه حتى ينظر في بديع

محاسن التأويل

الشيخ صالح مغامسي

القرآن كيف يتصل أوله بآخرة ...

لما حذر الله ـ جل وعلا ـ من كتمان العلم ، ذكر جل وعلا بعدها أعظم علم ينبغي أن يظهر للناس وهو (توحيده ـ جل جلاله ـ ، والتعريف به ـ تبارك وتعالى ـ فقال معرفا بذاته العلية ، مبينا أعظم علم ينبغي أن ينشر قال الله : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)

مرّ معنا تفسير (الرحمن الرحيم) في سورة الفاتحة

(لا إله إلا هو)

كلمة من أجلها خلق الله السماوات والأرض ، ومن أجلها كان الحساب والعرض ، ومن أجلها يُحشرُ العباد ، ومن أجلها جرّد مُحمدٌ وأصحابه سيوف الجهاد ، ومن أجلها أُقيمت الحُجج والبراهين ، ومن أجلها تُنصب يوم القيامة الموازين .

قال علية الصلاة والسلام " من كان أخر كلامهِ من الدُنيا لا إلهِ إلا الله دخل الجنة "

أولُها نفيٌ وأخرُها إثبات ، أولُها جُحُود وأخرُها إقرار

ويُروى عن بعض المتصوفة ممّن علق بهِ شيءٌ من التصوُّف كالشدي رحمهُ الله كان يقول لا أقولها إذا سُؤلِ عن اللهِ يقول الله فيُقال لهُ قيلها فيقول ورعاً مذموماً يقول أخشى أن أقول أبدأ بالجحُود فأموت دون أن أصل إلى الإقرار أخافُ أن أبدأ بالجحُود يقول لا إله ثُمّ أموت قبل أن أقول إلا الله .

قال القُرطبيُ رحمهُ الله مُعلّقاً على كلامهِ : قال { هـــــــــــــذا من علُومهم الدقيقة التي ليست لها حقيقـــــــــة }

لأن الله جل وعلا تعبّدنا بهذهِ الكلمة وذكرها مراراً في كتابهِ العزيز ووعد عليها الثواب

العظيم والله أرأف وأرحم وأعدل من أنّ عبداً أراد أن يقول لا إلهِ إلا الله وهو مؤمنٌ بها قائمٌ بالعمل بها عارفٌ بلوازمها ثُمّ قال لا إله وأدركهُ الموت وماتِ فُجأةً أن يدخُل النار هذا من أهل الجنةِ قطعاً فاللهُ جل وعلا حكمٌ عدلٌ وربٌ ذو فضل لكن كما قال القُرطُبي رحمةُ الله عنهُم " هذا من عُلُومهم الدقيقة لكنّ من العلم الذي ليس لهُ حقيقة وأيُ علمٍ تُريد لهُ أن يثبُت نبّش عنه وكثير من الأشياء يا بُني لا تغُرّنّك بادىء الرأي فتزدلف إليها وأنا أكثرتُ من القول في الشيعة لكن الشيعة يأتون مثلاً في مقتل الحُسين ابن علي وهو مُصيبة ويقولون : أيُ قُلوبٍ قاسيةٌ لكُم أنتُم تبكون على موت آباءكم وأُمهاتكُم وهذا حقّ يحصُلُ منّا فكيف تأتون بسبط رسول الله وسيدِ شباب أهلِ الجنة ، والنبيُ صلى اللهُ علية وسلم كان يُحبهُ ويضعهُ على فخذهِ ثُمّ يُؤتى بهِ في يوم وهو صائم فيُقتلِ ثُمّ يُجزّ رأسُهُ ويُفصل عن جسدهِ ثُمّ يُقدّم قُرباناً لسلاطين والأُمراء كُلُ ذالك ولا تتحركون . هذا القول من أولهِ يستعطفُك يجلبُك يأسرُك لكن إنّ رأيت أنّ موت النبي صلى الله علية وسلم أعظم من موت الحُسين ومقتلُ عليٌ رضي اللهُ عنهُ وأرضاه والدُ الحُسين أعظمُ من مقتلِ الحُسين نفسهِ لكنّ الله جل وعلا ما تعبدنا بمثلِ هذهِ الصنائع قُرباناً لهُ ونحنُ نعلم أنّ قتلة الحُسين فجرة ظلمة فسقة أقترفوا إثماً عظيماً لكن ليس التعبيرُ العلمي والصنيعُ الحقيقي أنّ نصنع كما صنعوا في كُل عام نُظهرُ المآسي والمآتم والحُزن على وفاتهِ رضي الله عنهُ وأرضاه وإن كان في وفاتهِ عبر وعظات لكُل أحد فإنهُ كمّ منّ شخصٍ يتلبسُ بالحق ويُنادي علية ويُزمجرُ بهِ على المنابر وكلُ الذي يدعوا إليهِ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

عينُ الباطل .
فإنّ الذي قتل الحُسين سبط رسول الله صلى الله علية وسلم كان يُكبر ويقول الله أكبر وهو يقتُل الحُسين سبطا رسول الله صلواتُ الله وسلامهُ علية .
يقولُ أحدُ عُلماء السُنة آنذاك :
جاءوا برأسك يا ابن بنتِ مُحمدٍ
مُتزملاً في ثيابهِ تزميلاَ
وكأنما بك يا ابن بنت مُحمدٍ
قتلُ جهاراً عامِدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقبُ
في قتلك التنزيل والتأويلَ
ويكبرون بأن قُتلت وإنما
قتلُوا بك التكبير والتهليلَ
من هُنا تعلم أيُها الأخُ المُبارك مسألة ما هو العلم ؟
نور يقذفهُ الله في القلب على بينةٍ من هدي كتابهِ وسنة نبيهِ صلى الله علية وسلم تُضيءُ للمؤمن الدروب وتسيرُ بهِ إلى رحمة علاّم الغيوب يسيرُ الإنسان تأتيهِ الشُبهات فيجلوها بالعلم وتتضحُ له ويمشي واثق الخطوة رافع الرأس ثابت القدم متوكلاً على الله لا تغرهُ الشُبهات ولا تأسرهُ الشهوات إذا أجتمع مع علمهِ إيمانٌ بالرب تبارك وتعالى .
قال الله (وإلهكُم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو الرحمنُ الرحيم)جاء في الأثر من حديث أسماء بنت يزيد ابن السكن أنّ النبي صلى الله علية وسلم قال " اسمُ اللهِ الأعظم في هاتين الآيتين (ألم * اللهُ لا إله إلا هو الحيُ القيوم) وقولهُ جل وعلا (وإلهكُم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو الرحمنُ الرحيم) "
ونحنُ نعلمُ أن الآثار دلّت على أنّ للهِ جل وعلا

اسماً أعظم لكنّنا نجهلُ هذا الاسم وأنّ هذا الاسم إذا دُعيَ بهِ اللهِ أجاب ، وإذا سُؤل بهِ أعطى ، وأنّ الله جل وعلا أخفاه وظهرت أثار تُقرّبُهُ : بعضُ العُلماء ذهب إلى أنهُ الحيُ القيوم وبعضهُم إلى أنهُ لفظُ الجلاله وبعضُهم ذهب إلى أنهُ اللهُ الذي لا إله إلا هو وبعضهُم من قال أنهُ الحي مع الله لا إله إلا هو واستشهد بآية غافر (هو الحيُ لا إله إلا هو فادعُوهُ مُخلصين لهُ الدين)

فمضمار جرت فيهِ أقدامُ العُلماء ولكلٌ منهُم ضرب بعطنٍ في ناحيةٍ بعينها لكنّ المقصود الأسمى أن يعلم الإنسان أن لله اسماً أعظم ووجهاً أكرم وعطية جزلا وحُجةً بالغة وقُوةً لا تُقهر ووعداً لا يُخلف وجُنداً لا يُهزم فيسأل اللهِ جل وعلا بأسمائهِ وصفاتهِ جُملةً أن يُدخلهُ الجنة ويُجيرهُ من النار .

قال اللهُ جل وعلا بعدها : ــ

في هذهِ الآية (وإلهكُم إلهٌ واحد) إخبار أما الآية التي بعدها إنّما هي دلائلُ اعتبار الآية الأولى إخبار والآية التي بعدُها دلائلُ اعتبار وذكرُ تفاصيل ما يدلُ على عظمةِ الواحد والقهّار .

قال الله :

(إنّ في خلقِ السماوات والأرض واختلافِ الليل والنهار والفُلك التي تجري في البحرِ بما ينفعُ الناس وما أنزل اللهُ من السماء من ماء فأحيى بهِ الأرض بعد موتها وبث فيها من كُل دابة وتصريف السحاب المُسخّرِ بين السماء والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقلون)

العقل مناطُ التكليف وتمرُ عليهِ ثلاثةُ أحوال :

حال عارضة

وحال مُؤقتة

وحال مُستديمة

الحالُ العارضة النوم فيرتفع قلمُ التكليف ، والحال المُستديمة الجنون فيرتفع حالُ التكليف ، والحال المُؤقتة الصغر فيرتفع حالُ التكليف إلى أن يكبُر .

والعنايةُ بالعقل وجعلهُ مناط التكليف دليلٌ عظيم على عناية الإسلام بهذا العقل ـ على أنهُ ينبغي أن أُكرر لك مقُولةً طالما ردّدناه ـ العقلُ يا بُني مُكتشفٌ لدليل وليس مُنشأً لهُ العقلُ مُكتشف لدليل لكنّهُ ليس مُنشأً لهُ .

في هذهِ الآيات ذكر الله دلائل الاعتبار التي تدلُ على قُدرة اللهِ الواحدِ القهّار فقال جل شأنهُ (إنّ في خلق السماوات والأرض)وخلقُ السماواتِ والأرض من أعظم الأدلة والبراهين على قُدرة اللهِ قال اللهُ في غافر (لخلقُ السماواتِ والأرضِ لأكبرُ من خلق الناس واختلافِ الليل والنهارِ) لأنهُ اللهُ جل وعلا يُولج هذا في هذا (والفُلك) أي السُفُن (تجري في البحر) تسخير من الله جل وعلا والعُلماء تكلّموا في البحر كثيراً ومن أشهرِ من ركبيهُ من الأنبياء نوح وموسى ويونُس وقد فصّلنا هذا القول في درُوسٍ مضت (بما ينفعُ الناس وما أنزل اللهُ من السماء من ماء فأحيى بهِ الأرض بعد موتها وبث فيها من كُل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المُسخّر)

تصريفُ الرياح تكونُ أحياناً لينة وتكونُ أحياناً عاصفة ، تكونُ أحياناً حارّة وتكونُ أحياناً باردة ، تكونُ أحياناً صرّاً وتكونُ أحياناً نصرا .

قال علية الصلاةُ والسلام " نُصرتُ بالصبأ وهُلكت عادٌ بالدبُور " وتكونُ أحياناً مُلقّحة وتكونُ أحياناً عقيمة هذا كُلهُ تصريفٌ لرياح لا يقدرُ عليهِ إلا الله .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

(السحاب المُسخّرِ بين السماء والأرض)

نحنُ نعلمُ قطعاً أن الماء ينزلُ من ؟ من السحاب لكن في قول نُظهرهُ حتى لا تُفاجأ بهِ إذا قرأتهُ !

للعُلماء أن المطر ليس من السحاب وإنّما السحاب غربال أمارة على نزول المطر غربال والمطر ينزل من السماء ويمرُ عبر هذا الغربال الذي هو السحاب ثُمّ ينزلُ لناس وهذا القول وإن قال بهِ أفراد قليلون إلا أنهُ موجود . وقالوا تجتمع فيهِ الآية لأن الله قال (وما أنزل الله من السماء ماء فأحيا بهِ الأرض بعد موتها وبث فيها من كُل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المُسخّر) قال لو كان السماء الماء ينزل من السماء من السحاب لما حاجة لأن يُعيد اللهِ جل وعلا قولهُ (والسحاب المُسخّرِ) وهذا أظُنّهُ منقولٌ عن كعب الأحبار لكنّهُ رأيٌ مرجوحٌ جداً جـــــداً وإنما الذي عليهِ العُلماءُ كافة خاصةً في القُرون المُتأخرة مادلّ عليهِ العلمُ الحديث على أن السحاب منه من السماء لكنني قُلت حتى لا يكون لديك فُجأة إذا قرأتهُ في كتاب وأذكُر أنني سمعتهُ قبل ثلاثين سنة من أحد العُلماء فذُهلت آنها مُجرّد سماع ولو أنهُ رحمهُ الله قالها تفصيلاً لحرّرناها لكُم وهو لا يجهلُ هذا لكان هُناك مُتسعٌ في تلقي المعلومة ثُمّ مع الأيام تبين مقصدهُ غفر الله لهُ ورحمه .

نعود فنقول (لأياتٍ لقومٍ يعقلون)

بعد أن ذكر الله أدلة الاعتبار ذكر اللهُ جل وعلا اختلاف الناس في ربهم فذكر مسألة محبة الله جل وعلا وتعظيمهُ وهي لبُ الدين فقال جل وعلا :

(ومن الناس من يتخذُ من دُون اللهِ أنداداً يُحبُونهُم كحُب اللهِ والذين ءامنوا أشدُ حُباً للهِ

ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القُوة للهِ جميعاً وأنّ اللهَ شديدُ العذاب)

للعُلماء وجهان في تخريج الآية :

التخريج الأول :

أن يُقال أن هؤلاءِ المُشركين يُحبُونَ أصنامهُم كحُب المُسلمين لمن ؟ لربهِم .

التخريج الثاني :

أن هؤلاء المُشركين يُحبُون ربهُم ويُحبُون أندادهُم كحُبهِم لمن ؟ لربهم . وهذا التخريجُ الثاني تدلُ عليهِ آيةُ الشُعراء (تاللهِ إن كُنّا لفي ضلالٍ مُبينٍ إذ نُسويكم بربْ العالمين)

لكن الله جل وعلا أياً كان المقصود بالمعني في الآيتين قد قال بعدها :

(والذين ءامنوا أشدُ حُباً للهِ)

وهؤلاءِ المؤمنون جعلنـــــــــي اللهِ وإيــــــاكُم منهُم لمّا كان محبُوبهُم وهو الله ليس كأحدٍ مثلهِ كان حُبهم لله ليس كحُبهم لأي أحد غيرهِ ــ ظاهر ــ لمّا كان محبوبهُم وهو الله ليس لهُ مثيل كان حُبهم للهِ لا يعدلهُ مثيل ــ واضح ــ كان حبُهم لله لا يعدلهُ حُبهم لأي شيءٍ آخر لأن الله ليس كمثلهِ شيء ومنزلةُ محبة الله جل وعلا من أعظم المنازل التي يُعطاها عبد لأنها مع الرجاء والخوف هي مدارُ الدين كُلهِ ومن رحمة اللهِ جل وعلا بك أن يجعل قلبك وعاءٍ لحُبهِ تبارك وتعالى قال تعالى (والذين ءامنوا أشدُ حُباً للهِ)

ثُمّ قال (ولو يرى الذين ظلموا) متى ؟

في الدُنيا ..

(إذ يرون العذاب) متى ؟

في القيامة .

ولو يرى الذين ظلموا في الدُنيا إذ يرون العذاب أي في الآخرة.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

(أن القُوة للهِ جميعاً وأنّ اللهَ شديدُ العذاب * إذ تبرأ الذين اتُبِعُوا من الذين اتبعُوا ورأوُا العذاب وتقطّعت بهِم الأسبابُ * وقال الذين اتبعُوا لو أنّ لنا كرةً فنتبرأ منهُم كما تبرّءُوا منّا كذالك يُريهِمُ اللهُ أعمالهُم حسراتٍ عليهِم و ما هُم بخارجينَ من النار)

هُنا يا بُني هذهِ ظاهرة لا تحتاجُ إلى شرح رُؤساء لهُم أتباع يأتي يوم القيامة يتبرأ الرُؤساء من الأتباع لكنّ فلنقف عند لو ولولا إذا كان يومُ القيامة يرى المؤمن مقعدهُ من النار الذي نجّاهُ اللهُ منهِ وهو في الجنة ماذا يقول ؟

يقول ـ قال اللهُ عنهُم (وقالوا الحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا وما كُنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله) لآحظ لولا تقترن بأهل الإيمان أما الكُفّار تقترن بهِم لو ما الفرق ؟

لولا حرفُ امتناعٍ لوجود أما لو حرفُ امتناعٍ لامتناع .

كيف أُطبّقُها على هذهِ الآية وسائر الآيات ؟

المؤمن وهو في الجنة إذا رأى مقعدهُ من النار الذي نجّاهُ اللهُ منه يقول (وما كُنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله) الســـــــــــــؤال هل حصلت هدايةُ الله ؟

حصلت فامتنع بحصُولها وجود المقعد الذي في النار فهذا معنى قولنا حرفُ امتناعٍ لوجود ما الموجود ؟ حُصولُ الهداية والرحمة من الله فهذهِ الرحمة والهداية من الله لك منعت أن تكون في ذالك المقعد الذي هو في النار على النقيض من ذالك يرى أهلُ النار مقعدُهم في الجنة الذين حُرموا منه فماذا يقولون ؟ لا يقولون لولا يقولون لو قال اللهُ عنهُم (لو أنّ الله هداني لكُنتُ من المُتقين) وهُنا يقول الله (لو أنّ لنا كرة فنتبرأ منهُم كما تبرءوُا منّا) ولا يُوجد كرة

ــ إذ أنخ المطايا هُنا ــ

إذا رأى الكافرُ مقعدهُ من الجنة يقول (لو أنّ الله هداني) هل هداهُ الله ؟ لم يهدهِ فامتنع الأول فامتنع جوابُ الشرط فامتنع تحقُق أن ينال ذالك المنزل الذي يراهُ في الجنة وهذا وحدهُ كافٍ لأن تتعظ بهِ القلوب .
هل تكونُ ممّن يقول (لولا أنّ الله هداني) أو أن نقول (لو أنّ الله هداني لكُنتُ من المُتقين) مع أنّ الزيادة حرف واحد بين لو ولولا وهي لولا حرفُ امتناعٍ لوجود ، والثانية حرفُ امتناعٍ لامتناع والمقصودُ من ذالك أن من أراد اللهً لهُ الرحمة في الآخرة سيرحمهُ أين ؟ في الدُنيا بتوفيقهِ للأسباب المُعينة على طاعة الله ، ومن لم يُرد اللهُ لهُ الرحمة في الآخرة لن يُوفق للهداية في الدُنيا حتى يصل إليها .

قال اللهُ (وتقطّعت بهُم الأسباب)
يجبُ أن يخلُد في قُلوبنا أنّ كُل سببٍ يوم القيامة مُنقطع إلا سببٌ واحد ما كان بيع العبدُ وربهِ وهو سبب العُبودية المحضة سبب ماذا العبودية المحضة هو السببُ الواحد الذي يبقى يومُ القيامة قال الله (وتقطّعت بهُم الأسباب * وقال الذين اتبعُوا لو أنّ لنا كرةً فنتبرأ منهُم كما تبرّءُوا منّا كذالك يُريهِمُ اللهُ أعمالهُم حسراتٍ) معنى (يُريهُم الله أعمالهُم) يُريهُم الله الأعمال التي تكونُ سبباً في نجاتهُم لو أنهُم صنعوها وفعلوها وأتوها فإذا رأوها ماثلةً أمام أعيُنهِم يوم القيامة تحسّروا على أنهُم لم يفعلوها أي أنهُم لو فعلوها لنجوا ممّا هُم فيهِ (كذالك يُريهِمُ اللهُ أعمالهُم حسراتٍ عليهِم) ولو كانت تلك الحسرة إلى أمد تنتهي ويُقضى الأمر لهان لكن الله قال بعد ذالك يذكُرُ خُلُودهُم (وما هُم

بخارجين من النار) .

ثُمّ قال الله (يا أيُها الناس كُلوا ممّا في الأرض حلالاً طيبا)
سُمّيَ الحلالُ حلالا لانحلالِ عُقدةٍ الحظر عنه يعني عُقدة المنع وكلمة حلالاً بيان للحُكم الشرعي وكلمة طيباً إظهار لعلة الحُكم الشرعي

(ولا تتبعُوا خُطواتِ الشيطان إنهُ لكُم عدوٌّ مُبين)
عدوٌّ مُبين بمعنى عدوٌّ ظاهر فمُبين اسم فاعل لكنّها من أبانَ اللازمة أو المُتعدية ؟
من اللازمة غير المُتعدية والمعنى الفعل أبان أيُها المُبارك يأتي لازماً لا يتجاوز مفعُولهُ بمعنى ظهر بان بمعنى ظهر وتأتي أبان بمعنى أظهر تأتي لشيءٍ مخفي فتقوُل أبنتهُ لك تتعدى إلى مفعولين ، أمّا أن تظهر أنت فتقول بان فُلانٌ على الشاشة أي ظهر هُنا مُبين من للازم وليست من المُتعدي لأن الشيطان لم يُظهر عداوتهُ لنا وإنّما يتلبّس ويوسوس لكنّ كيف عرفنا أنهُ عدو بما أنّ الله جل وعلا فضحهُ وأظهر عدواتهُ ــ واضح ــ الشيطانُ عدوا لكنّهُ لم يُظهر لنا عداوتهُ وإنما يأتينا مُتلبساً عن طريق الوسوسة مُقرباً لنا (فقاسمهُما أني لكُما لمن الناصحين) (هل أدُلكُما على شجرة الخُلد ومُلكٍ لا يبلى) إلى غير ذالك لكنّ الله جل فضحهُ وكشف عداوتهُ لنا .
(ولا تتبعُوا خُطواتِ الشيطان إنهُ لكُم عدوٌّ مُبين
*** إنّما يأمُرُكُم) أسلوب حصر (بالسوءِ والفحشاء) فلا يأمرُ الشيطان بشيءٍ فيهِ نفعٌ لنا البتة**
ولهذا قال الله (إنّما) أسلوبُ حصر (إنّما يأمُرُكُم بالسوءِ والفحشاء وأن تقُولوا على اللهِ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

ما لا تعلمُون)
ولم يذكُر اللهِ هُنا ما القول على الله بلا علِم الذي دعانا إليهِ الشيطان لكن جاء في آياتٍ أُخر أعظمُها أن الشيطان دعاهُم إلى أن يفتروا ويزعموا للهِ الولد وأن يُحرموا ما أحل اللهُ لهُم من الطيبات كما قالوا (خالصةٌ لذكُورنا ومُحرمٌ على أزواجنا) إلى غير ذالك ممّا حرّموه ونسبوه إلى اللهِ جل وعلا افتراءٍ عليه ذالك الذي لقّنهُم الشيطانُ إياه وهو مُندرجٌ في بيان قول اللهِ جل وعلا (وأن تقولوا على اللهِ ما تعلمون) .

ثُمّ قال الله :
(وإذا قيل لهُم اتبعُوا ما أنزل اللهُ قالُوا بل نتّبعُ ما ألفينا عليهِ ءاباءنا أولو كان ءاباؤُهُم لا يعقلون شيئاً ولا تهتدون)هؤلاء المُشركون ـ قُلنا في الأول عظّم اللهُ العقل ــ تركوا عقُولهم فلم يستفيدوا منها فمن لم يستفد من جارحة أعطاهُ اللهُ إياها فكأنهُ لم يُعطاها ولهذا وصفهُم الله أنهُم صُمّ رغم أنهُم يسمعون وصفهُم بأنهُم بُكم رغم أنهُم يتكلمون وصفهُم بأنهُم عُمي رغم أنهُم يُبصرون لأن تلك الجوارح لم يستفيدوا منها الاستفادة التي تدُلهُم على ربهم تبارك وتعالى .
هُنا الله يقول (وإذا قيل لهُم اتبعُوا) يقول لهُم النبي ما أنزل الله قالوا بل نتبعُ ما ألفينا عليهِ ءاباءنا) أي ما وجدنا عليهِ آبائنا .
قال الله (أولو كان ءاباؤُهُم لا يعقلون شيئاً ولا تهتدون)
والمعنى على أي حالٍ يصلون بها إلى أن يدعُ عُقولهُم بلا عمل فيُعرضوا عن دعوة الإسلام ويبقوا على عبادة الأصنام مُلتزمين هدي من سبقهُم ولو كان من سبقهُم على ضلالةٍ وعيٍ

وبُعدٍ عن اللهِ جل وعلا وهذا يحملُ التوبيخ مع الإنكارِ قال الله (أولو كان ءاباؤُهُم لا يعقلون شيئاً ولا تهتدون) اختلف العُلماء في لو هُنا اختلافاً واسعاً في معناها :
فقال بعضُ العُلماءِ هُنا أنها بمعنى إن التي لا تحتملُ معنى الشرط وقال آخرون بغير ذالك لكنّ الأول وهو القولُ بأنها بمعنى إنّ التي لا تحتملُ معنى الشرط هو الأفضل والأولى التي لا تحتاجُ إلى جواب ، وقال آخرون كالبيضاوي قولاً لكن ليس لهُم فيهِ سلف مُحتجّين وهذهِ من دقائق اللُغة في بيتٍ لرُؤبة ابن العجاج
قالت بناتُ العم يا سلمى وإن كان فقيراً مُعدماً
قالت وإن لكن الأول كما قُلنا المُحتمل لمعنى إن التي لا تحتملُ معنى الشرط هو الذي عليهِ أكثروا أهلُ العلم والعلمُ عند الله جل وعلا .
ثُمّ ذكر اللهُ جل وعلا مثلاً يُبينُ فيهِ حاله لأهل الإشراك
(ومثلُ الذين كفرُوا كمثل الذي ينعقُ بما لا يسمعُ إلا دُعاءً ونداءً صُمّ بُكمٌ عُميٌ فهُم لا يعقلون)
هذا تشبيهِ حالة بحالة راعي الضأن يُنادي عليها فهي من حيث سماعهِ لدعوة لنداء تسمع لكن من حيث تدبُرها لما يُقال لها لا تعي فالنبيُ صلى الله علية وسلم يدعُوهُم ويُرشدُهم فهُم في حال سماعهِ كحال الضأن تسمع ما تُنادى بهِ وهُم يسمعون القُرآن والآيات إلا أنهُم لا ينتفعون كما أن الضأن لا تنتفعُ بكلام الراعي لا تفقهُ ممّا يقولُ شيئاً هذا تخريج .
بعضُ العُلماء يقولون إنّ ليس المقصودُ هذا إنّما المقصُود حال المُشركين مع أصنامهم عندما يُنادُونها فإنها لا تسمعُ منهُم شيئاً ولا تعي ما يقولون (صُمّ بُكمٌ عُميٌ فهُم لا يعقلون) لكنّ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

هذا بعيد لأن الله قال : (ومثلُ الذين كفرُوا كمثل الذي ينعقُ بما لا يسمعُ إلا دُعاءً ونداءً) فأثبت السمع ومعلومٌ قطعاً ونقلا أنم الأصنام لا يُمكن لها أن تسمع فجعلُ المثل مثلاً لأهل الإشراك ويُسمّى تشبيهِ تمثيلي أفضل من جعلهِ مثالاً للأصنام يعني حال كونهُم هُم يسمعون النداء ولا يفقهون شيئاً ممّا يُقالُ لهُم أولى من حمل القضية على الأصنام أنها تُنادى ولا تعي لأي شيءٍ تُنادى لأن الله أثبت السمعَ والأصنامُ قطعاً لا تسمعُ شيئاً ممّا تُنادى بهِ (ومثلُ الذين كفرُوا كمثل الذي ينعقُ بما لا يسمعُ إلا دُعاءً ونداءً صُمّ بُكمٌ عُميٌ فهُم لا يعقلون)

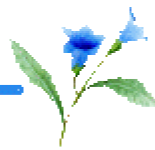
ثُمّ قال الله :

(يا أيُها الذين ءامنوا كُلُوا من طيباتِ ما رزقناكُم) وهذا نزدلفُ إليهِ إن شاء الله تعالى في اللقاء القادم

هذا ما تيسر إيرادُهُ وتهيأ إعدادُهُ وأعان اللهُ جل وعلا على قولهِ واللهُ الموفقُ لكُل خير وصلى اللهُ على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ للهِ رب العالمين ....

الحمد لله وحده ،حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد الغر المحجلين وعلى آله وأصحابه وسائر من اقتفى أثره وتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين

00أما بعـد 00



محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

فقد انتهينا في اللقاء الماضي إلى قول الله (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وحررنا قول العلماء فيها

**ثم ننتقل إلى الله جل وعلا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } مرت معنا آية (يا أيها الناس كلوا ...) هذا للعموم الآن خص الله جل وعلا أهل الإيمان بالنداء فذكر المباح وذكر المحرم وبدأ بالحلال المباح لأنه أكثر و أخر المحرم لأنه محصور واستخدم في حصره إنما وهي تدل على الحصر قال في الأولى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ما دمن معترفين أننا عبيد لله وأن الله أفاء علينا الخير فإقبالنا على الخير نوع من الاعتراف بعبوديتنا لمن ؟ لربنا وعدم إعراضنا عنه ومن هنا تفقه أيها المبارك أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا ..
كلما كان الإنسان يظهر لله فقره ، مسكنته كان قريباً من الله
جاء في الحديث الصحيح أن أيوب عليه الصلاة والسلام بعث الله إليه رجل جراد من ذهب ، رجل جراد يعني ما يقال سرب طيور في الجراد ما يقال سرب يقال رجل ..رجل جراد من ذهب أي مجموعة من جراد من ذهب فأخذ وهو نبي الله المذكور في القرآن المقول عنه (نعم العبد إنه أواب) أخذ يحثو الجراد في ثوبه فأوحى إليه ربه يا أيوب ألم أكن قد أغنيتك عما ترى ؟ قال يا ربِ لا غنى لي عن فضلك .
فالله جل وعلا هنا يقول { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }**

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات)
تبنى على هذا قواعد مع هذه الآيات ومع غيرهن نقول كل ما أباحه الله وأحله فهو طيب وكل ما حرمه الله فهو خبيث لكن ليس كل خبيث محرم قال عليه الصلاة والسلام " كسب الحجّام خبيث " مع أنه أعطى الحجّام وسمى البصل والثوم شجرتين خبيثتين مع أن الناس يأكلون منها0 وقال الله جل وعلا (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا
أن تغمضوا فيه ..) مع أننا نأكله فالعبارات تختلف ولذلك يتحرر الإنسان علمياً قبل أن يتفوه بكلمه نقول قال الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ *إِنَّمَا} أداة حصر{ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ { { الْمَيْتَةَ } ما مات حتف أنفه أو ذبح ذكاة غير شرعية
ما مات حتف أنفه أو ذبح ذكاة بطريقة غير شرعية يسمى ميتة وهو من أعظم المحرمات وأولها.
والثاني قال الله {وَالدَّمَ} وهذا الإطلاق قيدته آية (أو دماً مسفوحاً) فخصصه الحديث كما خصص الميتة أحلت لكم ، أحلت لنا ميتتان السمك والجراد وأحل لنا دمان الكبد والطحال فالكبد دم والطحال دم لكنه غير مسفوح والسمك والجراد خصص من الآية بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته
{ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ} والمراد به الخنزير جملة عند جمهور العلماء وإنما اختلفوا لماذا ذكر الله اللحم؟
على هذا ذهب مالك _رحمه الله_ إلى أن عين

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الخنزير ليست نجسة أو قال به بعض العلماء ليست نجسة حتى يصبح لقوله لحم خنزير له معنى وقال العلماء بالإطلاق ..
{ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ} الإهلال رفع الصوت يقال للوليد إذا استهل صارخاً أهل ويقال للحاج مهل لأنه يرفع صوته بالتلبية كانت لقريش أصنام يأتون بذبائحهم فيقولون باسم اللات باسم العزى ينحرونها لماذا ؟! لألهتهم فأي شيء أهل به لغير الله لا يقبل حتى لو...[هذه مهمة] حتى لو كانت من صنع أهل الكتاب فمثلاً الأصل طعام أهل الكتاب أنه ماذا ؟ حل لنا ..
لكن لو كان عيد يهلون به لغير الله وذبحوا فيه لا يجوز لنا أن نأكل منه لآية البقرة ..[واضـــح] ونبقي آية المائدة على عمومها
{وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ} ما الباغي في اللغة الطلب للشيء إن كان خير أو شر الباغي الطالب للشيء إن كان خيرا أو شرا لكن هنا المقصود بها الطلب للشر ولا عاد أي لا متجاوز للحد واختلف العلماء في معناها منهم من حصرها في البغي والخروج على الأئمة وجعلوا العاد قطاع الطريق والحق أن الباغي والعاد ليست مرتبطتين فقط بقطاع الطريق أو الخرجين على الأئمة إنما الباغي هو من يريدها من غير اضطرار والعاد من تجاوز الحد في أكلها قال بعدها { فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ } أي إن كان مضطرا غير باغ ولا عاد { إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }ثم قال الله { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ } هذه عودة لذم أهل الكتاب { وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }وفي قوله جل وعلا {

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ } زيادة على العذاب السابق وهو اللعنة الذكورة في الآيات السالفة والآن زاد عليهم إن كتمان العلم شيء عظيم و ظلم فظيع أغضب الله لصنعته في كتابه { أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ } ثمة شيء في المنازع البلاغية يا بنُي يسمى تنزيل المحصول المتحقق منزلة الحاصل تنزيل ماذا ؟ تنزيل المحصول المحقق منزلة الحاصل .. الله جل وعلا أصدق القائلين وأخبر عن أهل النار وقال { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ } المؤمن إذا سمع هذا يعلم يقيناً أن هذا ماذا ؟

سيقع لا محالة لأن المخبر به من ؟

رب العالمين فيأتي جبلة إذا علم هذا ينزله منزلة ما وقع فيقول لهؤلاء الكفرة ما أصبكم على النار !!

أي ما أشد صبركم على النار وسياقكم إليها رغم علمكم بحرها وهذا لسان المخاطب بالقول والقائلون الناس وهذا أمر لم يقع لكن قلنا هذا منزع ماذا؟ بلاغي !!

وهو تنزيل المحصول المحقق .. تنزيل الشيء المحقق منزلة ماذا؟

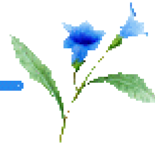
الحاصل منزلة الشيء الحاصل فما أصبرهم على النار !!

هذا قول بتخريج التعدد بما أصبرهم على النار تخريج آخر على أن ما هنا ليست تعجبية!!

إنما استفهامية ؟؟

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يصبح المعنى أي شيء أصبهم على النار؟ أي ما الذي دفعهم إلى هذا حتى يصار بهم إلى النار ثم قال الله { ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } هذا جواب لهذه كله والمعنى أن الله جل وعلا أنزل الكتاب بالحق لينفع به العباد فلما جاء هؤلاء العلماء وكتموه كان حقاً ً عليهم أن ينالوا ما أخبر الله جل وعلا عنه قال الله { وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ }



ثم قال الرب تبارك وتعالى { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ }هذا عود على بدأ كان الله جل وعلا قد تحدث في صدر هذا الجزء عن قضية تحويل القبلة فلما أكثر الناس على أهل الإيمان من أهل الإشراك والنفاق واليهود والنصارى (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) قال الله جل وعلا { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } والبرَ يا بُـني قـرأت بالنصب والرفع فعلى النصب كما هو بين يديك على أنها خبر لـ ليس ماذا ؟ متقدم وأين اسم ليس المرفوع " المصدر " { أَن تُوَلُّواْ } والأصل في المبتدأ والخبر في الترتيب الأقوى معرفة هو يكون مبتدأ الأقوى معرفة هو الذي يكون مبتدأ .. لكن المصدر أولى من المعرف بأل .. المصدر أن ما دخلت عليه أقوى بالتعريف من ماذا ؟؟ من المعرف .. المعرف بأل .. لأنه إضمار الإضمار أقوى المعارف بعد العلم فعلى ذلك أخرت .. جعلت أن تولوا وجوهكم هي الخبر لكن الترتيب التقديم والتأخير هذه مسألة

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
أخرى لكن أين المبتدأ أن تولوا وجوهكم وقدم الخبر رداً على أهل الإشراك هذا على قراءة { لَّيْسَ الْبِرَّ } على قراءة { لَّيْسَ الْبِرُّ } المسألة واضحة البر اسم ماذا ؟ اسم ليس وأن تولوا وجوهكم مصدر أن دخلت عليه في محل نصب خبر لمن ؟؟ لـ ليس وليس عند النحويين فعل ماض جامد ناقص فعل أي ماذا؟؟ ليس اسم أو خبر وماض أي ليس مضارع ولا أمر جامد أي غير متصرف لا يأتي منه لا مضارع ولا أمر.. قلنا ماذا؟ ناقص أي يحتاج إلى اسم وخبر ولا يكتفِ بمرفوع واحد وهو الفاعل
[واضح]
هذا معنى فعل ماض جامد ناقص هذه كله صناعات نحوية والآن نعود إلى الغاية من الآية وهي منزع إيماني قال الله { وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } من أراد القرب من الله فليقرأ هذه الآيات يسأل الناس أين البر أين معالي الأمور أين مدارج الجنة أين النجاة من النار أين طرائق الحق أين معالم الهدى فيجيبهم الرب تبارك وتعالى
{ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ } وهذا استدراك عظيم من رب رحيم {وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ } آمن بأن الله لا رب غيره ولا إله سواه في السماء عرشه وفي كل مكان رحمته وسلطانه يحكم ما يريد يقدم من يشاء بفضله و يؤخر من يشاء من يشاء بعدله لا يسأله مخلوق عن علة فعله ولا يعترض

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

عليه ذو عقل بعقله له الأسماء الحسنى و الصفات العلى أنزل الكتب بعث الرسل هو الرب وحده لا رب غيره ولا رب سواه هو الخالق وما سواه مخلوق وهو الرازق وما سواه مرزوق ثم جاء بعد ذلك ما يتبع الإيمان بالله لا يمكن أن ينفك عنه

{ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } يوم لا يوم من جنسه بعده يحشر الله فيه العباد ويقوم فيه الأشهاد يظهر فيه الشهداء تنصب فيه الموازين ويكون فيه الصراط يقام فيه الحوض وفيه من الأهوال ما يشيب له الغلمان تضع كل ذات حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد..

{وَالْمَلآئِكَةِ} خلق من خلق الله خلقهم الله جل وعلا من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون أطـّت السماء وحق لها أن تئط والله ما من موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم ولا بكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعُـدات تجأرون إلى الله تبارك وتعالى أثنى الله جل وعلا عليهم ثناء عاطر كرام بررة

ثم قال جل وعلا { وَالْكِتَابِ} كتب أنزلها الله جل وعلا فيها الهدى والنور سمى الله منها التوراة والإنجيل والقرآن والزبور فيها من المواعظ والرقائق و الهداية للخلق ما لا يمكن أن يحيط به أحد .

{ وَالنَّبِيِّينَ } بشر من الخلق اصطفاهم الله جل وعلا وخصهم بخصائص تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ما منهم أحد إلا ورعى الغنم يقبرون في المكان الذي ماتوا فيه خصهم الله جل وعلا بأعظم خصيصة وهي الوحي يتنزل عليهم من السماء هو دعاة للحق ومعالم على طريق الخير

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

رحماء بالخلق أكرمهم و أعظمهم نبينا صلوات الله وسلامه عليه سمى القرآن منهم خمسة وعشرين والإيمان بهم جملة من أعظم أحكام الدين

{وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّه} كلمة على حبه أي أن يكون الإنسان صحيحاً شحيحاً يخشى الفقر ويرجو الغنى وهي أعظم مواطن العطاء ومن أعطى وهذه حاله كيف به إذا اغتنى.. ومن أعطى وهذه حاله كيف به إذا اغتنى ، وهذا أمر تعرفه العرب في كلامها في سنن كلامها كما ذكره في مدح هِرم بن سنان.

المقصود من هذا أن الإنسان إذا أعطى المال على حبه وقت تعلقه بالمال كيف به إذا كان المال قد تملكه وقتها يكون أعظم

{وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّه ذَوِي الْقُرْبَى} يقدم من قدم الله

{ وَالْيَتَامَى }: من لا كاسب لهم, وهم من مات آباؤهم وهم لم يبلغوا الرشد بعد

{ وَالْمَسَاكِينَ } : الذين يتعرضون للناس, أو يكونوا أخفياء

{وَابْنَ السَّبِيلِ } : المنقطع الذي انقطعت به السبل.

{ وَالسَّآئِلِينَ } : والسائل لا يسأل غالبا إلا عن حاجة.

{ وَفِي الرِّقَابِ } : وهم المكاتبون.

{ وَأَقَامَ الصَّلاةَ }: أعظم أركان الدين على الإطلاق.

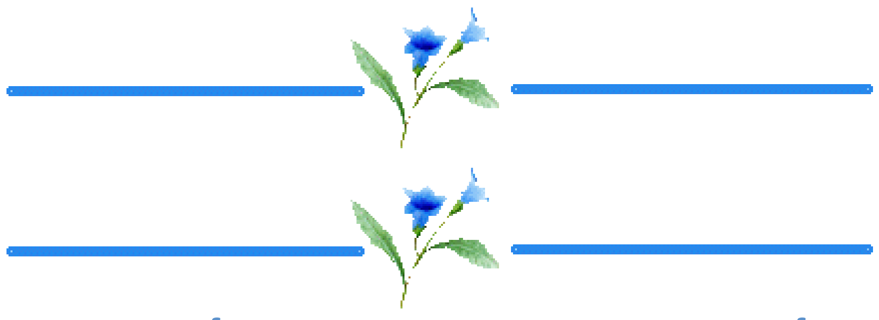
{وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ }: وهي منصوبة على الاختصاص, أي وأخص الصابرين.

{ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ }: فما

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

البأساء؟
وما الضراء؟
وما حين البأس؟
البأساء: الفقر والعوز.
والضراء: الأسقام والأمراض والبلايا.
وحين البأس: أي وقت القتال.
البأساء: الفقر والعوز.
والضراء: البلايا و الأسقام والأمراض.
وحين البأس: أي القتال, وملاقاة العدو.
وكل هذه الصفات لا يمكن أن تكون إلا في قوم صدقوا.
والصدق مع الله جل وعلا أعظم المطالب وأدل البراهين على الانضمام لجند الله الغالبين, قال الله جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .
قال الله{ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا }: أي صدقت أفعالهم أقوالهم.
{ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } : والتقوى لباس عام, جامع لكل خير؛ أن تعمل بطاعة الله, على نور من الله, ترجو ثواب الله.
وأن تترك معصية الله, على نور من الله , تخشى عقاب الله.
مثل هذه الآيات لا يمكن أن تشرح لغويا, ولا منزعا بلاغيا, لأنه خلق يتمثله المسلم, ويؤمن به, عقيدة يسلك به المؤمن إلى ربه تبارك وتعالى, آداب وقيم, وصلوات وعبادات, ومعالم يرشد الله بها الأخيار من عباده الطالبين معالي الأمور وحفظها والعمل بها من أعظم الضروريات للوصول إلى أعالي الجنات.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي



ثم بعد أن بين الله ذلك كله, ونشأ مجتمع مدني فيه هذه المنزلة العالية من الإيمان: جاءت الأحكام الشرعية التي لابد من إيضاحها للناس, قال الله جل وعلا{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى }في اللغة يا بني:
القص: المماثلة.
القصاص هو: المماثلة, والإتباع. (وقالت لأخته قصيه): اتبعي أثره – كما هو ظاهر الآية قد ورد -.
الله يقول: (فارتدا على آثارهما قصصا): أي يتبعون آثارا قد مضت وسلفت.
فهذا معنى المماثلة والإتباع, هذا في أصل اللغة.

يقول الله{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى } :أي فُرض.
{ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى }هل صدر الآية منفك عن عجزها؟
أو أن صدر الآية متصل بعجزها؟

هـــــذا مربط الفرس, ومعقد الأمر في فهم العلماء للآية.

[واضح]؟

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

فمن فهم أن صدر الآية منفك عن عجزها – عما بعدها -, بمعنى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى }شيء مستقل لم ينظر إلى ما بعدها ولا إلى غيرها, فجعل القصاص في كل قتيل؛ حـــــتى مابين الكافر والمسلم, لأنه أخذها بالعموم, وجعل ما بعدها إنما هو تأكيد وإجراء الكلام على مجراه وفق سنن العرب.

أما جمهور العلماء: فيجعلون صدر الآية مؤسس لما بعدها, فلا يقنعون بأن نقف عند قول الله جل وعلا وننهي الحكم في قولنا:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى } , فلهذا استثنوا من ذلك أمور.

والحق والعلم عند الله, أن الله قال: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس), وقال: (ومن قتل مظلوما) - ولم يحدد – (فقد جعلنا لوليه سلطانا), فلا يستثنى إلا من استثنته السنة, ومن استثنته السنة فريقان:

من استثنته السنة فريقان:

الفريق الأول:

الكافر إذا قتله مؤمن, فلا يقتل مؤمن بماذا؟ بكافر, إذ لا يقتل ولي الله بعدوه.

لا يقتل ولي الله بعدوه.

الحالة الثانية:

الوالد مع الولد.

كلمة الوالد: تشمل الأجداد وإن علوا.

فلا يقتل والد بولده.

إلا أن مالكاً رحمه الله استثنى من هذه واحدة والنفس تميل إلى رأيه: أن الوالد إذا أخذ ابنه, وأضجعه للذبح, فذبحه بهذه الصورة, متعمدا, ليس عن حالة غضب, ولا عن حالة تأديب, وإنما

باختياره, أخذه, وأضجعه, وذبحه, فقال مالك: بأنه يقتل به, وهذا القول تميل إليه النفس, لأن الأب في مثل هذه الحالة التي يفعلها جهارا عامدا تخلى عن أبوته, لكن الجمهور: لا يقتل والد بولده.

نعود فنقول: هذا خلاف في التأسيس.

أما قول الله جل وعلا { الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى } فهذا سنن العرب في كلامهم. لا يعني ذلك أن الأنثى لا تقتل بالذكر, أو أن الذكر لا يقتل بالأنثى.
كما أنه لا يعني أن الفرد لا يقتل بالجماعة, أو أن الجماعة لا تقتل بالفرد, لأن هذا فيه استباحة للدماء, وقد رفع لعمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه: أن غلاما من أهل صنعاء قتله سبعة, فقتلهم به, وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: لو تمالأ عليه أهل صنعاء كلهم لقتلتهم به.
لأنه لو قلنا إن الجماعة لا يقتلون بالفرد؛ يأتي إنسان له عدو, فيذهب إلى رفقاء له, فيتفق معهم على قتل غريمه, حتى يستحيل شرعا قتلهم جميعاً به, فتهدر الدماء وتضيع أموال الناس, لكن يقتل الجماعة بالفرد كما يقتل الفرد لو قتل جماعة من باب أولى.

قال الله { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ } : وهذه العلماء يستمسكون بها على أن أخوة الإيمان لا ينزعها شيء.

{ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ } : والمعنى: أنم الإنسان إذا تنازل عن حقه في القصاص فإن له أن يعطي الدية: فيكون الأداء

من نفس صاحب الجناية بإحسان إليه, والناس في زماننا هذا سلكوا بها مسالك غير محمودة؛ وأنا وقفت على بعض أمور شرعية أو إدارية – يعني لا يحسن نشرها – لكن المبالغة في قضية الفدية أمر غير محمود شرعا, وصحفنا للأسف – هي مجرد ناقلة يعني – تعج بأخبار لا تحمد في هذا الشأن , فيقال إن فلانا يتنازلون أهل الميت إذا دفع لهم كذا مليون, عشرة أو اثنعش, أو غير ذلك وهذا أمر غير محمود, ولا أؤيد أن يسهم البعض فيه , وقد بينت هذا كثيرا في دروس لنا سلفت, لأن هذا فيه نوع من المتاجرة, لا بأس بالشيء المعقول, أو أن يطلب الإنسان القصاص الذي هو له, أما أن يأتي أقوام , أو قبلة أو أولياء دم يريدون أن يغتنون على حساب ميتهم, فهذا أمر غير محمود أبدا.

نعود فنقول قال الله جل وعلا : { ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }ثم قال الله { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } شرع الله القصاص حفظا للدماء.
والناس إنما يحتكمون في ثلاثة أمور:
الفروج.
والدماء.
والأموال.
ولا ريب أن المقصود بالآية أن الإنسان إذا علم أنه إذا قَتل قُتل, خاف على نفسه, فامتنع عن القتل فحُفظ ولهذا قال الله جل وعلا أن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا.
والتاريخ العربي الأدبي والسياسي, مليء بقضية إما عفو عند القصاص, وإما بقضية من ثبتوا عند

الموت, أو بقضية من طلبوا بالقصاص, منها أن رجلا في أيام معاوية رضي الله عنه, أو قبل حكم معاوية, قتل رجلا من أهل المدينة كلاهما, فلما كانت ولاية معاوية رضي الله عنه وأرضاه, كان أهل الميت, أو ورثة الميت قد بلغوا سن الرشد, فذهبوا إلى معاوية, فأقدم القاتل بين يديه, فلما سأله معاوية ليعترف, قال: يا أمير المؤمنين! أتريد أن أعترف شعرا أم نثرا؟
قال: بل شعرا

فاعترف شعرا.
فلما اعترف شعرا؛ سلمه معاوية إلى ورثة القتيل, ليقتلوه على ما جرت به عادة الناس يوم ذاك, لأن هذا أمر مفوض للسلطان, فأخذه أولياء الدم, فلما خرجوا به إلى ساحة القصاص جاءت زوجته – أي القاتل المحكوم عليه بالقتل لتودعه - وقالت له توعده أنها لن تتزوج بعده , وكان فيها لمحة من جمال, فقال: والله ما هذا وجه من تريد أن تحرم من الرجال بعدي, فالمسكينة غلبت على أمرها؛ آمنت بقوله فجدعت أنفها, فلما راءها قال: نعم الآن اطمأنت نفسي, لأن مثلها لا ينظر إليها.
ثم ذهب إلى ساحة القتال, فحضر أمير المدينة آنذاك مشهد القتل, فجيء بالسياف الذي هو من الورثة, وجاء الأمير, وفتحت الساحة التي يقتص بها,, والحرس فرفع بصره إلى السماء وقال:

أذا العرش إني عائذ بك مؤمن ** مقر بزلاتي إليك فقير.**
وإني وإن قالوا أمير مسلط ** وحجاب أبواب لهن صرير**
لأعلم أن الأمر أمرك إن تَدِن ** فربٌّ, وإن**

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

ترحم فأنت غفور

ثم نادى صاحبه, قال: كيف ستضربني؟
فأخبره.
قال: لا ليس هكذا, فإني ضربت أباك ضربة لم يتحرك منها وعلمه كيف يقتله, يعني أين يكون محز السيف.
قال من شهدوه: لم يتحرك منه عضو.
يعني ثابت.
ومات.
وهذه يذكرها المؤرخون كما تجدونها في العقد أو في الكامل أو في غيرهما هذا من محفوظ القديم, لكن الشاهد منها تذكر كنماذج لمن ثبتوا عند الموت.
أما قُدِّم آخرون للموت, وكان فصيحا بليغا فإذا في كفن, وجلاد, سيف, وقبور محفورة, فارتج عليه, قال الناس: وين فصاحتك؟ أين فصاحتك؟
قال: من أين الفصاحة؟
قبر محفور, وكفن منشور, وسيف ماذا؟
قبر محفور, محفور (بالراء).
وكفن منشور, وسيف مشهور , وسيف مشهور, من أين تأتي الفصاحة؟!!
وهو معذور.



وقد مر معنا في دروس عدة أن جميلا – أحد وجهاء العرب وفصحائها الخارجين على المعتصم – قدمه المعتصم للموت, فأراد المعتصم أن يعلم أين جنانه من لسانه!
وإذا بالنطع والجلاد.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

فقال:
يا أمير المؤمنين! قبح الذنب, وكبرت الجريرة, والظن بك أن تعفو ثم قال:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ** يلاحظني من حيثما أتلفت**
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ** وأي امرئ مما قضى الله يفلت!**
يعز على الأوس بن تغلب موقف ** يسل علي السيف فيه وأسكت**
وما جزعي من أن أموت وإنني ** لأعلم أن الموت شيء مؤقت**
ولكن خــــلفي صبية قد تركتهم ** وأكبادهم من حســــرة تتفتت**
كأني أراهم حين أنعى إليهم ** وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا**
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة ** أذود الردى عنهم, وإن متُ موتوا**
فقال: المعتصم: تركتك لله, ثم لمن؟
ثم للصبية.
وعفا عنه.
أقول التاريخ العربي - والمعاصر كثيرا - مليء بأحداث مثل هذي تبين أن الرجال يتفاوتون في هذه المواقف: موقف أن يرى الموت عيانا.

وقتل الميت عيانا يسمى في اللغة: قتله صبرا.

قتله صبرا.

والنبي صلى الله عليه وسلم قتل أحد خصومه صبرا في وادي الصفراء, وهو عائد من بدر , وكان يغلظ عليه ويسبه أيام دعوته الأولى,

فقتله, وينسبون أشعارا إلى أخته, تعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لصحة نسبة تلك الأشعار شيء من الضعف سندا.
الذي يعنينا كما قلت - أنا لا أستطيع أن أدخل في آية أخرى لارتباط الأحكام - لكن؛ مازلنا في دائرة القتل.
وقد مر معنا أن المقتول إذا وقعت الجريمة يتحرر منها شرعا كم حكم؟
ثلاثة.
الحالة الأولى:
أو ثلاثة حقوق.

حق لله.

وحق – أيها المبارك – للورثة.

وحق لمن؟
للميت.

كيف نصل إلى إسقاط هذه الحقوق الثلاثة؟
حق الله يسقط بالتوبة, أو بمغفرة من الله بمشيئته, لأنه مندرج في قول الله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به)

وحق الورثة؛ يخيرون؛ مابين ماذا؟

القصاص.

أو الدية.

أو العفو.

الحق الثالث: حق الميت.
وهذا لا سبيل لنا إلى معرفته.
متى يكون؟
يوم القيامة.
فحتى لو قُتل القاتل عمدا, قُتل واقتُص منه, لا يسقط حق الميت, لأن الميت في قبره لم يستفد شيئا من القصاص, وإنما استفاد الورثة, وإن أخذوا دية استفاد الورثة, فيبقى هذا الحق قائما, فإذا كان يوم القيامة, يسوقه إلى ربه ويقول: ي ارب سل عبدك هذا فيم قتلني؟
فإن كان الله قد تاب على هذا القاتل, سيجد الله لا محالة مخرجا لهذا القاتل, ويُرضي من؟ المقتول. وهذا لا يمكن أن يقع إلى بين يدي الله.
الله وحده المتكفل أن يرضيك ويرضي خصمك, أما عند الناس؛ لا يمكن أن يقع شيء من هذا أبدا.

هذه أمور القتل على وجه الإجمال؛ له ثلاثة صور من حيث الأحكام:
قتل ماذا؟
- عـــــمــــــد.

- وقتل شبه عمد.

- وقتل خطأ.

نص الله في القرآن على اثنين:
العمد, وشبه العمد, وسيأتي بيانها في تفسير سورة النساء.
العمد والخطأ.
أنا آسف.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

العمد,وماذا؟
والخطأ.
أما شبه العمد؛ لم يتعرض الله له في القرآن, فلذلك أنكره مالك, ولكن جمهور العلماء - الأئمة الثلاثة - على أنها: عمد, وشبه عمد, وخطأ.
فقالوا في العمد: قتله بآلة يغلب على الظن أنها تقتل.
وقالوا في شبه العمد: ضربه بآلة يغلب على الظن أنها لا تقتل فقتلته.
وقالوا في الخطأ: ألا يتعمد قتله أصلا.
ومن شبه العمد الذي لم ينص الله عليه في القرآن لكن ألمح الله إليه, قتل موسى لمن؟ للغلام القبطي, قال الله : (فوكزه موسى فقضى عليه), فإن موسى تعمد ضرب القبطي, لكنه لم يتعمد قتله.
تعمد ضربه لكنه لم يتعمد قتله, فهذا يسمى قتل ماذا؟
شبه عمد, ولا يسمى خطأ.

ينجم عن ذلك أمور, يعني ينجم عن وقع الجريمة ثلاثة أمور:
- قلنا الحقوق الثلاثة –

لكن بالنسبة للقاتل:

ينجم عن ذلك أمور, يعني ينجم عن وقع الجريمة ثلاثة أمور:
- قلنا الحقوق الثلاثة –

لكن بالنسبة للقاتل:
*** ينجم عنه أولا: الإثـــــــــم: وهذا أعظم الأشِياء, وقتل النفس المحرمة من أعظم**

الذنوب.

*** وينجم عنه بعد ذلك: أنه يحرم من الميراث إن كان أصلا ممن يرث من مقتوله.**

*** والأمر الثالث: أنه ينفذ فيه القصاص إن طالب به ورثة القتيل, أو الدية , أو عفو عنه.**

فهذه ثلاثة تتعلق بالقاتل.
أما في شبه العمد ما الذي يسقط؟
يسقط القصاص.
يسقط القصاص.
لكن يبقى الإثم, وتكون الدية مغلظة.
أما في الخطأ فلا يوجد ماذا؟
فلا يوجد إثم.
لا يوجد إثم, لكن توجد دية, من يتحملها؟
عصبة القاتل.
من يتحملها؟
عصبة القاتل. ولا يوجد إثم, لكن لابد على القاتل شيء, ما عليه؟
الكفارة.إما عتق رقبة أو صيام شهرين.
إما عتق رقبة أو صيام شهرين.
وبعض العلماء عندنا في المدينة – أنا قلت هذا مرارا – جاءه رجل قتل أحدا خطأ, يعني بسيارة, فقال: ما علي؟
قال عتق رقبة.
- والرجل لم يكن مشهورا بالصلاح, والشيخ تفرس في هذا –
قال: أنى لي أن أعتق رقبة! – يعني : ما موجود - .
قال نعم ماذا نصنع يا شيخ؟
قال: صم شهرين متتابعين.

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

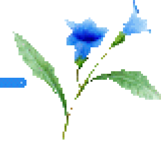
قال: فقط.
- استغلها الشيخ –
قال: لا بزيادة.
قال: ما الزيادة؟
قال: أن تفطر في الحرم.
- هذا لم يسأل ظنها لزاما, فشهران متتابعان أين يفطر؟ في الحرم وش بيسمع في الحرم!؟ آيات, وقرآن ودروس, فتغير حاله بالكلية – طبعا هذا الجواب يعني يقبل إذا كان الشيخ على يقين أنه ممكن أن يبين بطريقته للرجل تعديل الحال لو تبين له أنه عاجز, أو تسبب في أنه أفطر, يعني هذه أمور تربوية, يعني يُلجأ إليها أحيانا.
المقصود من هذا كله, أن الله جل وعلا حـــــــرم الدماء.
وقول الله جل وعلا { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ } ، { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } كل ذلك من باب أن يسود في المجتمع الأمن, و تعم فيه الحياة, وأن يأنف الناس من أن يقتل بعضهم بعضا, لأن في إبقاء حياتهم نفع لهم, لأنفسهم, وطاعة لربهم.

هذا أيها المباركون ما تيسر إعداده, وأعان الله على قوله..
وفي اللقاء القادم نشرع في قول الله تعالى: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية)
إن شاء الله تعالى

نسأل الله لنا ولكم التوفيق
ونعتذر إليكم عن التقصير
وصل الله على محمد وعلى آله
والحمد لله رب العالمين

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده, ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا, وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله, صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه, وعلى سائر من اقتفى أثره, واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد

فهذا لقاءٌ مُتجدد ضمن تأمُلاتنا في كلامِ ربُنا جل وعلا وكُنّا قد انتهينا في اللقاء السابق إلى قول اللهِ جل وعلا : (ولكُم في القصاصِ حياةٌ يا أُولي الألباب لعلّكُم تتقون)

واليوم نزدلف إلى قولِ الرب جل شأنهُ :

(كُتب عليكُم إذا حضر أحدكُم الموتُ إن ترك خيرا الوصيةُ للوالدين و الاقربين بالمعرُوف حقاً على المُتقين * فمن بدّلهُ بعدما سمعهُ فإنما إثمهُ على الذين يُبدلونه إِنّ الله سميعٌ عليم * فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً وأصلح بينهُم فلا إثم عليهِ إِنّ الله غفورٌ رحيم)

هذهِ الآيات الثلاث تلونها جميعاً لارتباط أحكامها بعضِها ببعض وهذهِ الآيةُ صدرُها ممّا أشكل على كثيرٍ من المُفسرين واختلفت فيهِ كلمة الفُقهاء

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

ورُبما وصل إليك بعضُ علمٍ عن هذا كُلهِ .
سنشرعُ في بيانِ الآية فقهياً ولُغوياً واسترشادياً من حيثُ الجُملة
اللهُ جل وعلا هُنا أوجب بقولهِ (كُتب) الوصية للوالدين و الاقربين والوصيةُ تعريفُها :
القولُ المُبيّن لما يُراد العملُ بهِ ، القولُ المُبيّن لما يُراد العملُ بهِ، وهي هُنا مخصوصةٌ بما بعد الموت .
فمعنى قولنا أوصى فُلان أي ذكر قولاً يُبيّن ما يُطلب من غيرهِ أن يفعلهُ بعد موتهِ هذا معنى الوصية .
والتعبير القُرآني باللفظ (كُتب) يدلُ على الفرض والذين طلب الله أن نوصي لهُم بنصّ القُرآن هُنا الوالدان و الاقربون .
أين الإشكال ؟
الإشكال في قول اللهِ جل وعلا أن الله جل وعلا ذكر حق الوالدين وحق الاقربين في آيات المواريث هذا الذي جاء بالإشكال لأهل العلم .
هل هذهِ الآية مُحكمة أم منسوخة ؟
سلك الشافعيُ وكثيرٌ من العُلماء المسلك التالي في فهم الآية :
قالوا أن الله جل وعلا كتب وفرض الوصية هُنا للوالدين و الأقربين بآية الوصية ، وفرض حقاً للوالدين و الاقربين بآية المواريث فنحنُ لا ندري هل نجمع لهُما ما بين الوصية والميراث أو أنّ آية الميراث ناسخة للوصية ؟
فلمّا أحتمل الأمرُ الوجهينِ عمدنا إلى مُرجحٍ ثالث خارجٍ عن الدليلين ووجدنا في سُنة نبينا صلى الله عليهِ وسلم قولهُ " لا وصية لوارث " ففهمنا أنّ آية المواريث ناسخةٌ لآية الوصية ..
هذا مسلكُ من ؟ الشافعي وكثيرٌ من أهل العلم .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
لكن حررتُ معنى قول الشافعي هذا هو المسلك :
قالوا نحنُ بين آيتين إمّا أن نجمع بينهُما فنُعطي الوالدين مثلاً : ما فرضهُ اللهُ لهُم في آية المواريث ويحقُ لنا أن نوصي لهُم بل كُتب وجب علينا أن نُوصي لهُم . أو أن ننسخ المُتقدّم بالمُتأخّر فلمّا احترنا بينهُما عمدنا إلى مُرجحٍ خارجٍ من محلِ النزاع ووجدنا في السُنة حديثاً اتفق الناسُ على نقلهِ نقلةً مُتواتراً وإنّ كان في أصلهِ حديث أحاد : أي أنهُ لا اختلاف حول متنهِ فجعلنا هذا المُرجّح وهو قولهُ صلى الله علية وسلم " لا وصية لوارث " شيئاً بيدنا حكمنا بهِ على آية الوصية أنها منسوخة .
وهذا القول اختارهُ جمعٌ من العُلماء من أشهرهِم من المُفسّرين ابنُ كثيرٍ رحمهُ الله .
قال آخرون سلكوا مسلكاً آخر :
قالوا لا نقولُ إنّ آية الوصية منسوخة ولكن نقولٌ إنّ آية الميراث مُخصّصة لآية الوصية فنأتي لمن فرض اللهُ لهُم في آية المواريث فنُخرجهُم من الوصية ونُبقي الوصية للقرابة ولمن لم تُخرجهُم آيةُ المواريث .،
وآيةُ المواريث لا يُمكنُ أن تُخرج الوالدين إلا في حالة واحدةٍ إذا كان كلاهُما أو أحدُهُما كافراً فإذا كان كافراً أحدهُما أو كلاهُما استطعنا أن نجمع ما بين إعمال آية المواريث وإعمال آية الوصية فجعلوها مُخصّصة آيةُ المواريث جعلوها مُخصّصة لماذا ؟
لآية الوصية .
القاسميُ رحمهُ الله صاحبُ كتاب محاسن التأويل والذي سمينا البرنامجَ عنواناً باسمهِ نقل ما ذكرهُ العُلماء كما صنع غيرهُ من المُفسرين ثُمّ كتب في كُتيبٍ عندهُ خاص أسماه الموارد

والسوانح العلمية وهُو ما يطرأُ عليهِ بعد التأليف كتب رأيٍ آخر لم يُدونهُ في محاسن التأويل اطلع عليهِ الأُستاذ مُحمد فؤاد عبد الباقي رحمةُ اللهِ تعالى عليهِ وادخلهُ في متن التفسيرِ عندما أخرج تفسير القاسمي الذي هو [محاسنُ التأويل] للناس .

وهذا الرأيُ يقول :

إنّ الوصية هُنا في الشيء المعهود ولا تنازُع ما بين آية المواريث وآية الوصية فليست الوصية عندهُ هُنا بمعنى أنّ الله يُلزمنا أن نكتُب لفُلانٍ كذا وفُلانٍ كذا وإنّما (كُتِب عليكُم إذا حضر أحدكُم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف)

المعنى ::

فليتقي اللهِ وليعمل بما وصى اللهُ بهِ في آية المواريث فليعمل بما أوصى اللهُ بهِ في آية في آيـــــــة المواريث فيُعطي كُل ذي حقٍ حقهُ ولا يأتي بطرائق أو سُبل يحيدُ بها عن التقسيم الشرعي الذي نصّ اللهُ عليهِ في آية المواريث وقال ــ أي القاسميُ رحمهُ الله في معرضِ ما قال قـــــال " ولا أدري إنّ كان أحدٌ قبلي ذكر هذا أو لم يذكُرهُ "

وأنا على إطلاعي لم أقف على أحدٍ قالهُ قبل القاسمي وقد يكونُ كما قال القاسميُ قالهُ غيرُهُ .

الذي يعنينا هذهِ تخريجُ العُلماء من حيثُ الجُملة

وقال آخرون وهو في رأي ظنٌ بعيدٌ جداً ::

العمل بكلتا الآيتين وأنّ كلاهُما مُحكمة فجمعوا ما بين آية المواريث وآية الوصية وهذا وإنّ اختارهُ قلّة لكنّهُ موجود وإن كُنتُ أراهُ بعيداً في الترجيح .

هذا الإجمال حول آية الوصية ..

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قال اللهُ بعدها ::
(فمن بدّلهُ بعد ما سمعهُ فإنّما إثمهُ على الذين يُبدّلونهَ إنّ الله سميعٌ عليم)ينبغي أن تعلم أيُها المُبارك أنّ المُخاطب بهذا ثلاثة ، المُخاطب بقول اللهِ جل وعلا (فمن بدّلهُ بعد ما سمعهُ فإنّما إثمهُ على الذين يُبدّلونهَ)
من هُـــــــــــــــم ؟
*** الشُهود : فيُصبح معنى الخطاب أنّ لا يكتُموا الشهادة .**
*** والوصي القائم على تنفيذ الوصية ألاّ يُغيّرها ولا يُحوّر فيها .**
*** والثالث لا يُمكن أن يكون الموصى إليهِ لكن الثالث هُم الورثة .**
فكيف يكون الخطاب للورثة ؟
بألاّ يكونُ يحُولُ بين المال وبين وصُولهِ لمن أوصى صاحبُ المال لهُ أو إليهِ .
أصبح المخاطبون بهذهِ الآية (فمن بدّلهُ بعد ما سمعهُ فإنّما إثمهُ على الذين يُبدّلونهَ) قُلنا ثلاثة :
الشهُود لا يكتموا الشهادة .
والوصي أن لا يُغير ولا يُحوّر فيها .
والثالث الورثة أن لا يمنعوا وصول ما أوصى بهِ الميّت لغيره .

أمّا قول اللهِ جل وعلا (فمن خاف من مُوصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهُم فلا إثم عليهِ إنّ اللّه غفورٌ رحيم)
أولاً نقول :
الجنف : الميل والعدُول عن الاستواء ...
والفرقُ بين الجنف والإثم أنّ الجنف هو الخطأ من غير عمد ،، أمّا الإثم فهو الجورُ بعمد .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

الإثمُ أيُها المُبارك الجورُ بعمد ، و الجنف الخطأ من غيرِ عمد .

قولهُ جل وعلا (فمن خاف من مُوصٍ جنفاً أو إثماً)
ينبغي أن تعلم أن خاف هُنا بمعنى :. توقّع وغلب على ظنّهِ وعلمِهِ .
تُريدُ أن تخرُج الساعة الثانية ظُهرا والسماءُ مُلبّدة بالغيوم فقرّرت أن تخرُج الساعة الواحدةَ والنصف فسألك بعضُ من يعرفُ موعدك لما بكّرت ؟ فتقول أخافُ أن تُمطر السماء .
والمعنى أتوقّع أن تُمطر السماء يغلبُ على ظني أن تُمطر السماء فتُعيقني فهذا معنى قولِ اللهِ جل وعلا (فمن خاف من مُوصٍ جنفاً أو إثماً)
يُصبحُ المعنى :..
هذا الوصي أو من كان حاضرا إذا غلب على ظنّهِ أو توقّع أنّ الميّت ــ طبعاً نقول الميت باعتبارِ ما سيكون و إلا الإنسان عندما يُوصي يوصي وهو في حالةِ رُشد وقُدرة ــ توقعّت أو غلب على ظنّك أنهُ يُريدُ أن يُضرّ بالورثة فيكون منهُ وصيةٌ بأكثر ممّا ينبغي أو أن يكوُن المالُ قليلاً لا يحتمل أن يُوصي منه فتدخّلت بكلامٍ طيبٍ هيّنٍ ليّن تخشى فيهِ من وقوع هذا الميت في خطأٍ إمّا بعمدٍ أو بغير عمد فهذا ليس كالأولين الذين خُوطبواً بقول اللهِ جل وعلا (فمن بدّلهُ بعد ما سمعهُ) اختلف الوضع فالأولون يُريدون الإفساد فلذالك اللهُ حذرهُم وقال (سميعٌ عليم) .
وأمّا الآخر فإنّ هؤلاء يُريدون الإصلاح .
لكن ما الذي أشكل على أهل العلم ؟
أن المُصلح يأتي التذييل على أنهُ يُثاب فلما قال جل وعلا (فلا إثم عليهِ إنّ الله غفورٌ رحيم)

ويُمكنُ توجيهُ الاسمينِ الكريمين من أسماء الله هُنا على الأمرين :
فيُصبح أن المُوصي وهو الميّت لو أخطأ وتعمّد الخطأ فحذّرهُ أو نبّههُ من هو عندهُ فرجع عن خطأهِ فالله يقول0(فإنّ الله غفورٌ) لهُ ما كان منهُ في الأول بعودتهِ إلى الحق ، (رحيمٌ) بمن؟ بمن أرشدهُ ودّلهُ بان يعدل عن الخطأ والإثم [واضـــح]
فيُصبح غفور تنصرف إلي الذي أخطأ ثُمّ آب ، ورحيم تنصرف على من أرشد ودّل على الخير وبهذا فيما يبدُو لنا يستقيمُ المعنى قال الله جل وعلا (فمن خاف من مُوصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهُم فلا إثم عليهِ إنّ الله غفورٌ رحيم)
نعـــــــــــود لصناعة اللغوية في الآية ::..
الله يقول : (كُتب عليكُم إذا حضر أحدكُم الموت)

أي إنّ حضرتهُ مُقدّمات الموت و إلا الموت نفسهُ إذا حضر لا يُمكنُ لأحدٍ وقتها أن يتحدث أو يُوصي أو يقول شيئاً .
والإنسان عند الموت تغلبُ عليهِ جبلّتُهُ ويفيء إلى أصلِ نبتتهِ فالذي ذوي غرسٍ جيد ومعدنٍ مُحكم وأصلٍ في الناس حتى لو صاحب حياتهُ أخطاء لبعض قراباتهِ ومن حولهُ إذا دنا الموت يشعُر بالندم فيُحاول أن يُعوّض ويتراجع .
وأمّا والعياذُ باللهِ من كان سيء السريرة أصلاً خبيث النفس اللؤمُ فيهِ مُتحكّم فإنهِ حتى لو دنا الموت لا يزيدُ الأمر إلا وبالاً هذا واحد ..
الخير في القرآن ورد كثيراً بمعنى المال ومنهُ قولُ اللهِ جل وعلا (وإنهُ لحُبِ الخيرِ لشديد)
لكن هُنا (إن ترك خيراً) فيها إشعار لُغوي أنّ ليس كُل مالٍ يُوصى منهُ إلا ما كان يجتنبُ فيهِ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أمران :

الكثرة ومردُ معرفتها عن القلّة إلى العُرف .

والأمر الثاني :

الذي يجتمعُ في المال حتى يُسمّى خيرا أن يكون مُكتسباً من وجوهٍ حسنةٍ مُباحة فالمالُ إذا كان وفيراً مُكتسباً من وجوهِ حسنة هذا الذي يتأتى فيهِ الأمرُ القُرآنيُ أن تكون فيهِ الوصية . وهذا الذي يُفهم من السياقِ اللُغوي في قول اللهِ جل وعلا (إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدينِ و الأقربين بالمعروف حقاً على المُتقين) .

جاء في أثرٍ عن الإمام أحمد رحمهُ اللهُ تعالى أن أحد الصحابة جمع أكبر بنيهِ وقال لهُ ادعُ لي إخوتك فدعاهُم فقال لهُ إنّني أُريدُ أن أُوصي وأبداً بيتيمٍ في حجري ــ لمّا قُلنا يتيم سيكونُ ميت الأب ــ أي ليس ابناً لهذا الموصي فأوصى لهُ بمئةٍ من الإبل والنياق كانت تُسمّى المُطيبة عند العرب فقال الأبناء وهُم يتهامسون إنّنا وإن رضينا بهذا في حياةِ أبينا فلن نقبل بهِ بعد وفاتهِ فذهب الأخُ الأكبر وأخبر أباه فقال الأبُ ــ وما أسعدهُ من جيل لأنهُم يحتكمون إلى رسول اللهِ صلى الله علية وسلم ــ قال بيني وبينكُم رسول الله فحُمل يحفُهُ أبناؤهُ ومعهُ اليتيم فلمّا أقبل على النبي صلى الله عليهِ وسلم ذكر لهُ القضية فلمّا قال مئةً غضب صلى الله عليهِ وسلم وتغير وجههُ و قال لا لا لا لا ثُمّ قال عشرة ، خمسة ، عشرة ، خمسة عشر يرتفع حتى أوصلها صلى اللهُ عليهِ وسلم كحدٍ أقصى إلى أربعين قال " فإن أبيت فأربعون " وهو كم أراد ؟ مئة .

وهذا من دلالة كمال عقلهِ صلى الله عليهِ وسلم لأن هذا يُفضي إلى النزاع ويُفضي إلى سوء ظنّ الأبناء بأبيهم وقد يُفهم منه أنهُ أراد الفخر

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

والخُيلاء إذ حرم من لهُم الحق ووزّعهُ في غيرِ ؟ في غيرِ مكانهِ .

فقال صلى الله عليهِ وسلم " فإن أبيت فأربعون " ثُمّ إنّ النبي صلى اللهُ عليهِ وسلم كأنهُ أُعجب باليتيم إذ معهُ هراوة يضربُ بها الجمال فقال " ما أعظمها من هراوةٍ في يد يتيم " ..
ثُمّ إنّ الرجُل قبل أن يُودّع النبي عليهِ الصلاةُ والسلام قال يا نبي الله إنّ لي أبناء وإنّ منهُم ذوي لحى ـ أي كبار ـ وإنّ أصغرهُم هذا ـ كان اسمهُ حنظلة طبعاً غيرُ اليتيم ـ فادعُ لهُ فوضع النبيُ صلى الله علية وسلم يدهُ على جبهتهِ وقال " بارك الله فيك " ثُمّ إنّ هذا الشاب بعد وفاة النبي صلى الله عليهِ وسلم كان يُؤتى لهُ بالرجُل الذي فيهِ ورم أو بالبهيمةِ التي في ضرعها ورم ليقرأ عليهما أو على أحدهِما فيضعُ يدهُ ثُمّ يُسمي اللهِ ثُمّ يتفُلُ فيها ثُمّ يضعُ يدهُ على موضعِ يدِ رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم من وجههِ ثُمّ يضعهُ على الورم سواءً كان في رجُلٍ أو في بهيمة فيُزالُ ذالك الورم .
وكما قُلتُ الحديث عند الإمام أحمد رحمهُ الله في المُسند ...
المقصود كُل هذا ما يتعلقُ بقول اللهِ جل وعلا في آية الوصية .....

ثُمّ قال اللهُ جل وعلا :
(يا أيُها الذين ءامنوا كُتب عليكُم الصيامُ كما كُتب على الذين من قبلكُم لعلّكُم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكُم مريضاً أو على سفرٍ فعدّةٌ من أيامٍ أُخر وعلى الذين يطيقونهُ فديةٌ طعامُ مُسكين ....)
إلى آخر الآيات

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قول اللهِ جل وعلا (يا أيُها الذين ءامنوا) هذا نداءُ كرامة مرّ معنا نظائر لهُ من قبل .
(كُتب عليكُم الصيام) أي فُرض ، الصيامُ في اللُغة كما تعلمون الإمساك سواءٍ كان عن كلامٍ أو عن غيرهِ .
ويُقالُ صامت الريح إذا ماذا ؟ إذا ركدت وسكنت .
ويُقال صامت الخيل إذا لم تُعلف .
خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ
تحت العجاجِ وخيلٌ تعلكُ اللُجما
هذا لرؤبة ابنُ العجاج الرجسي.
الذي يعنينا هذا الصيامُ في اللُغة وهو ظاهر ..
وفي الشرع : الإمساكُ عن المُفطّرات من وقتٍ مخصوصٍ على مثلهِ .
الله يقول (يا أيُها الذين ءامنوا كُتب عليكُم الصيام) أي فُرض (كما كُتب على الذين من قبلكُم لعلّكُم تتقون)
ما وجهُ الشبة هل في الكيفية ، هل في الأيام كُلُ ذالك مُحتمل لكن لا نستطع أن نجزم بهِ..
بمعنى
**أن الصيام فُرض على الذين من قبلنا لكن هل فُرض عليهِم رمضان \ هذا ظاهرُ القرآن لكن لا نجزمُ بهِ **
**هل كانوا يصومون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس \ هذا ظاهرُ القرآن لكن لا نستطيع أن نجزم بهِ **
لكنّ الذي نجزم بهِ أن الصيام عباده تعبّد اللهُ بها من قبلنا .

(أياماً معدودات) ثُمّ قال بعدها بآية (شهرُ رمضان الذي أُنزل فيهِ القرآن)
جمهور المُفسرين على أن (شهر رمضان)

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
المذكورة المبدوءة بالمُبتدأ (شهرُ رمضان) هي تفصيلُ وإزالة إبهام من قولهِ (أياماً معدودات) وعندي أن هذا خلافُ الصحيح ...

والمعنى

ــ حتى تفهم ما يغلبُ على الظنّ أنهُ مُرادُ الله ــ

ربُنا يقول ــ سأُلخصُها بإجمال ثُمّ أدخُل في التفصيل ــ كتبتُ عليكُم الصيام في أول الأمر أياماً معدودات إمّا أن تكون يوم عاشوراء وثلاثة من كُل شهر .

(فمن كان منكُم مريضاً) ظاهر

(أو على سفر فعدةٌ من أيامٍ أُخر) يقضي فيها ماذا ؟

الصيامُ أيُ صيام صـــيام الثلاثة أيام الآن ليس لنا علاقة بماذا ؟ ليس لنا علاقة برمضان (فعدةٌ من أيامٍ أُخر)

(وعلى الذين يطيقونهِ) يطيقون صيام ثلاثة أيام (فديةٌ طعام مسكين) بمعنى أنّهُ مُخيّر ليس ليـــس بواجب لكنهُ لو أفطر يعدلُ على ماذا إلى الفدية .

(فمن تطوّع خيراً فهو خيرٌ له)

إمّا أن تكون زاد في الفدية أو جمع ما بين التطوع ما بين الصيام والفدية .

(وأن تصُوموا خيراً لكُم)

والمعنى :.

أنكُم إذا كُنتُم تقدرون على الفدية وتقدرون على الصيام فالصيام في حقكُم أولى . (إنّ كُنتُم تعلمون)

ثُمّ أرتفع الأمر و ارتقى إلى تكليفٍ أكبر فنُسخت ماذا ؟ الثلاثةُ الأيام وحلّ بدلاً منها ماذا ؟ شهرُ رمضان فليس شهر رمضان هو الأيام

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

المعدودات ويصعُبُ عندي في لُغة العرب أن يُقال لشهرٍ لا ينقُصُ عن تسعٍ وعشرين يوماً أنها أيامٌ معدودات وقولُ بعضِ الوعّاظ أحياناً بهذا قال بهِ جمهورُ المُفسرين لكنّني لا أستحسنُهُ .

نعود

يقولُ الله (شهرُ رمضان الذي أُنزل فيهِ القرآن) سأعود لهذهِ (هُدىً لناس وبيّنات من الهُدى والفُرقان فمن شهد منكُم الشهر) حضرةُ (فليصُمهُ) فليصُم الشهر الآن هذا الذي أوجب صيام صيـــــام رمضان وليس قولهِ جل وعلا (وعلى الذين يطيقونهُ) لأن الأُولى تتكلم عن الثلاثة الأيام لا تتكلم عن شهرِ رمضان .

(فمن شهد منكُم الشهر فليصُمهُ ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدةٌ من أيامٍ أُخر)

أي حضر الصيام أهلّ رمضان وهو في سفرٍ أو مريضاً (فعدّةٌ من أيامٍ أُخر) وبهذا يُفهم أن التكرار هُنا يتكلمُ عن كم قضية ؟

قضيتين لكنّنا لو جعلنا شهر رمضان بدلاً من أيامٍ معدودات يُصبح كم تكرّرت (فمن كان منكُم مريضا) مرتين [واضـــــح] يُصبح تكررت مرتين وهذا يُنزّه كلامُ اللهِ عنه لكنّ الأُولى في قول اللهِ جل وعلا : (فمن كان منكُم مريضا أو على سفر) يتكلم عن الثلاثة الأيام . أمّا قولُ ربنا في الثانية (فمن كان منكُم مريضا أو على سفر فعدةٌ من أيام ُخر) يتكلم عن ماذا ؟ يتكلم عن شهر رمضان لأنّ الآية عندنا في الأول منسوخة .

ثُمّ قال جل وعلا (يُريدُ اللهُ بكُمُ اليُسر) طبعاً معنى العبارة (فعدةٌ من أيامٍ أُخر) مُقدّر قبلها (ومن كان مريضاً أو على سفرٍ) فأفطر (فعدةٌ

من أيامٍ أُخر يُريدُ اللهُ بكُمَ ولا يُريدُ بكُم العُسر)
وتلحظُ هُنا أنهُ لا ذكر لقضية التخيير ولا ذكر لقولهِ جل وعلا (وأن تصُوموا) ولا ذكر للفدية لأنهُ لا يُوجد إلا صيامٌ وقضـــــاء .
.

(يُريدُ اللهُ بكُمَ ولا يُريدُ بكُم العُسر ولتُكملوا العُدة ولتُكبرُوا الله على ما هداكُم ولعلّكُم تشكرون)
كُلها لتعليل ..
لتُكملوا العدة تعليل لحرصهِ جل وعلا على مُراعاة العدة لقولهِ (فعدةٌ من أيامٍ أُخر) وقولهِ تبارك وتعالى (ولتُكبرُوا الله على ما هداكُم) هذا عند إكمال العدة .
و(لعلّكُم تشكرون) على ما أباحهُ لكُم من الفطرِ حال السفر أو حال المرض .
وبهذا في ظنّنا تستقيمُ الآيات ويُمكن تجنُّب لماذا كُررت (من كان مريضاً أو على سفرٍ) ، وقُلنا هذا خلافُ ما عليهِ جمهورُ أهل التفسير وجمهور أهل التفسير على أنّ شهر رمضان هو نفسهُ المقصُود بأيامٍ معدودات ، ويقولون بعضُ الآيةِ منسوخ وبعضُها غير منسوخ كما هو محررٌ في كُتب الفُقهاء .
هذا الإطلال العام للآية .:.

أمّا الإطلال الخاص فإنّنا نقول :
قال اللهُ جل وعلا : (شهر رمضان الذي أُنزل فيهِ القُرانُ)
اختلف العُلماء ما المقصُود بـــ (بُنزل فيهِ القُرآن) على قولين :
القول الأول ..
إنّ القُرآن أُنزل كاملاً من السماء إلى بيت العزة في السماء الدُنيا في شهر رمضان وهذا قولٌ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

لابن عباس رضي اللهُ تعالى عنه .
والآخرون وهو الذي أُرجّحهُ ..
أنّ المقصُود ابتداء نزول القُرآن على نبينا صلى الله عليهِ وسلم كان في أين ؟ في شهر رمضان وقد جاءت آثار تدلُ على أن كُتُب الأنبياء عليهم الصلاةُ والسلام كالتوراة والإنجيل والزبُورِ كُلِّها أُنزلت أين ؟ في شهرِ رمضان هذا أولاً .
جاء تكرار في الآية قولُ اللهِ جل وعلا (شهرُ رمضان الذي أُنزلِ فيهِ القُران هُدىً لناسِ) ثُمّ قال (وبيّناتٍ من الهُدى والفُرقان)
والجوابُ عن هذا التكرار أن يُقال :
إنّ الهُدى الأول هو الهُدى الذائع العام الذي يكاد يعرفهُ كُلُ أحدٍ في القُرآن ولهذا قال (هُدىً لناس)
وأمّا الهُدى الثاني فهي غوامضُ القُرآن التي لا تُدرك إلا بالاستنباط والتي لا يعرفُها إلا العُلماء .
[واضـــــــــــح]
قال جل وعلا
(هُدىً لناسِ وبيّناتٍ من الهُدى والفُرقان فمن شهد منكُم الشهر فليصُمه ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدةٌ من أيامٍ أُخر يُريدُ اللهُ بكُمَ ولا يُريدُ بكُم العُسر ولتُكملوا العُدة)
من قول اللهِ جل وعلا و اضرابها في القُرآن (يُريدُ اللهُ بكُمَ ولا يُريدُ بكُم العُسر) أخذ العُلماء القاعدة التي تقول إنّ المشقة تجلب التيسير .
قد أُسّس الفقهُ على رفع الضرر
وأنّ ما يشقُ يجلبُ الوطر
الوطر بمعنى السعة والتخفيف هذا ما استنبطهُ العُلماء من قول اللهِ (يُريدُ اللهُ بكُمَ ولا يُريدُ بكُم العُسر) .
كذالك يُمكن القولُ في هذهِ الآيات المُباركات جُملة .:

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

قال الإمامُ الذهبيُ رحمةُ الله عبارة جلية يحسنُ أن يستشهد بها الخُطباءُ إذا خطبوا عن رمضان قال رحمةُ الله " وعند المؤمنين مُقّرر أن من أفطر من يوماً رمضان من غير عُذر فهو شرٌ من الزاني ومُدمن الخمر ويظنُون بهِ الزندقة والانحلال "

وهذهِ العبارةُ عندي ـ عندي أنا ـ عندما قرأتُها لذهبي من أفضلِ ما قرأتُ للعُلماء في الاستنباط من أحكام الشرع وتقنينهِ بلُغةٍ فقهيةٍ وعظيةٍ راقية .

" وعند المؤمنين مُقّرر أن من أفطر من يوماً رمضان من غير عُذر فهو شرٌ من الزاني ومُدمن الخمر ويظنُون بهِ الزندقة والانحلال "

عياذاً باللهِ من هذا كُلهِ .

ثُمّ قال العليُ الكبير :

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريبُ أُجيبُ دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا لي وليُؤمنوا بي لعلّهُم يرشدون)

اللهُ تبارك وتعالى قريبٌ في علوهِ عليٌ في دنوهِ

وهذهِ العبارة قالها شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمةُ الله وهي من أجملِ اما نُقل عنه عند الكلامِ عن باب الأسماء والصفات {أنّ الله جل وعلا قريبٌ في علوهِ عليٌ في دنوهِ } فما ذكرهُ جل وعلا من علوهِ وفوقيتهِ لا يتنافى مع ما ذكرهُ جل وعلا من قُربهِ ومعيتهِ .

الصحابة رضي اللهُ عنهُم فيما ورد في سبب نزول هذهِ الآية أنهُم قالوا يا نبي الله " أقريبٌ ربُنا فنُناجيهِ أم بعيدٌ فنُناديهِ " فأنزل الله جل وعلا قولهُ (وإذا سألك عبادي عني) فأضافهُم إليهِ إضافة تشريف . ولم يقُل فقُل لهُم وإنّما

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

أُختُصرت الطرائق اللفظية لتُبين لك اختصار الطرائق المعنوية .

قال اللهُ جل وعلا (فإني قريب) ولم يأتي في القُرآن جواباً لسؤال هكذا إلا في هذا الموضع

(فإني قريبُ أُجيبُ دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا لي وليُؤمنوا بي لعلّهُم يرشدون)

لابُد من تحرير وجه الخلاف في المعنى ما بين الاستجابة والإيمان ؟

أولاً هُما مُتلازمانِ لا استجابة إلا بإيمان والإيمانُ يدلُ على الاستجابة .

لكن من حيث التحرير اللفظي : الاستجابة تتعلّق بالجوارح والإيمان يتعلّق بالقُلُوب .

(لعلّهُم يرشدون)

لا ريب أن الاستجابة لأمر اللهِ مع الإيمان بهِ جل وعلا ودُعاءهِ هو مُنتهى الرُشد فلا حُصُول إلى الرُشدِ الحق إلا بالإيمان بهِ جل وعلا واستجابة الجوارح لأوامرهِ ونواهيهِ مع دُعاءهِ تبارك وتعالى ، والآيةُ ظاهرةُ المعنى في فضل الدُعاء والثناء على الرب تبارك وتعالى وهذا قد بسطنا القول عنهُ كثيراً في أكثر من موضع .

قال الله جل وعلا بعدها في ختام آيات الصيام :

(أُحلّ لكُم ليلة الصيامِ الرفثُ إلى نساءكُم هُنّ لباسٌ لكُم وأنتُم لباسٌ لهُنّ علم اللهُ أنكُم كُنتُم تختانُون أنفُسكُم فتاب عليكُم وعفا عنكُم)

(أُحل لكُم)

فيهِ إشعار على أنهُ كان مُحرماً

جُمهورُ المُفسّرين قالوا :

كان الإنسانُ من كان المُسلمُ آنذاك في عهد الصحابة يحقُ لهُ إذا أفطر أن يأكُل ويشرب ويُجامع إلى أن ينام فإذا نام ثُمّ أستيقظ لا يحقُ لهُ بعد ذالك أن يأتي أهله ، هذا كان المشهور

عندهُم وخالف بعضُ العُلماء في هذا لكنّ لا شك أن قول الله جل وعلا (أُحل لكُم) دلالة على أنهُ كان مُحرماً .

(الرفثُ إلى نسائكُم)

الرفث في الأصل ما قبُحَ من القول وفحُش وهو هُنا مُقدّمات الجماع .

(هُنّ لباسٌ لكُم وأنتُم لباسٌ لهُنّ)

هُنا العُلماء يقولون لطيفة حسية أو لغوية ــ طبعاً ــ (هُنّ لباسٌ لكُم وأنتُم لباسٌ لهُنّ) يُفهم منهُ الالتصاق والقُرب و الالتصاق والقُرب يصعُبُ معهُ البُعد .

فما معنى الآية ؟

معنى الآية إذا كان حالكُم مع أزواجِكُم حال مُخالطة والتباس والتقاءُ بشرة لِبشرة فمن الصعب أن تصبرُوا عنهُم فرحمةً بكُم أحللنا بكُم أن تأتوُهُم ليلاً في رمضان [واضــــح]

فيُصبح هذهِ الآية جاءت مُذيّلهِ لقول الهِ جل وعلا (أُحلّ لكُم ليلة الصيامِ الرفثُ إلى نساءكُم هُنّ لباسٌ لكُم وأنتُم لباسٌ لهُنّ علم اللهُ أنكُم كُنتُم تختانُون أنفُسكُم)

أي يحصُل منكُم رغبة في الوصول إلى الزوجات ورُبما وقع بكُم وصولٌ إلى الزوجةِ فيكون قد خالف الأمر الشرعي والخيانة الاختيان هُنا (تختانون) مأخُوذٌ من الخيانة كما أنّ الاكتساب مأخُوذٌ من الكسب .

نقول نستطرد قليلاً :

يُقال خان الرجُل الرجـُل إذا ماذا ؟ غدر بهِ ، خان الرجُل الرجـُل إذا غدر بهِ

خان الرجُل العهد إذا نقضه .

خانني الدهر إذا تغيّر حلهُ من خيرٍ إلى شر .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

خان السيفُ إذا ـ إذا لم يقطع يُسمّى هي غير خيانة لفظة أُخرى لسيف ــ خان السيفُ إذا نبا .
ما معنى نبا السيف ؟ أي لم يقطع .
يقول حافظ :
السيفُ نبأ " بمعنى لم يقطع "
ويقولون لكُل صديقٍ جفوة ـ هذي مرت معنا ــ ولكُل عالمٍ هفوة ولكُل سيفٍ نبوه فيقولون خان السيفُ إذا لم يقطع وقُلنا خان الرجُل الرجُـل إذا غدر بهِ ، وخان العهد إذا نقضهُ ، وخانني الدهرُ إذا تغيّر من خيرٍ إلى شر .
كُلُ شيءٍ أمّلت فيهِ فلم يُسعفك وقت ما أمّلت فيهِ من حيثُ الجُملة يُسمّى خيانة خانتني رجلاي فلم أمشي عليها إمّا لخوف أو لفزع والأصلُ أنك تمشي عليها وكان شوقي رحمهُ الله مُحباً لمُصطفى كامل زعيم مصري سياسي وبينهُما علاقة وطيدة ولكنّ شوقي كان يمنعهُ من برهِ شعراً لصديقهِ أنّ صديقهُ خارج على حُكومتهِ مؤسّس لحزبٍ مُعارضٍ للقصر ، وشوقي أين نشأ ؟
نشأ في قصر ولقد ولدتُ باب إسماعيل في بيت الخديوي فلّما مات مُصطفى كامل وقّع شوقي أنهُ سيُرثيهِ بمرثيةٍ قلّ سماعُها لما بينهُما من صُحبة ولأنهُ ينتظر هذا اليوم ولأن أصحاب القصر لن يُعنفوُا شوقي على رثاء مُصطفى كامل لأن مُصطفى كامل قد أمن شرهُ بماذا ؟ بموتهِ فعندما أراد شوقي أن يٌرثيهُ لم يرقى بمرثيتهِ إلى ما يُريد :
وأنا الذي ــ يقول في المرثية المرثيــة يقول مطلعُها ــ
المشرقانِ عليك ينتحبان
قاصيهُما في مأتمٍ والداني
إلى أن قال :

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وأنا الذي أُرثي الشموس إذا هوت
فتعودُ سيرتُها إلى الدورانِ
ماذا دهاني يوم متْ فعقّني
فيك القريضُ خانني إمكانِ

هذا موضع الشاهد : وخانني إمكانِ ، قُلنا الخيانة الشيء الذي تُؤمّل فيهِ فلَا يقع

ماذا دهاني يوم متْ فعقّني
فيك القريضُ خانني إمكانِ

فإذا ضعُف إيمانُ العبد وهذهِ تأمّلها في الناس تجدها ظاهرة وشعر بالنقص في أيِ مكانٍ ترّقب الناسُ فيهِ كمالاً ثُمّ وقع منهُ نقصاً أو كمالاً أو هفوة أو جموح أو عدم وصولٍ على مقصود تظطربُ نفسُهُ فإذا إظطربت نفسهُ جمحت إمّا لسيء الأفعال أو لسيء الأقوال فإنّ كان تقياً ألجمتهُ التقوى أن لا يخرُج منه ما ليس محموداً ولهذا قال النبي علية الصلاةُ والسلام في المُنافق " إذا خاصم فجر " لأنهُ يشعرُ بالغلبة فتأتيهِ نفسهُ أن ينتصر ولا يُوجد لجامٌ من التقوى ماذا يحصُل ؟ يحصُل فجُوره في الخصومة .

فشوقي رحمهُ الله وعفا عنه عندما قال هذهِ القصيدة وخانهُ إمكانهُ وعقّهُ قريضُهُ ولم يستطع أن يقُل شيئاً يرقى إلى مراثيهِ في غير مُصطفى كامل جنح إلى الآثام فقال :

لو كان في الذكر الحكيم بقيةٌ
لم تأتي بعدُ رُثيت في القُرآنِ
مصرُ الأسيف تُريفُها وصيدُها
قبرٌ أضرٌ على عظامك حانِ
أقسمتُ أنك في التُرابِ
طهارةٌ ملكٌ يهابُ سؤالهُ الملكانِ

وهذا فحشٌ من القول كُفر لكنّ حللّهُ نفسياً ما الذي دفع شوقي إليهِ وقوعهُ فأبى عليهِ كبرهُ

الشعري إلا أن يظهر فقُلت لا لجام التقوى حقيقي يمنعهُ فأطلق لنفسهِ العنان وهذا قابلاٌ لأن يأتينا جميعاً ولذالك لا لجام مثل لجام التقوى .
وعُمر رضي اللهُ تعالى عنه لمّا مرّ على تلك المرأة سمعها تقول :
تطاول هذا الليل واسودّ جانبُهُ
وأرقني ألا حبيب أُولاعبُهُ
فواللهِ لولا الله لا شيء غيرهُ
لحُرّك من هذا السريرُ جوانبهُ
مخافةُ ربي والحياءُ يكُفّني
وإكرامُ بعلي أن تُنال مراكبُهُ
على ما في هذهِ الأبيات من أُمورٍ غير مقبولة لكن قولها : مخافةُ ربي
قال عُمر رضي اللهُ تعالى عنه " نعم اللجام لجام التقوى " فأنت عندما تُريدُ أن تُنشأ أحداً تحتَ عينيك ابنك أو طالبك فإنك لن تُسقيهُ شيئاً أعظم من لجام التقوى ، أمّا المعلومات والمعارف سيصلُ غليها ذات يوم بقرأتهِ لكنّ أنت أعطهِ المنهج العام والطرائق التي يصلُ بها إلى مقصودةِ ثُمّ عظّم اللهِ جل وعلا في قلبهِ وليكُن خطابُك الدعوي والعلمي مبنياً على أن تُعظّم الله جل وعلا في القلوب أمّا المعلومات أو المعارف أو نثرِ الأحكام أو رفعُ الصوت في نبرة الوعظ هذا كُلهُ لا يُقّدّمُ ولا يُؤخّر إنّ كان الذي تُخاطبهُ محرُوماً من معرفة اللهِ جل وعلا إذّ أن القضيةً عندهُ ليست قضية علم وإنّما قضية أن لا لجام من التقوى يمنعهُ من أن يصل إلى المعاصي .

قال الله جل وعلا : ــ نعود للآيات ابتعدنا كثيراً ــ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

(علم اللهُ أنكُم كُنتُم تختانُون أنفُسكُم فتاب عليكُم وعفا عنكُم فالآن باشرُهُنّ) قُلنا المُباشرة : إلصاقُ البشرة بالبشرة (وابتغوا ما كتب اللهُ لكُم) آية عامة لكنّ أول ما تنصرف إليهِ الولد (وكُلوا واشربوا حتى يتبيّن لكُم الخيطُ الأبيضُ من الأسود من الفجر ثُم أتمّوا الصيامَ على الليل) وهذهِ ظاهرة وإنّ كانت أشكلت على بعضِ الصحابة لكن مأخوذة حتى يتبين الفجرُ الصادِق من الفجر الكاذب .

ثُمّ قال الله : (ولا تُباشرُهُنّ وأنتُم عاكفُون في المساجد)
الإسلام يرقى بأتباعه في قاعدة يا بُني تحتمل الجميع لكنّ القواعد كُلّما علت لا تحتملُ إلا ماذا ؟ أجيبوا
أُعيـــــــــــــــــد
القاعدة العامة تحتمل الجميع لكنّ المنازل كُلّما علت لا تحتملُ إلا القليل حتى يُصبح لا تحتملُ إلا واحد .

فالصِيام منزلة جبرية بمعنى أنهُ فرض علينا جميعاً ليست جبرية على المذهب العقدي لكن علينا جميعاً و أنت وأنت صائم لك أن تأتي أهلك ليلاً لكنّ المُعتكف ليس لهُ أن يأتي أهلهُ ليلاً منزلة أشّق ولذالك هي منزلة أضيق .
(ولا تُباشرُهُنّ) وقبل قليل (فالآن باشرُهُنّ) لكنّ الآن قال (ولا تُباشرُهُنّ وأنتُم عاكفُون في المساجد) معلومٌ لديكُم أنّ ليس كُلُ الناس عاكفين في المساجد (ولا تُباشرُهُنّ وأنتُم عاكفُون في المساجد) ظاهرُ القُرآن على أنّ أي مسجدٍ يُعتكف فيهِ .
والاعتكاف ـ يعني من باب الناحية الفقهية ـ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يقع على ثلاث أوجهُ :
يقع سُنّة .
ويقع مندُوباً .
ويقعُ واجباً .
فمتى يقعُ سُنةً ؟
في العشر الأواخر من رمضان .
ويقعُ مندوباً في كُلِ وقت إلا العيدين لأنهُ لا صيام في العيدين .
ويقعُ واجباً إذا ــ شاركوا ..
إذا نذر إذا ألزم نفسهُ ونذر .
(تلك حُدودُ اللهِ فلا تقربُها كذالك يُبينُ اللهُ آياتهِ لناس لعلّهُم يتقون)
الحمدُ للهِ الذي بيّن لنا آياتهِ فنســــــــــــــــأَلُ اللهَ كما بيّن لنا آياتهِ أن يرزُقنا التقوى والعمل بها
....
هذا ما تيسّر إيرادُهُ وتهيأ إعدادُهُ واللهُ المستعان وعليهِ البلاغ وصلى اللهُ على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ للهِ رب العالمين ....]/

بسم الله الرحمن الرحيم
أن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرُهُ ونعوذُ بالله من شرور أنفُسنا وسيئات أعمالنا من يهدِهِ اللهُ فلا مُضل لهُ ومن يُضلل فلن تجد لهُ ولياً مُرشدا ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له ، وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمداً عبدهُ ورسولهَ صلى الله عليهِ وعلى آلهِ وأصحابه وعلى سائر من أقتفى أثرهُ وأتبع منهجهُ بإحسانٍ على يوم الدين ..
.....أما بعد .....
فكُنّا قد انتهينا في لقاءٍ ماضٍ إلى آيات الصيام ونزدلفُ اليوم إلى قول الله جل وعلا :

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

(ولا تأكلُوا أموالكُم بينكُم بالباطل وتدلُوا بها إلى الحكّام لتأكلوا فريقاً من أموال الناسِ بالإثمِ وأنُتم تعلمون)

معلومٌ أنّ الإنسان إذا أجرينا الأمور على حقيقتها لهُ أن يأكُل من مال نفسهِ لكنّ قول ربنا جل وعلا (ولا تأكلُوا أموالكُم) هذا ممّا يُسمّى من إقامة الأخِ مقام النفس أقام اللهُ الأخ مقام النفس وفي هذا إشارة أن المُجتمع المُسلم مُجتمعٌ يختلفُ كثيراً عن غيرهِ من المُجتمعات ذالك أن الإسلام يُربي أتباعهُ على أن يكونُوا كالجسدِ الواحد وقد تظافرت نُصُوص القُرآن والسُنة على هذا .

(ولا تأكلُوا أموالكُم)

أي على وجهٍ مُحرّم وهذا لهُ من الناحية الفقهية صورتان لهُ صُورتان :

الصورة الأُولى :

الناتجة عن الظُلم كالسرقة والنهب والغصب والاختلاس فهذهِ صُور تحملُ معنى القوة ، تحملُ معنى الظُلم في الوصُول إلى أموال الناس .

والصُورةُ الأُخرى :

لا تحملُ معنى الظُلم ولا التسلُط لكنّها في نفس الوقت يكوُن المالُ المُكتسبُ من خلالها حراما مثل صورة بيع الخمر ، لعب القمار وأمثال ذالك من الطرائق التي لا تحتملُ معنى القوة والتسلُط لكنّها تحتملُ معنى الطرائق المُحرّمه التي ولو تمّت بالاتفاق كأخذِ أموالِ الناس ربا فهذا ولو تمّ باتفاقٍ وتراضٍ إلا أنهُ طريقٌ مُحرمٌ في كسب المال .

ثُمّ قال الربُ :(ولا تأكلُوا أموالكُم بينكُم بالباطل وتدلُوا بها إلى الحُكّام)

وهذهِ الأموال التي إذا قُدّر أن جمعتُمُوها

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
بالباطل تكونُ أشد إثماً وأعظم جُرما إذا كُنتُم تتوصلون بها إلى ميل الحُكّام وجورهِم لأجلكُم والحُكّام يدخُلُ فيها الحاكمُ أولاً ومن يُنيبهُم من القُضاة ، والذين لهُم حقُ الفصل بين الناس وجعل الله بيدهِم أمراً أو نهياً أو نواصي خلق .
(وتدلُوا بها إلى الحُكّام لتأكلوا فريقاً من أموال الناسِ بالإثم)
فالمالُ الذي نتشفّعُ بهِ ونتوسّلُ بهِ إلى استجداء الحاكم أن يكون معاً ضد غيرنا ينجُم عنهُ أن الحاكم سيُمارِؤنا ويميلُ إلينا لو رُفعت إليهِ الخصُومةُ نحنُ أحدُ طرفيها وهذا كُلهُ بسبب ما قدّمناهُ لهُ من أموال تُسمّى في عُرف الشرعِ برشوة وألبساه اليوم لباس الهدايا وغير ذالكَ من التذكار وأشباههِ فيكونُ الوصول إلى ما يُريد عن طريق إقامة علاقات مالية غيرُ جائزةٍ شرعاً يُرادُ بها أن يُغضّ الطرف وقدّ جرت سُنةُ اللهِ في خلقهِ في عامة الناس إلا من ألجم بالتقوى أنك من أطعمت فمهُ غضّت عنك عينُهُ ، أنّ من أطعمت فمهُ غضّت عنك عينهُ وذالك الأحرارُ من الرجال يأنفُون أن يكونَ لأحدٍ عليهم منّة حتى لا تدفعهُم تلك المنّة أن يغُضُوا طرفاً عمّا لا يليق .
قال البارُودي : ـ وهو يُعتبرُ عند أهل البلد مُجدداً لشعر العربي بعد كبوتهِ ـ يقول :
خُلقتُ علوفاً لا أرى لابن حُرةٍ
علي يداً أغضي لها حين يغضبُ
والمقصُودُ من الآيات أنّ الله حل وعلا يُريدُ من المُجتمعِ هذا أن يكونَ الحقُ هو السائد فيهِ والمُهيمن عليهِ وأنّ الناس لا يأكُل قويهُم ضعيفهُم وهذا من طرائقِ أنّ يكون الحقُ هو السائد ألاّ يكون للحُكامِ ومن يُنيبُنهُم طريق إلى الغير وهذا الطريقُ إلى الغير يكونُ بعدم إعطائهِم ما يُستدرجُون بهِ حتى يكونوُن في

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
صفّنا على غيرنا هذا مُرادُ اللهِ جل وعلا من الآية وقد جاءت بعد آيات الصيام التي نهت عن شهوتي الفرج والبطن .
ولمّا كان حُبُ المال مُتأصلاً في الناس قال اللهُ (إنهُ لحُبِ الخير لشديد) حرّم اللهُ جل وعلا الباطل في كسبهِ واستخدامهُ فيما هو أشنعُ منه في الوصُول إلى رضا الحُكّام الذي يُنجمُ عنهُ أن تُأكل أموالُ الناسِ بالباطل ،ٌ قال الله (لتأكلوا فريقاً من أموال الناسِ بالإثمِ وأتُم تعلمون)

ثُمّ قال ربُنا وهو أصدقُ القائلين :
(يسألونك عن الأهلّة)
جاء الجوابُ القُرآني (قُل هي مواقيتُ لناسِ والحج)
ثمّةَ يا أُخي في أسلُوب العرب من كلامنا أسلوب يُسمّى أسلوب الحكيم وأسلوب الحكيم يُمكنُ إجمالهُ في جُملةٍ واحدة هوتلقي السائل بخلاف الذي يطلبُهُ فأنت تُجيبهُ جواباً غير مُتوقعٍ من لدُنه لكنّ هذا الجواب أشدُ فائدة لهُ .
منهُ أنّ جماعة جاءوا لنبي صلى الله علية وسلم قيل بعضُ الصحابة وقيل أنهُم بعضُ اليهود ولا يعنينا ــ لا يتعلقُ عليها كبيرُ علمٍ أو كبيرُ خلاف ــ سألهُ عن الهلال لماذا يبدو دقيق ثُمّ يكتمل ثُمّ يعُودُ كما كان .
فاللهُ يُجيبهُم أن ليست السؤال لا ينصرف أصلاً ما السبب في كونها هكذا يبدو لكن ما الغايةُ من كونهِ على هذهِ الحالة فنقلهُم الله من السببية إلى الغائية هنا ليست اللغو وإنما الغاية نقلهُم الله إلى الغاية .
فبيّن الله (يسألونك عن الأهلّة قُل هي مواقيتُ لناسِ والحج)
وذكرُ الحج بعد قولهِ مواقيت لناس ذكرُ خاص بعد

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

عام فالحجُ يدخلُ في قول اللهِ جل وعلا
(مواقيتُ لناسِ)
ومواقيت : جمعُ ميقات كما أنّ مواعيد جمعُ ميعاد والميعادُ بمعنى الوعد والمواقيتُ بمعنى الوقت .
(هي مواقيتُ لناسِ)
الزكاة تُعرف بالأهلة إذا حال الحول ، العدد لنساء تُعرف بالأهلّة ، ما يكونُ بين الناس من إيجار يكونُوا عن طريق الأهلّة جميعُ مصالح الشرع مُعلّقة بالأهلّة وقد مرّ معنا أنّ المصالح الدُنيوية المحضة هذي مُعلّقة بالشمس وأمّا المصالح الشرعية مُعلّقة بالهلال .
والشمس والقمر كلاهُما آيتان من آيات اللهِ يُقالُ إذا ثُنيا القمـــــــــــــــــــــــران .
لماذا أفرد اللهُ الحج ؟
العرب جرت عادتُها في الشيء الذي تملكُهُ وتعرفهُ من قبل أن تُقدّم وتُؤخّر فيهِ .
فالزكاةُ والصلاة لم يكُن للعربِ عهدٌ بها فلهذا لا تملكُ تغييرها أمّا الحج فكانت العربُ تعرفُهُ قبل ماذا ؟ قبل الإسلام كما كانت تعرف الأشهُر الحُرم قبل الإسلام وقد أدخلُ التقديم والتأخير والزيادة و النُقصان في الأشهُر الحُرم ولذالك قال الله (إنّما النسيء زيادةٌ في الكُفر) فحتى لا يحصل إلى أشهُر الحج ما وصل إلى الأشهُر الحُرم قال اللهُ جل وعلا أفرد الحج لوحدهِ فقال (يسألونك عن الأهلّة قُل هي مواقيتُ لناسِ والحج) وكنوعٍ من التوطئة والتمهيد لماذا ؟ لِما يأتي بعدها .
ثُمّ قال ربُنا:
(وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البر من أتقى وأتوا البيوت من أبوابها)
أيٌ شيء تطلبُهُ أيُها المُبارك على غير وجههِ

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

هذا من إتيان البيوت من ؟ من ظهورها فإذا طلبتهُ من وجههِ هذا من إتيان البيوت من أبوابها .

فماذا يقولُ ربُنا :.

يقول : (وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها) هذا النبي الخاتم صلى الله علية وسلم ما يتعلّقُ بمصالح الدين والآخرة هي ما يُسألُ عنه أمّا ما يتعلق بمصالح الدين والآخرة فأصلاً هو لم يُبعثُ من أجلهِ فالمسألةُ إمّا برّ أو شأنٌ دُنيويٌ محض فالشأن الدُنيوي المحض ليس لكُم أن تسألوا النبي صلى الله علية وسلم عنه لأنهُ لم يُبعث لهذا فكونُ الهلال يبدأُ صغيراً ثُمّ يكبُر ثُمّ يعودُ كما كان هذهِ مسالةٌ نُسمّيها الآن المُعاصرون أقرب إلى المسائل الفيزيائية المُتعلّقة بالفلك فهذا شأنٌ دنيويٌ محض وأنتُم أيُها الأخيار من أصحاب مُحمد مُنزّهون أن تسألون نبيكُم عن مثل هذا فلم يبق إلا الشأن الديني الذي تجمعهُ كلمةُ برّ وكلمة البّر الاسمُ الجامع لجميع صفات الخير هُناك طرائق تسألون بها نبيكُم عنها ولهذا نهاهُم أن يأتوا البيوت من ظهورها أي يسألوه من غير الوجه اللائق وإنّما كُلُ الحصول إلى الأشياء يكونُ باتخاذ الأسباب الموصلة إليها فقال الله (وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البر من أتقى وأتوا البيوت من أبوابها) .

لكنّ القُرآن دائماً يجعلُ من التقوى في طيّات الأوامر الشرعية كُلها لأن هي المقصُود الأسمى من العبادة

(وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البر من أتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلّكُم تُفلحون)

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

ثُمّ قال :

(وقاتلوا في سبيل اللهِ الذين يُقاتلونكُم ولا تعتدوُا إنّ الله لا يُحبُ المُعتدين)

(قاتلوا في سبيل)

المقصُودُ بها الجِهاد .

(الذين يُقاتلونكُم)

الزيادة هُنا وذكرهُم المُرادُ بها عند البلاغيين تهييج وإغراء عندما يقول لك يُقاتلُك يضطهدُك في دينك كأنهُ يُحرّكُ ما كمُن فيك حتى تُقاتل وهذا أمرٌ مشهُورٌ عند العرب عمرُ ابنُ معد كرم يقول :

لما رأيتُ نساءنا يفحصن بالمأزاء شداً
وبدت لميسُ كأنها بدرُ السماءِ كما تبدا
نازلت كبشهُم ولم أرى من نزال الكبشِ بُدا
هُم ينذرون دمي واندرُ إ لقيتُ بأن أشُدا

فجعل تشريدهُم لنساء وما يحصُل لنساء من فرارِهِم حتى بدت سيقانهُم كُل ذالك جعلهُ مُهيجاً ومُغرياً له بأن يدخُل غمار الحرب فالله يقول (وقاتلوا في سبيل اللهِ الذين يُقاتلونكُم) .

ثمّ قال (ولا تعتدوا)

الاعتداء هُنا تجاوز القتال إلى ما حرّم اللهُ جل وعلا قتالهُم كالنساء والصبيان والشيُوخ ومن كان في الصوامع ومن كان بيننا وبينهُ عهدٌ وميثاق أو من مثّل بنا فلا نُمثّل بهِ كُلها تدخُل تحت قولِ اللهِ جل وعلا وماذا (ولا تعتدوا) واصلُها تعتدون فأين ذهبت النون ؟

أجيبوا

مجزوم حُذفت تقول حُذفت بسب الجزم وما الجازم هُنا ؟ لا الناهية .

(ولا تعتدوا إنّ الله لا يُحبُ المُعتدين واقتلوهُم حيثُ ثقفتمُوهُم)

ثقفتمُوهُم أي ظفرتُم بهم .
(وأخرجُهُم من حيثُ أخرجُكُم)
من أين أخرج المسلمون ؟
من مكة وقد وقع هذا للمُسلمين أنهُم فتحوا مكة .
(وأخرجُهُم من حيثُ أخرجُكُم والفتنةُ أشدُ من القتل ولا تُقاتلُوهُم عند المسجد الحرام) .
ما وقعِ منهُم من تقّول وفتنتكُم في الدين حتى يردُكُم عن دينكُم إلى الشرك أعظم من كون أنكُم تُقاتلُهم تسفكون دمائهُم .
(ولا تُقاتلُوهُم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلُكُم فيهِ)
وهذا من إطلاق المسجد الحرام على مكة وفيهِ بيانٌ لحُرمة مكة عند الله " إنّ الله حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض " وهذا نزدلف بهِ إلى الخلاف القائم بين العُلماء أيُهُما أفضلُ مكةُ أو المدينة ؟
جماهيرُ العُلماء على أنّ مكة أفضلُ من المدينة ولهُم في ذالك دلائل و قرائنٍ من أشهرها : أنّ الله جل وعلا جعلها موئلاً للخليلين مُحمدٍ وإبراهيم بدل من الخليلين هذا واحد .
وقولُ النبي صلى الله عليه وسلم إنّ الصلاة في المسجد بمئة ألف صلاة ، وأنّ الكعبة في مكة وهي بيتُ الله ، وأنّ الله جل وعلا أوجب الحج إلى مكة إلى بيتهِ وغيرُها من القرائن كثير .
وذهب الإمام مالك رحمهُ الله وهو المشهور عن عُمر وابنه عبد الله وبعضُ المالكية جمهُورُ أتباع مالك ليس كُلهُم على أنّ المدينة أفضلُ من مكة لسُكنى النبي صلى الله عليه وسلم فيها ومن أدلتهم ــ أي المالكية ــ
أن النبي علية الصلاة والسلام قال " ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة " وقال في

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
حديثٍ آخر " لموضعُ سوطِ أحدكُم من الجنة خيرٌ من الدُنيا وما فيها " فقالوا إذا كان موضعُ سوطٍ في الجنة خيرٌ من الدُنيا وما فيها فكيف ببلدةٍ فيها روضةٌ من رياض الجنة .
وبعضُ العُلماء يُفصّل فيقولُ :
إنّ مكة أفضل ولا يُمكنُ لما فقههُ مالك أن يُصادم تلك النصوص الشرعية لكن يقولون إنّ المُجاورة في المدينة أفضل من المجاورة في مكة والعلمُ عند الله .

نقول يقول الله :
(ولا تُقاتلُوهُم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلُكُم فيهِ فإن قاتلُكُم فاقتلُوهُم) لأن هذا نوعٌ من القصاص (كذالك جزاءُ الكافرين * فإن انتهُوا فإنّ غفورٌ رحيم)
قطعاً إن الشرك لا يدخلهُ الغُفران فما معنى قول الله (فإن انتهُوا) انتهوا عن ماذا ؟ عن الشرك لم ينتهوا عن القتل ــ هذا قيدٌ لا بُد لك أن تفقهه ــ (فإن انتهُوا) أي عن قتالكُم وعن الشرك (فإنّ غفورٌ رحيم) لأنّنا لو حملناها على القتل فقط لا يستقيم أن يُقال (إنّ الله غفورٌ رحيم) لأنهُ لا مغفرة ولا رحمة خاصة لأهل الكُفر .

(وقاتلُهُم حتى لا تكون فتنة ويكونُ الدينُ للهِ فإن انتهوا فلا عُدوان إلا على الظالمين)
(حتى لا تكون فتنة) قال العُلماء حتى لا يكون تقوّل ينجُم عنه اضطهادُ الناس في دينهِم ولمّا حصلت ولايةُ ابنُ الزُبير واقتتل الناسُ كَثيراً مع أتباع يزيد جيء لعبد الله ابن عُمر الصحابي المعروف ابن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي اللهُ عنه وأرضاه فقيل لهُ ألا تُقاتل والله

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

يقول (وقاتلُهُم حتى لا تكون فتنة) فقال رضي الله عنه وعن أبيهِ لقد قاتلنا حتى لا تكون فتنة وكان الدينُ للهِ يقصد أيام ماذا ؟ أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأنتُم اليوم تُقاتلون حتى تكون فتنة وشتّان ما بين القتالين وأنتُم يا خادمُ الخوارج تُقاتلون اليوم حتى تكون فتنة .
ومعلومٌ أن هذا حصل أيام عبد الله ابن الزبير ويزيد ابن معاوية وأيام خروج عبد الله ابن الزُبير على يزيد فقد أرسل يزيدُ مُسلم ابنُ عُقبة المُري أراد أن يرسل أولاً عُبيد الله ابن زياد لكن عُبيد الله ابن زياد باء ماذا ؟ مقتل الحُسين فأراد أن يبعثهُ يزيد إلى مكة فأخذ درساً من الأولى قال " واللهِ لا أبُؤُ بهما جميعاً قتلُ الحُسين وغزوُ مكة أعفني " فسّلم القيادة لِرجُلٍ اسمهُ مُسلم ابن عُقبة المُري وكان شيخاً كبيراً في السن فوصل إلى بدأ بالمدينة لقتال من ؟ أهل المدينة ثم ينتقل إلى ؟ إلى ابن الزُبير فقاتل أهل المدينة حتى وقعت موقعة الحرّة فأسماهُ أهلُ المدينةِ مُسرف بدلاً من مُسلم يقولُ قائلهُم في جُزء بيت :
كتائبُ مُسرفٍ وبني اللّكيعه
على يدِهِ أُستُبيحت المدينة ثم أراد أن يتوجّه إلى مكة وقُلنا أنهُ أتى وهو طاعنٌ شيخٌ كبير فمات فوكلت القيادة إلى غيرة ومات يزيدٌ بعدُهُ أو قبلهُ المهم قبل أن يصل جيشُ الشام إلى مكة .
فلّما مات يزيد أعلن ابنُ الزُبير رضي الله تعالى عنه الخلافة على الحجاز وتبوء هُناك الخلافة عبدُ الملك بعد أبيهِ مروان وكان مروانُ ابنُ الحكم لمّا ولي ــ وأظن هذا قد مرّ معنا ــ سبّ ابن زوجنهِ شاب نشأ في حجرة فلمّا سبهُ عيّرهُ بأمه التي هي زوجتهِ وهذا الابنُ من رجُلٍ آخر فذهب الرجل يشتكي مروان ابن الحكم عند أُمة

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

فاغتاضت الزوجة وقال لهُ إنهُ لن يُسمعك إياها بعد اليوم أي بيّتت قتله فلمّا قدم إليها قتلته خُفيةً في دارهِ اجتمعت عليه هي وخدمها فلّما مات مروان أعلن عبدُ الملك الخلافة له فانتقلت الخلافة كما يقولون المؤرخون من البيت السُفياني إلى البيت المرواني نسبة إلى مروان ابن الحكم لأن عبد الملك ابن مروان فصار الأمويون بعدها سيمُر معك في التاريخ يُقال لهُم بنو مروان وهذا معنى قول شوقي

مررتُ بالمسجد المحزون أسألهُ
هل في المُصلّى أو المحرابِ مروانُ

فيقصد بالمُصلّى والمسجد مسجد بني أُمية الذي يعنينا ــ أطنبتُ أنا كثيراً في قطاع المسجد الحرام ـــ أن عبد الملك بعث الحجاج فحاصر ابنُ الزُبير في مكة وضربها بالمنجنيق وهذا لا يُقبلُ شرعاً حتى احترقت أستارُها أولاً وهو لا يُريدُ حرق الكعبة هذا كُفر لكنّهُ أراد قتال ابنُ الزُبير حتى قُتل ابنُ الزُبير رضي الله تعالى عنه وآل الأمرُ إلى الحجاج وبالتالي إلى عبد الملك ابن مروان .

الله جل وعلا هنا يقول (ولا تُقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلُكُم فيهِ فإن فاقتلوكُم فاقتُلُهم كذالك جزاءُ الكافرين * فإن انتهوا فإنّ الله غفورٌ رحيم * و قاتلُهُم حتى تكون فتنة ويكونُ الدينُ للهِ فإن انتهوا فلا عُدوان إلا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُماتُ قصاص)

(حُرمات) جمعُ حُرمة كما تقولُ حُجرات جمعُ حُجرة .

ما الحُرمة ؟

الشيء الذي ينبغي أن ي~ُحفظ ويُصان ولا يُنتهك كُلُ ما ينبغي أ يُحفظ ويُصان ولا يُنتهك

يُسمّى حُرمة .
أمّا تفسيرُ الآية .:
فأنت تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كم عُمرةً أعتمر ؟ ــ أجيبوا ــ أربعة كُلهُنّ في ذي القعدة وذُو القعدة شهرٌ حرام والأشهُرُ الحُرم ثلاثةٌ سردٌ وواحدٌ مُنفرد .
ما الثلاثة السرد ؟
ذو القعدة ، ذو الحجة و مُحرم .
وما الفرد ؟
رجب .
فالنبي صلى الله علية وسلم اعتمر في ذو القعدة وذو القعدة شهر حرام فابتداء عُمرتهِ في يوم الحُديبية ماذا حصل ؟ ردتهُ قُريش فلمّا ردتهُ قريش انتهكت كم حُرمة ؟
ثلاث حُرُمات ــ سأقول اثنتين وتأتون بالثالثة ــ حُرمة الشهر الحرام الذي هُو ذو القعدة .
وحُرمة البلد الحرام الذي هو مكة .
وحُرمة ــ هيا ـ هي الآن قُريش ردت النبي صلى الله عليه وسلم فرجع وحلّ من إحرامهِ فقُريش بهذا انتهكت ثلاث حُرمات لهذا قال الله (الشهرُ الحرامُ بالشهرِ الحرام والحُرُماتُ قصاص) لاحظ قصاص يعني مساواة فكان لازم نُبين التي بعد حتى تأتون بالتي قبلها .
فالحرمات الثلاث :
حُرمة ــ قُلنا ــ الشهر . ذو القعدة .
وحرمة البلد .
بقيت حُرمة ــ أي ما يسمّونها ــ حُرمة العُمرة ــ ايه ــ الإحرام حُرمة الإحرام .
نظيرةُ في السياسة قول عائشة لمّا قُتل عُثمان قالت " انتهكُوا ثلاث حرمات :
ـــ سآتي بثنتين وأتوا بالثالثة ـــ
لمّا قُتل عُثمان عثمان قُتل في ذي الحجة

فقالت عائشة " لقد انتهك الخوارج ثلاث حُرمات "

حرمة الشهر ذو الحجة .
وحرمة البلد ، ما هو ؟ المدينة المدينــــــــــــــــة بلدٌ حرام .
وحُرمة الخلافة وحُرمة الخلافة .
فأمرُ الخلافة شرعاً أمرُ محرم ولهذا الصحابة رضي الله عنهُم قبل أن يدفنوا نبيهُم علية الصلاةُ والسلام أجمعوا أمرهم على ماذا ؟ على أبي بكر لعلمهِم بحُرمة الخلافة ، فقتلت عُثمان انتهكوا كم حُرمة ؟ ثلاثة .
الذين صدُّوا النبي صلى اله عليه وسلم انتهكوا ثلاث حُرمات ، حُرمةُ الشهر الحرام وهو ذو القعدة ، وحرمةُ البلد الحرام وهو مكة ، وحرمت الإحرام .

ماذا يقولُ ربُنا يقول (والحُرُماتُ قصاص) متى كانت الحُديبية ؟
عام ست ، ما يُسمّى بعُمرة القضاء كان عام ــ التي بعدها سبع ــ فدخلها النبيُ صلى الله عليه وسلم بعد أن أخلت قُريشٌ مكة لهُ فدخلها عليهِ الصلاة والسلام ونزحوا إلى الجبال فهذا معنى قول اللهِ (والحُرُماتُ قصاص) ردوك يا نبينا عام ست فأدخلناك إياها عام سبع .
فكلُ الثلاث عادت فأحرم صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ودخل البلد الحرام وبقي على ؟ وبقي على إحرامهِ [واضح]

(الشهرُ الحرامُ بالشهرِ الحرام والحُرُماتُ قصاص فمن اعتدى عليكُم فاعتدوا عليهِ بمثلِ ما اعتدى عليكُم واتقوا الله واعلموا أنّ الله مع المُتقين)

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
هذي مُطنب فيها الفُقهاء لأنه تحتمل أشياء عدة

إنسان أخذ مالك ثم ظفرت بمالهِ تأخُذهُ أو لا تأخُذُهُ فيها أقاويل لكن أنا أُعطيك خُلاصة الأمر . لو تسلّط أحدٌ ما على مالك ثم وقفت على مالهِ بقدر الذي أخذ منك جاز لك أن تأخُذهُ ولا يُسمّى سرقةً ولا نهباً ولا ظُلماً لأن الله يقول (فمن اعتدى عليكُم فاعتدوا عليهِ بمثلِ ما اعتدى عليكُم) ونقول إلا في حالة واحدة ما هي ؟ إلا في حالة واحدة ما هي شخصٌ ما تسلّط عليك خدعك فأخذ منك عشرين ألف ثم اكتشفت بتعامُلك معهُ انهُ أراد خداعك قال أقرضني ثم أنكر وثقت بهِ أعطيتهُ عشرين ألف فما لبث أن أنكرها وجحدها ثم لم يلبث أن وقفت على عشرين ألف لهُ إمّا وجدتها على مكتبهِ أو في دُرج سيارتهِ أو ما أشبه ذالك استطعت أن تحصُل عليها فلك أن تأخُذها هذا ربُنا يقول لكنّنا نقول إلا في حالة واحدة إذا نسي وأعطاك إياها أمانةً نسي صنيعهُ الأول وأعطاك إياها أمانةً فليس لك أن تأخُذها إذا طلبها لأن النبي قال " ولا تخُن من خانك " [واضح] إلا إذا كانت على وجه إئتمان فلا ينبغي أن تأخُذها وإن قال به بعضُ العُلماء لكن أحبُ إلينا أن لا تفعل لقوله صلى الله عليه وسلم " ولا تخُن من خانك " .
فكُلُ شيءٍ ، الله قال (يُخادعُون الله وهو خادعهُم) وقال (ويمكرُون ويمكُر الله) وقال (وإمّا تخافنّ من قومٍ خيانةً) فلم يقُل خُنهُم قال (فانبُذ إليهم على سواء) أي بيّن لهُم الأمر على جلاء ــ واضح هذا ـــ

قال الله :
(والحُرُماتُ قصاص فمن اعتدى عليكُم فاعتدوا

عليهِ بمثلِ ما اعتدى عليكُم واتقوا الله واعلموا أنّ الله مع المُتقين * وأنفقوا في سبيل اللهِ ولا تُلقوا بأيديكُم إلى التهلُكة وأحسنوا إنّ الله يُحبُ المُحسنين)

هذهِ دائماً الآية تُصبح مثار نزاع فيأتي الإنسان المُخوّف يقول الله يقول : (ولا تُلقوا بأيديكُم إلى التهلُكة) يقولُ الآخرون حديث أبي أيوب " نزلت فينا معشر الأنصار أننا آثرنا الزرع على الجهاد "

والحقُ أن يُقال ما يلي :

الإنفاق لا يُسمّى إنفاقاً إلا إذا كان في وجهٍ يُسمّى إصلاح مال أمّا تضييع المال لا يُسمّى إنفاق هذا واحد .

ينبغي أن تعلم أنّ الله أمر بالإنفاق وأمر بالجهاد وبين الإنفاق والجهاد طرفي نقيض يُقابل الإنفاق إمّا البُخل وإمّا الإسراف فقولُ اللهِ تبارك وتعالى (و أحسنوا) تعودُ على الإنفاق والمعنى لا تنفقوا إنفاقاً يصلُ إلى حد الإسراف ولا تكونُوا بُخلاء.

وفي قولهِ تعالى (ولا تُلقوا بأيديكُم إلى التهلُكة) لا تقعدوا عن الجهاد ولا تلقوا بأنفُسكُم إلى المهالك على وجهٍ يغلبوا على الظن أنهُ الهلاك المذموم فيُصبح الإقدام غيرُ التهور فيُصبح الآية (و أحسنوا) ضابط لقولهِ تبارك وتعالى و(وأنفقوا في سبيل اللهِ ولا تُلقوا بأيديكُم إلى التهلُكة) فالقعُودُ عن الجهاد إلقاءٌ بالنفسِ في التهلُكة بأنّك قصّرت في واجبٍ شرعي والتهورُ في المعركة إلقاءٌ لتهلُكة على وجهٍ مذموم شرعاً ، والإنفاق إذا كان إسرافاً إلقاءٌ للمالَ في التهلُكة على وجهٍ مذموم كما أن القعُود عن الإنفاق بُخلٌ يُلقي النفس في التهلُكة لأن البُخل لا يُرثُ إلا ذماً ــ ظهر الآن المعنى فيما يغلبُ

على الظن .
والعربُ كانت تعيبُ التهور في المعارك ولا تعدُهُ شجاعة يقولون إنّ الأعشى الشاعر المشهور المشهــورُ بسُكرهِ مدح أحد الملُوك في زمانهِ فقال

وإذا تجيءُ كتيبةٌ مذمومةٌ
خرساء قد كره العدو نزالها
كُنت المُقدّم غير لابسٍ لُمّةٍ
في السيف تضربُ مُعلماً أبطلها

يقول إذا جاءت كتيبة خرســـاء من الحديد الذي عليهم كأنها صماء يخشاها أحدٌ أن يُنازلُها فأنت أيُها الملك كُنت المُقدّم غير لابس لُمّة غير لابس وقاية غير لابس درع

كُنت المُقدم غير لابسٍ لُمّةٍ
في السيف تضربُ مُعلماً أبطلها

فعابت العربُ الأعشى على هذا البيت قالوا ما لبثت أو ما زدت على أن وصفت الملك بالتهورُ هذهِ ليست بشجاعة .
الضابط القُرآني جاء مُبيناً لمسالك الناس في الإنفاق ألاّ يكون إسرافاً ولا بُخلَ ، وفي الحروب أن لا يكون قعُوداً ولا تهورا هذا معنى قول اللهِ : (وأنفقوا في سبيل اللهِ ولا تُلقوا بأيديكُم إلى التهلُكة وأحسنوا إنّ الله يُحبُ المُحسنين).
ثُمّ قال ربُنا :
(وأتمّوا الحج والعُمرة للهِ)
هذهِ اختلف العُلماءُ فيها في معنى الإتمام فذهب ابنُ عباس إلى أن المقصود بالإتمام أن تحُج وتعتمر من دُيرة أهلك وأكثرُ المُفسرين على أن المقصود إذا شرعت في حج وعُمرة ولو كان نفلا يجبُ عليك أن تُتمّها .
(فإنّ أُحصرتُم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكُم حتى يبلُغ الهدىُ محلّهُ فمن كان

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

منكُم مريضاً أو بهِ أذىً من رأسهِ ففديةٌ من صيامٍ أو صدقةٍ أو نُسك)

مُجمل ما دلّت عليهِ الآيات ما يلي :

الإحصار في اللُغة : الحبس والمنع

لكن هل يكون الإحصار بالعدو وبغير العدو أو لا يُسمّى إلا بالعدو اختلف العُلماء :

فذهب طائفة إلى أن الاحصار الذي جاءت بهِ الآية لا يكونُ إلا في العدو ودليلهُم (فإذا أمنتُم) فالأمنُ لا يكونُ إلا من خوف العدو .

وأجملُ الأقوال أن يُقال أن الآية جاءت في حصر العدو لكنّ كُلما نجم عنهُ حرجٌ و ضيقٌ وحبسٌ عن البيت فيقاس عليهِ قياساً جلياً لا شُبهةً فيهِ حتى نخرُج من نزاع العُلماء .

فإنّ أُحصر الإنسانُ عن الوصولِ إلى البيت ومُنع في الوصول إلى البيت لأي سببٍ كان فإنّ يقول : (فإنّ أُحصرتُم فما استيسر من الهدي)

والهديُ : هو ما يُساق وما يُقرّبُ ويُذبحُ في مكة من بهيمة الأنعام أعلاهُ بدنه وأدناهُ شاه .

(وما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلُغ الهدي محلهُ)

هذي مسألة خلافية بين العُلماء ما المقصود بمحل الهدي ؟

فقال بعضهُم في الإحصار أن دم الاحصار حيثما أُحصرت .

وقال آخرون يبعث بالهدي إلى الحرم فلا يكونُ منهُ حلقٌ حتى يصل إلى الهدي إلى محله وذهبُ في دليلٍ لهم إلى أن المقصود أن الحرم هو محلُ الهدي قول الله جل وعلا : (هدياً بالغ الكعبة) وقول الله جل وعلا : (ثم محلّها إلى البيت العتيق) والمرادُ مكة والأصلُ منى هي الأصلُ في النحر وان دخلت في مكة هذا قول .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وقال آخرون قُلنا إنّ دم الاحصار أين يكون ؟ يكون في موطن الاحصار . (حتى يبلُغ الهديُ محلهُ) .

ثم قال الله جل وعلا :
(فمن كان منكُم مريضاً أو بهِ أذىً من رأسهِ)
فالأصلُ أنّ هناك محظورات للإحرام فقال الله :
(ففديةٌ من صيامٍ أو صدقةً أو نُسك)
الصيام يا أخي ثلاث أيامٍ ، والصدقة نصف صاع ، والنُسُك أصلُها العِبادة لكن لمّا كانت النحرُ من أعظم القُربات أُطلق على التقرُب إلى الله ببهيمة الأنعام لكنّ هذا يقومُ على التخيير وممّا يقعُ فيهِ الخطأُ في الفتوى بين بعض طلبة العلم أنهُم لا يُفرّقون ما بين ترك الواجب وفعلُ المحظور ما بين ماذا ؟ ترك الواجب وفعل المحظور .
فما الذي يترتب على فعل المحظور ؟
وما الذي يترتب على ترك الواجب ؟
ـ أجيبوا ـ
في فعل المحظور يكون التخيير فمن فعل محظوراً من محظورات الإحرام جاءك يستفتيك قال حلقتُ رأسي أو قال تطيّبت أو قال أي محظور من محظورات الإحرام أو قلّمتُ أظافري فهذا تقول لهُ أنت مُخيرٌ بين ثلاثة أُمور ما بين صيام ثلاثة أيام أو إطعام ست مساكين كُل مسكين نصف صاع أو ذبح شاة لقول الله جل وعلا : (ففديةٌ من صيام أو صدقةً أو نُسك) فأو هُنا لماذا ؟ لتخيير .
أمّا من ترك واجباً فإنهُ يُهرق دم وليس هُناك تخيير لكنّهُ إذا عجز عن الدم ينتقل إلى صيام ماذا ؟ عشرة أيام ينتقلُ إلى صيام عشرة أيام وهذا مما تقع فيه الخطأُ في الفتوى .

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

فلو جاء إنسان وقال أيُها الشيخُ المُبارك يا طالبُ العلم تجاوزتُ الميقات دون أن أُحرم نقول لهُ أولاً أنت لم تفعل محظوراً أنت تركت واجباً فعليك دم ولو جاءك من يقول لك لم أبت في مُزدلفة فتقول له تركت واجباً عند قول جماهير العُلماء أن المبيت في مُزدلفة واجب فعليك دم .

لكن لو قال حلقتُ أو قلّمتُ أو مسستُ طيباً أو لبستُ مخيطاً فهذا تقول له أنت مُخيرا لأنك فعلت محظوراً .

قال الله : (فإذا أمنتُم فمن تمتّع بالعُمرة إلى الحجِ فما استيسر من الهدي)

وهل هو دمُ جُبران أو غيرُ ذالك ؟

هذي فيها خلاف بين العُلماء لكن معلومٌ أن الأنساك ثلاثة ؟

أفراد

وتمتعٌ

وقران

وعلى قدر ما تأخُذ على قدر ما تُعطي ، و قدر ما تُعطي على قدر ما تأخُذ .

هذا الذي ذهب يحُج وأفراد الحج بسفرةٍ لوحدها هذا لم يُعطى زيادة من طاعة وهي العُمرة فلا يُؤخذ منهُ دم [واضح]

أمّا من قرن ما بين الحج والعُمرة في سفرة واحدة فعليه دم عوضاً عن أيش ؟ عن ماذا ؟ عن الجمع بين الحج والعُمرة في سفرٍ واحد .

ومن تمتّع فهذا مكث أياماً يلبس ويتطيب ويأتي النساء عوضاً عن هذا التمتُع يُهرق دم .

ــ تبين الأمر بوضوح ــ

قال الله : (فمن تمتع بالعُمرة إلى الحجِ فما

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي
استيسر من الهدي فمن لم يجد) ليس لتأخير (فصيامُ ثلاثة أيامٍ في الحجِ وسبعةٍ إذا رجعتُم) أي إلى أهلكُم (تلك عشرةٌ كاملة) ومعلومٌ أن الثلاثة والسبعة عشرة .
فلماذا نصّ اللهُ هنا وقال (تلك عشرةٌ كاملة) اختلف العلماء ؟
والأظهرُ عندي والعلُم عند الله أ، هذهِ أُمة أُمية لا تحسب وهم المخاطبون الأولون بالقُرآن فبيّنهُ الله بياناً جلياً حتى لا يقع منهُم خطأ .
(تلك عشرةٌ كاملة ذالك لمن لم يكُن أهالهُ حاضري المسجد الحرام)
ذالك اسم إشارة ــ الآن أيُها المباركون أريدُ ذهن ــ يعودُ على ماذا وماذا يترتبُ على العود ؟
(فإذا أنتُم فمن تمتع بالعُمرة إلى الحج) هذهِ مسألة فقهية حسنٌ أن تُشاركوا (فمن تمتع بالعُمرة إلى الحجِ فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيامُ ثَلاثة أيامٍ في الحجِ وسبعةٍ إذا رجعتُم تلك عشرةٌ كاملة ذالك لمن لم يكُن أهالهُ حاضري المسجد الحرام) ؟
ذالك تعود إلى أحد اثنين ما الأول ؟
ــ إلى ماذا ؟ ــ ذالكِ تعود إمّا ــ لا مو الحاج لا تعود إلى الحاج أبداً ــ إمّا لتمتُع أو لما يترتب على التمتُع من هديٍ وصيام ، إمّا تعود لتمتُع [واضح] فيُصبح (فمن تمتع) يعني لتمتُع لنُسك التمتُع تبين جيداً .
والأمر الثاني إمّا تعود إلى قولهِ (فما استيسر من الهدي فمن لم يجد) ما يترتب على التمتُع [واضح]
ما الذي يختلف إذا قُلنا تعود على التمتُع ــ والآن يعني يُشاهدني الكثير حتى يضبط المسألة ــ إذا قُلنا أنها تعود إلى التمتُع فمعنى قول اللهِ (ذالك لمن لم يكُن أهالهُ حاضري المسجد الحرام

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

) يُصبح ليس على أهل مكة ماذا ؟
إذا كانت ذالك تعودُ على التمتُع فقال الله (ذالك لمن لم يكُن أهالهُ حاضري المسجد الحرام) يُصبح لا يجوز لأهل مكة أن يتمتعُوا يُصبح المعنى ليس لأهل مكة أي تمتُع فيُصبح هم مقصورُون على نُسكين إفراد وقران .
وإذا قُلنا (ذالك) عائدة على ما يترتب على التمتُع على الهدي أو الجزاء الذي هو الصيام بدلاً منهُ فيُصبح قول الله ذالك الجزاءُ على من لم يكُن أهلهُ حاضري المسجد الحرام يُصبح لهم التمتُع وليس عليهِم هدي وليس عليهم هدي لكن الكرامة لهم لأنهُم من أهل الحرم ليس عليهم هدي [واضح] فيُصبح يحقُ للمكي أن يتمتع إلا أنهُ يفترق عني وعنك ممّن يأتي من الآفاق أنهُ لا هدي عليه وهذا كُلهُ في تحرير معنى كلمة أو عودة الإشارة في ذالك تحرير كلمة الإشارة في ذالك .
(ذالك لمن لم يكُن أهالهُ حاضري المسجد الحرام) وقد قُلتُ في درسٍ خلى أن المسجد الحرام هُنا المقصُودُ بها مكة وليس الحرم وما الفرق ؟ الفرق يتضح جلياً في ماذا ؟ لو جاءك شخصٌ من أهل مكة على القول إنّ ذالك تعودُ على الجزاء فجاءك رجُلٌ يسكُن في الشرائع فإذا قُلنا أن المسجد الحرام يعودُ على الحرم فيُصبح ممن يسكنون الشرائع في الحل خارج الحرم عليهم ماذا ؟ عليهم هدي لأنهُم ليسُ من الحرم ، لكن لو قلنا أن المسجد الحرام هنا مكة ليس عليهم هدي لأن الشرائع من مكة وإن كانت ليست من الحرم [واضح]
عندنا حي في المدينة اسمهُ العزيزيه بينهُ وبين حدود الحرم شارعٌ واحد فهؤلاء خارج الحرم لكنّهُم من سُكان المدينة [واضح هذا]

محاسن التأويل
الشيخ صالح مغامسي

وأنا رأيتُ إن لم أنسى في مروري على الشرائع عماره بناية نصفُها في الحرم ونصفُها خارج الحرم فلا يُعقل أن من كانت غُرفتهُ في أول الدار ليس عليهِ هدي ومن كانت غُرفتهُ في آخر الدار عليهِ هدي يُنزّه كلامُ الله أو فقهُ الإسلام عن هذا [واضح]

فيُصبح (ذالك لمن لم يكُن أهالهُ حاضري المسجد الحرام) عائدةٌ على مكة وليست للحرم .

(واتقوا الله واعلموا أن الله شديدُ العقاب)

هذا ما تيسّر إيرادهُ وتهيأ إعدادُهُ حول هذهِ الآيات المُباركات وفي اللقاء القادم إنّ شاء الله سنشرع في قضايا الحج عموماً ونبدأُ بقول الله تعالى الحجُ أشهرٌ معلومات .

نســــــــــــــــــأل الله أن يُفقنا وإياكُم لما يُحبُ ويرضى وأن يُلبسنا وإياكم لباسي العافية والتقوى وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ للهِ رب العالمين ....

والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتهُ